

3

أدب أمريكي حديث

بليك كراوتش

ترجمة: عبدالرحيم يوسف

البلدة الأخيرة

ثلاثية وايبورد باينز

رواية



مكتبة

العروسة

ثلاثية وايوارد باينز

(3)

البلدة الأخيرة

انضم ل مكتبة .. اصصح الكود

انقر هنا .. اتبع الرابط



نسخ لجودة أعلى داخل القناة

عنوان الكتاب: ثلاثية وايوارد باينز (3)

البلدة الأخيرة

The Wayward Pines Trilogy (Book3): The Last Town

المؤلف: بليك كراوتش Blake Crouch

ترجمة: عبد الرحيم يوسف

مراجعة لغوية: شيرين يونس

إخراج داخلي: رشا عبدالله

المحروسة

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة

ت، ف:- 002 02 28432157



mahrousaeg



almahrosacenter



almahrosacenter



www.mahrousaeg.com



info@mahrousaeg.com



mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران

مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٢٠٢٣ / ٢٦٢٥٨

الترقيم الدولي: 978-977-313-994-0

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية

محفوظة لمركز المحروسة

2024

THE LAST TOWN © 2014 by Blake Crouch

"All rights reserved. No part of this book may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage and retrieval system, without permission in writing from the Publisher."

مكتبة
t.me/soramnqraa

ثلاثية وايوارد باينز

(3)

البلدة الأخيرة

بليك كراوتش

ترجمة

عبد الرحيم يوسف

رواية

مكتبة
t.me/soramnqraa

IO I 2025



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

كراوتش، بليك، 1978-

البلدة الأخيرة: رواية/ بليك كراوتش؛ ترجمة: عبد الرحيم يوسف. - ط 1
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2023

423ص؛ 21.5×14.5 سم ثلاثية وايبورد باينز (3)

تدمك 0-994-313-977-978

1 - القصص الامريكية

أ- يوسف، عبد الرحيم (مترجم)

ب- العنوان

823

رقم الإيداع 2023/26258

إلى ملايَّ: أنسلي وأدلين.

{فأجاب الرب أيوب من العاصفة، وقال:

”من هذا الذي يُسوّد تدبيرى بأقوال ليست من العلم بشيء؟

شُدّ وسطك، وكن رجلاً: إني سألك فأخبرني.

أين كنت حين أسست الأرض؟ تكلم إن كنت عالماً بالفطنة.

من وضع مقاديرها؟ إن كنت تعلم أم من مدّ الجبل عليها؟

على أي شيء عُززت قواعدها؟ أم من وضع حجر زاويتها؟

إذ كانت كواكب الصبح تُرثم جميعاً وكل بني الله يهتفون؟”⁽¹⁾

(1) سفر أيوب، الإصحاح 38، الآيات من 1 إلى 7 (الكتاب المقدس - العهد القديم لزمنا

الحاضر) منشورات دار المشرق ش م م، بيروت 1993

مقدمة

مرحبًا بكم في وايوارد باينز، البلدة الأخيرة.

وصل عميل جهاز الخدمة السرية إيثان بيرك إلى وايوارد باينز، أيداهو، منذ ثلاثة أسابيع. في هذه البلدة، يُملَى على الناس مَنْ يتزوجون، وأين يعيشون، وأين يعملون. يتعلّم أطفالهم أن ديفيد بيلتشر، مُنشئ البلدة، هو الرب. غير مسموح لأحدٍ بالمغادرة، حتى طرح الأسئلة يمكن أن يؤدي إلى مقتل.

لكن إيثان يكتشف السر المذهل لِمَا يقبع وراء السور المكهرب الذي يحيط بالبلدة ويحميها من العالم المرعب وراءه. إنه سرٌ يجعل السكان -بأكملهم- خاضعين تمامًا لسيطرة رجلٍ مجنونٍ، وجيشه من التابعين، سرٌّ على وشك أن يعصف بالسور، ويمحو هذا الأثر الأخير الهش من البشرية.

خاتمة بليك كراوتش المثيرة لثلاثية وايوارد باينز ستبقيكم متسمرين أمام الصفحات حتى الكلمة الأخيرة.

نحن الأخيرون من نوعنا، مستعمرة من البشر أتت من بدايات القرن الواحد والعشرين. نعيش في جبال ما كانت ولاية آيداهو يومًا ما، في بلدة اسمها وايوارد باينز. إحداثياتنا هي 44 درجة، 13 دقيقة، 0 ثانية شمالاً؛ و114 درجة، 56 دقيقة، 16 ثانية غربًا.

هل ثمة أحد هنا؟⁽¹⁾

(1) - جزء من بثٍّ صوتي إذاعي، وبشفرة مورس عبر كل ترددات الموجات القصيرة المبتوثة من مجمع البنية الفوقية في وايوارد باينز بشكلٍ مستمرٍ طوال الأحد عشر عامًا الماضية

مدخل

ديفيد بيلتشر

مجمع البنية الفوقية
وايوارد باينز
قبل أربعة عشر عامًا

مكتبة
t.me/soramnqraa

يفتح عينيه.

متجمد.

يرتجف.

رأسه تنبض بقوة.

شخص ما يقف منحنيًا عليه وهو يرتدي قناعًا طبيًا، وجهه ضبابي.

لا يعرف أين يكون، أو في الحقيقة، من يكون.

يتدلى قناع شفاف إلى فمه.

الصوت -صوت امرأة- يحثُّه: خذ نفسًا طويلًا عميقًا، واستمر في التنفس.

الغاز الذي يستنشقه عبارة عن أكسجين دافئ مُرَكَّز. يتدفق هابطًا إلى قصبته الهوائية ورئتيه مع فورة حرارة متهللة. ورغم أن فمها مغطى، فإن المرأة التي تنحني فوقه تبتسم له بعينيها.

تسأله: هل تشعر بتحسُّن؟

يومئ برأسه. يزداد وجهها وضوحًا، وصوتها... فيه شيء مألوف. ليس جرس الصوت ذاته، بل الطريقة التي يشعر بها نحوه.. طريقة حمائية.. تكاد تكون أبوية.

تسأله: هل يؤمك رأسك؟

يومئ موافقًا.

- سينقضي هذا قريبًا.. أعلم أنك تشعر بتشوش كبير.

يومئ برأسه.

- هذا طبيعي تمامًا. هل تعرف أين أنت؟

يهز رأسه.

- هل تعرف من أنت؟

يهز رأسه.

- لا بأس أيضًا.. لم يجرِ الدم في عروقك إلا لمدة خمس وثلاثين

دقيقة. يستغرق الأمر عادةً بضع ساعات قبل أن تعثر على

اتجاهاتك.

يرفع عينيه محدقًا إلى الأضواء فوق رأسه: مصابيح فلورسنت

طويلة، ساطعة أكثر مما يجب.

يفتح فمه.

- لا تحاول الكلام الآن.. هل تود مني أن أشرح ما يحدث؟

يومئ برأسه.

- اسمك ديفيد بيلتشر.

يعتقد أن هذه المعلومة تبدو صحيحة. يحس أن الاسم اسمه على مستوى ما لا يمكنه الإحاطة به. على الأقل، كأنه نجم ينتمي إلى سمائه.

- أنت في مستشفى.. لم تتعرض لحادث سيارة أو تعاني من أزمة قلبية.. لا شيء من هذا القبيل.

يريد أن يقول إنه لا يستطيع الحركة.. إنه يشعر بالبرد كأنه ميت، وبالخوف.

تكمل حديثها: لقد خرجت للتو من حالة حياة مرجأة. أجهزتك الحيوية كلها تتلمس طريقها متعثرة. كنت نائمًا لمدة ألف وثمانمئة عام في واحدة من ألف وحدة إرجاء، قمت أنت بإنشائها. كلنا في غاية الحماس.. لقد نجحت تجربتك. اجتازها فريق العمل بمعدل نجاة قدره سبعة وتسعون في المئة، أفضل بعدة نقاط مما تصورته أنت، وبلا أي خسائر حرجة.. مبروك.

يرقد بيلتشر على النقالة، ويرمش في مواجهة الأضواء.

تبدأ شاشة القلب الموصلة به في الصفير أسرع وأسرع، لكن هذا ليس عن خوف أو توتر.

مكتبة

t.me/soramnqraa

بل عن ابتهاج.

في غضون خمس ثوان، ينتظم كل شيء ويتضح.

من يكون.

أين هو.

ولماذا يوجد هنا.

مثل كاميرا تغيّر بؤرتها.

يرفع بيلتشر يداً -ثقيلة ككتلة من الجرانيت- ويزيح القناع عن فمه. يرفع عينيه محدقاً إلى الممرضة. ولأول مرة طوال ما يقرب من ألفي عام، يتكلم، بصوت أجش لكنه واضح: هل ذهب أي شخص إلى الخارج؟

تزيح قناعها.. إنها بام، في العشرين من عمرها، وهيئتها أشبه بالأشباح بعد نومها الطويل... الطويل.

ومع ذلك... ما زالت جميلة للغاية.

تبتسم وتقول: أنت تعرف أنني لم أكن لأسمح بحدوث هذا يا ديفيد. انتظرنناك.

بعد ست ساعات، بيلتشر على قدميه يتحرك بخطوات غير ثابتة عبر ممر المستوى الأول، يحيط به تيد أبشو وبام وأرنولد بوب ورجل اسمه فرانسيس ليفين. المسمّى الوظيفي الرسمي لليفين هو "وكيل أعمال" مجمع البنية الفوقية، ويتكلم بسرعة ميل في الدقيقة: ... أصبنا بخرق في سطح الفلّك منذ سبعمئة وثلاثة وثمانين عامًا، لكن أجهزة استشعار الفراغ التقطته.

يقول بيلتشر: إذن إمداداتنا...

- أقوم بمجموعة من الاختبارات، لكن يبدو أن كل شيء اجتاز المدة محفوظةً تمامًا.

- كم أوقف من طاقم العمل؟

- ثمانية فقط، ونحن في الحساب.

يصلون إلى الأبواب الزجاجية الأتوماتيكية التي تفتح على المغارة ذات الخمسة مليون قدم مربع التي تعمل كمستودع للإمدادات ومواد البناء. حملت بشكل عاطفي اسم "الفلك"، وهي واحدة من المفخر العظيمة للهندسة والطموح البشريين.

تنتشر في المكان رائحة معدنية رطبة.

تتدلى كرات ضوء هائلة من السقف، وتمتد إلى الوراء في الفلك بقدر ما يمكن للعين أن ترى.

يسيرون نحو سيارة هامفي عسكرية مصفوفة عند مدخل نفق، وقد انقطعت أنفاس بيلتشر بالفعل، وهُدِّدته ساقاه بالتوقف مصابتين بالتشنجات.

يقود بوب السيارة.

لم تعمل أنوار النفق بعد، وتهبط السيارة المنحدر المائل بمقدار خمس عشرة درجة إلى ظلام دامس، لا شيء يضيء طريقها إلا المصباحان الأماميان الوحيدان المنعكسة أضواؤهما الساطعة من فوق الجدران الصخرية المبتلة.

يصعد بيلتشر راكبًا بجوار تابعه الأمين.

ما زال التشوش حاضرًا، لكنه يتناقص.

لقد أخبره المحيطون به أن الإرجاء دام ألفًا وثمانمئة عام، لكن مع كل نفس يأخذه، يبدو هذا أقل إمكانًا وأقل. في الحقيقة، يبدو كأنها ساعات فقط مرّت منذ حفل رأس السنة ذاك في عام 2013، عندما شرب هو وطاقمه بأكمله شامبانيا (دوم برينيون)، وتجرّدوا من ثيابهم، ودخلوا وحدات الإرجاء الخاصة بكل واحد منهم.

تتحرر أذناه من الضغط مع هبوطهم في الطريق.

تمتلئ معدته بوخزات طاقة عصبية.

يلقي بيلتشر نظرة من فوق كتفه، ويحدق إلى ليفين الجالس في المقعد الخلفي؛ شاب رشيق له وجه طفل وعينا حكيم.

يتساءل بيلتشر: هل سنكون آمنين لو تنفسنا في هذا الجو؟

يقول ليفين: لقد تغير، لكن بشكل طفيف فقط. ما زال النتروجين والأكسجين، والحمد لله، هما المكونان الأساسيان، لكن التركيب الآن زاد فيه الأكسجين بنسبة واحد في المئة، وقلّ فيه النتروجين بنسبة واحد في المئة؛ لقد عادت غازات الاحتباس الحراري إلى معدلات عصر ما قبل الصناعة.

- أثق أنكم بدأتُم بالفعل تقليل الضغط في مجمع البنية الفوقية؟

- كان هذا أول بند في جدول الأعمال؛ نحن بالفعل نشطف الهواء من الخارج.

- هل توجد أي أمور عالقة ذات صلة؟

- أماننا بضعة أيام قبل أن تعمل أنظمتنا بكامل طاقتها وتصحح أخطاءها.

- أين تضعنا ساعتنا الإلكترونية بحسب التقويم المسيحي؟

- اليوم هو الرابع عشر من فبراير عام 3813 ميلادية.

ثم يبتسم ليفين ابتسامة عريضة ويقول: عيد حب سعيد عليكم جميعًا.

يوقف آرنولد بوب السيارة الهامفي، وأشعة مصباحيها الأماميين العالين مسلطة على الجانب الخلفي من البوابة المصنوعة من التيتانيوم، والتي حمت النفق ومجمع البنية الفوقية وكل النايمين داخله من العالم الخارجي.

يطفئ بوب المحرك، ويترك المصابيح مضاءة.

عندما ينزلون جميعاً من السيارة، يدور بوب إلى الخلف ويفتح أبواب الشحن.

يتناول بندقية يدوية التعمير من فوق المشجب.

يقول بيلتشر: بربك يا آرنو! أنت متشائم دائماً.

- لهذا تدفع لي مرتباً كبيراً، أليس كذلك؟ لو كان عليّ، لأتيت بفريقي التأميني كله معي.

- لا، سنُبقي هذا في نطاق ضيق حالياً.

يقول ليفين: هل تمانعين في إحضار كشافك اليدوي معك يا بام؟

عندما تسلط الشعاع على عجلة فتح البوابة، يقول بيلتشر: دعونا ننتظر لحظة.

يعتدل ليفين في وقفته.

يقرب بوب منهم.

تلفت بام وتيد ليواجهاه.

صوت بيلتشر ما زال أجش من العقاقير التي أعادت إحياءه.

يقول: دعونا لا نترك هذه اللحظة تمرُّ بنا هكذا. يتفحصه أتباعه. "هل تفهمون جميعاً ما فعلناه؟ لقد أكملنا للتو أخطر وأجراً رحلة في التاريخ البشري، ليس عبر المسافة، لكن عبر الزمن. أتعرفون ما ينتظرنا على الجانب الآخر من هذا الباب؟".

يترك السؤال عالماً.

لا أحد يلتقط الطعام.

- اكتشاف خالص.

تقول بام: لا أفهم.

- قلتها من قبل، وسأقولها مرة أخرى. هذا هو نيل أرمسترونج يهبط درجات أبولو 11 ليقف على القمر لأول مرة.. الأخوان رايت يختبران طائرتهما في بلدة كيتي هوك.. كولومبوس يسير على شاطئ العالم الجديد. لا توجد معرفة بما يوجد على الجانب الآخر من هذه البوابة.

تقول بام: لقد تنبأت بأن البشرية ستكون منقرضة..

- نعم، لكن تنبؤي كان هكذا فقط.. مجرد تنبؤ. لعلي كنت مخطئاً. قد تكون هناك ناطحات سحاب بارتفاع عشرة آلاف قدم. تخيلوا رجلاً من عام 213 ميلادية يخطو إلى عام 2013. "أجمل شيء يمكننا أن نمرّ به هو الغامض" كما قال ألبرت أينشتين، ينبغي لنا جميعاً أن نتذوق هذه اللحظة.

يولي ليفين انتباهه لعجلة فتح البوابة، التي يبدأ في لفّها عكس اتجاه عقارب الساعة.

عندما تصل أخيراً إلى نهاية لفّاتها وتستقر مكانها، يقول: سيدي؟ هل أنت مهتم بقص شريط الحفل؟

يقترّب بيلتشر من البوابة.

يقول ليفين: إنه هذا المزلاج، هنا.

يرفع بيلتشر المزلاج.

لا يحدث شيء للحظة.

تنطفئ أضواء السيارة الهامفي.

فقط شعاع كشاف بام الهزيل هو ما يشق الظلام.

يبدأ شيء ما أسفل أقدامهم في الأنين، كأنه صرير سفينة قديمة.

تهتز البوابة الثقيلة، وتبدأ في الصرير منفتحة.

وعندئذٍ...

ينسكب الضوء على الأرض المرصوفة، منتشرًا نحوهم في بقعة مشعة.

قلب بيلتشر يدق بقوة.

إنها أكثر لحظات حياته إثارة.

يتطاير الجليد داخلًا عبر الأرض المرصوفة، وتشق النفق دفقة من برد يرجف العظام. يضيّق بيلتشر عينيه في مواجهة الضوء.

عندما تفتح البوابة ذات الأربعة أقدام تمامًا، توطر العالم من خلفها كأنه صورة.

يرى جميعهم غابة صنوبر تناثرت فيها الصخور وسط عاصفة ثلجية.

يتحركون إلى داخل الغابة، سائرين في طبقة من نثار ناعم بعمق قدم.

الأمر يتجاوز الهدوء.

صوت الثلج الساقط أشبه بالهمس.

بعد مائتي ياردة، يتوقف بيلتشر، يتوقف الآخرون أيضًا.

يقول: أعتقد أن هنا كان موضع الطريق المؤدي إلى وايوارد باينز.
ما زالوا واقفين في غابة صنوبر كثيفة، لا أثر لطريق في أي مكان.
يُخرج بيلتشر بوصلة.

يتوجهون شمالاً إلى داخل الوادي.
أشجار الصنوبر الشاهقة تطل عليهم.
يقول بيلتشر: تُرى كم مرة احترقت هذه الغابة ونمت من جديد!
يشعر بالبرد، توجهه رتاه، وهو واثق أن الآخرين يشعرون بنفس
الضعف، لكن لا أحد يشكو.

يكملون سيرهم الشاق إلى أن تنتهي الأشجار. ليس واثقاً من
مقدار المسافة التي قطعوها. لقد توقف الثلج، ولأول مرة يرى شيئاً
أليفاً: تلك الجدران الصخرية الهائلة التي أحاطت منذ ألفي عام
تقريباً ببلدة وايوارد باينز الصغيرة.

يدهشه كم الراحة التي يجدها في رؤية هذه الجبال من جديد.
الألفيتان زمن طويل فيما يتعلق بالغابات والأنهار، لكن المرتفعات
الصخرية تبدو فعلياً ثابتة لم تتغير، كأنها أصدقاء قدامى.

سرعان ما تقف جماعتهم في مركز الوادي.

لم تبقى بناية واحدة.

ولا حتى الأطلال.

يقول ليفين: كأن البلدة لم تكن هنا قط.

تساءل بام: ماذا يعني هذا؟

يقول بيلتشر: أن الطبيعة استعادت السيطرة؛ أن البلدة اختفت.

- من المستحيل أن نعرف يقينًا، ربما أيدهو الآن محمية ضخمة، وربما لم تعد أيدهو موجودة على الإطلاق، لدينا الكثير كي نعرفه عن هذا العالم الجديد.

يبحث بيلتشر عن بوب، لقد تمشى الرجل مبتعدًا بمسافة عشرين ياردة إلى منطقة خلاء، حيث يركع فوق الثلج.

- ما الأمر يا آربي؟

يلوح لبيلتشر كي يأتي.

عندما تتحلق المجموعة حول بوب، يشير إلى مجموعة من الآثار.

يتساءل بيلتشر: بشرية؟

- إنها في حجم أثر قدم إنسان، لكن المسافة خاطئة تمامًا.

- كيف ذلك؟

- أيًا كان هذا الشيء، فهو يتحرك على أطراف أربعة.. أترى؟

يلمس الثلج ويكمل: ها هما الساقان الخلفيتان، وها هما الساقان الأماميتان. انظروا إلى المسافة بين الآثار، إنها طريقة مشي جهنمية.

في الناحية الجنوبية الغربية من الوادي، يجدون مجموعة من الأحجار بارزة من الأرض، متناثرة عبر غيضة من أشجار البلوط والهور. يقرفص بيلتشر ليتفحص أحد الأحجار، نافضًا الثلج عن قاعدته، كان ذات يوم كتلة من رخام مصقول، لكن الزمن أبلاه وكساه بالخشونة.

تتساءل بام وهي تقرر يدها على قمة حجر آخر مشابه: ما هذه؟

يقول بيلتشر: بقايا مقبرة، لقد تأكلت النقوش، هذا هو كل ما تبقى من واوارد باينز القرن الواحد والعشرين.

يسيرون عائدين إلى الديار، عائدين نحو مجمع البنية الفوقية.

كلهم يشعرون بالوهن.

كلهم يشعرون بالبرد.

يتساقط الثلج من جديد، كفنٌ من البياض يسقط على خلفية من المرتفعات الصخرية والأشجار دائمة الخضرة.

يقول ليفين: لا تبدو عملياً موطناً لأي أحد..

يقول بيلتشر: أحد الأشياء الأولى التي سنفعلها أن نرسل الطائرات من دون طيار. سنرسلها إلى بويسي، وميزولا، وحتى إلى سياتل، سنعرف إن كان هناك أي شيء باقٍ.

يقتفون آثارهم عائدين إلى الغابة. وإذ يحطُّ الصمت على المجموعة، ترتفع صرخة في الوادي خلفهم، واهية ومنذرة، يتردد صداها من الذرى التي أخفاها الجليد.

يتوقف الجميع.

صرخة أخرى تجاوب الأولى؛ أدنى درجة، لكنها تحوي ذات المزيج من الحزن والعدوانية.

يفتح بوب فمه ليتحدث عندما تتعالى صرخات عشيرة كاملة من الغابة في كل مكان حولهم.

يسرعون عبر الثلج، مهرولين في البداية، لكن عندما تقترب الصرخات منهم، يسارع الجميع إلى العدو بأقصى طاقتهم.

على مبعده مائة ياردة من النفق، تنتهي قدرة ساقى بيلتشر على التحمل ويسيل العرق على وجهه. كان الآخرون قد وصلوا إلى البوابة، يمرُّون عبرها، ويصيحون به كي يجري أسرع، وأصواتهم تختلط بالصرخات من خلفه.

تتشوش رؤيته.

يلقي نظرة وراءه.

يلمح حركة في أشجار الصنوبر؛ أشكال شاحبة تطارده على أربع عبر الأشجار.

يشهق باحثًا عن الهواء، مفكرًا: سأموت في يومي الأول بعد الإرجاء.

يسودّ العالم، ووجهه يتجمد فجأة.

لم يفقد الوعي.

لقد سقط فقط على وجهه في الجليد، غير قادر على الحركة.

عندما تعلق الصرخات المقتربة، يُرفع فجأة من النشار. من نقطة رؤيته الجديدة، مرفوعًا فوق كتف آرنولد بوب، يرى الغابة تركض خلفه ومخلوقات ذات هيئة بشرية تتزاحم، أقربها على مبعده خمسين قدمًا.

يدفعه بوب عبر البوابة التيتانيوم، وعندما يرتطم بيلتشر بالأرض، يقفز بوب إلى الداخل.

ينضغط وجه بيلتشر على الخرسانة الباردة.

يصيح بوب: تراجعوا! ما زال الوضع خطيرًا!

تنصق البوابة منغلقة.

على الناحية الأخرى، تصطم بالمعدن سلسلة من الخبطات القوية.

شاعرًا بالأمان الآن، ينحسر وعي بيلتشر.

آخر ما يسمعه قبل أن يغيب وعيه صوت بام وهو يشق الجو الهيستيري صارخًا: ما هذه الأشياء بحق اللعنة؟

القسم الأول

بعد ساعتين من مكاشفة إيثان بيرك

جنيفر روشيستر

كان المنزل في ظلامٍ دامسٍ لعين.

جرّبت جنيفر مصباح المطبخ بشكلٍ غريزي، لكن لم يحدث شيء.

تحسّست طريقها حول الثلاجة إلى الخزانة أعلى الموقد، وفتحتها، وقبضت على الشمعدان البلوري وشمعة وعلبة الكبريت. فتحت الغاز وأشعلت عود كبريت أدنته من العين الخلفية، ووضعت غلاية الشاي على اللهب الأزرق الذي تعالَى فحيحه.

أشعلت ما تبقى من الشمعة، وجلست إلى مائدة الإفطار.

في حياتها السابقة كانت تدخن علبة سجائر في اليوم، رباه لو أمكنها أن تدخن سيجارة الآن! أي شيء يهدئ أعصابها ويديها اللتين لم تكفّ عن الارتعاد.

عندما امتلأت عيناها بالدموع، انكسر ضوء الشمعة فيهما.

كل ما أمكنها التفكير فيه هو زوجها، تيدي، وكم تشعر ببعدها عنه.

مسافة ألفي عام على وجه الدقة.

لطالما أخفت داخلها أملاً بأن العالم ما زال موجوداً في الخارج. فيما وراء السور. فيما وراء هذا الكابوس. أن زوجها ما زال موجوداً هناك، وبيتها، ووظيفتها في الجامعة. على مستوى ما كان ذلك الأمل هو ما أبقاها طوال تلك السنين. الأمل بأنها قد تستيقظ ذات يوم من جديد في مدينة سبوكان، سيكون تيدي راقداً بجوارها، ما زال نائماً، وسيكون هذا المكان -وايوارد باينز- محض حلم. ستنزلق بهدوء من الفراش، وتذهب إلى المطبخ وتطهو له البيض. ستخمر إناءً من القهوة القوية، ستنتظره على مائدة الإفطار عندما يهبط من الفراش متعثراً في ذلك الروب المقرف، مشعثاً وناعساً وكل هذه الأشياء التي تحبها فيه. ستقول: "حلمت ليلة أمس أغرب حلم"، لكن ما إن تحاول تفسيره، حتى ينفلت كل ما مرّت به في وايوارد باينز إلى ضباب الأحلام المنسية.

ستبتسم فقط من وراء المائدة إلى زوجها وتقول: نسيت.

والآن، ضاع أملها.

كانت الوحدة طاغية.

لكن أسفلها كان الغضب ينضج على نار هادئة.

الغضب من أن هذا فُعل بها.

الغضب من كل هذه الخسارة.

بدأت غلاية الشاي تصدر صفيها.

جاهدت كي تقف، والأفكار تتسارع في عقلها.

مكتبة
t.me/soramnqraa

رفعت الغلاية من فوق اللهب فتوقف الصغير، وصبّت الماء المغلي في قدحها الخزفي المفضّل الذي تحتفظ فيه بمصفاة شاي مليئة -دائمًا- بأوراق الكاموميل. حملت القدح في يدٍ، والشمعة في الأخرى، وخرجت من المطبخ المظلم إلى الرواق.

كان أغلب أهل البلدة ما زالوا في المسرح، مترنّحين من أثر مكاشفة المأمور لهم بحقيقة الأمر، وربما كان ينبغي لها أن تبقى مع الجميع، لكن حقيقة الأمر أنها أرادت أن تكون وحيدة. الليلة، هي فقط في حاجة إلى البكاء في الفراش. لو جاء النوم سيكون هذا شيئًا عظيمًا، لكنها لم تكن تتوقع هذا بالضبط.

انعطفت عند زاوية الدرابزين وبدأت صعود السلام ذات الصرير، وضوء الشمعة يرتعش على الجدران. لقد انقطعت الكهرباء عدة مرات من قبل، لكنها لم تستطع الهروب من الإحساس بأن الليلة -من بين كل الليالي- تعني شيئًا ما.

بيدَ أن فكرة أنها أوصدت كل باب وكل نافذة منحنتها راحة بال صغيرة... صغيرة جدًا.

المأمور إيثان بيرك

تطلّع إيثان محدقًا إلى البناء المرتفع حتى خمسة وعشرين قدمًا من أبراج الفولاذ والموصّلات المسنّنة المطوّقة بلقّات من السلك الشائك. كان السور -في العادة- يطنُّ بتيارٍ كافٍ لصعق شخص ألف مرة. له صوتٌ عالٍ بحيث يمكنك أن تسمعه من مبعده مائة ياردة وتحس به في حشوات ضروسك من مسافة قريبة.

أما الليلة، فلم يسمع إيثان شيئًا.

الأسوأ من ذلك أن البوابة التي يبلغ ارتفاعها ثلاثين قدمًا نهضت مفتوحة على اتساعها.

مفتوحة على آخرها.

مرقت سحبٌ من الضباب كأنها مقدمة لعاصفة وشيكة، وحملق إيثان إلى الغابة السوداء وراء السور. سمع صرخات بدأ يتردد صداها في الغابة أعلى من وجيب قلبه.

المنحرفون قادمون في الطريق.

بدأت كلمات ديفيد الأخيرة تتردد في ذهنه بشكلٍ متكررٍ:

الجحيم قادم إليك.

كانت هذه غلطة إيثان.

الجحيم قادم إليك.

لقد ارتكب خطأً باستثارة عدااء هذا المريض النفسي اللعين.

الجحيم قادم إليك.

وإخبار الناس بالحقيقة.

والآن سيموت كل من في البلدة، ومن ضمنهم زوجته وابنه.

ركض إيثان عائداً عبر الغابة، والهلع يتنامى داخله مع كل خطوة، مع كل شهيق يائس. شقَّ طريقه بين أشجار الصنوبر، وصار الآن يعدو بمحاذاة السور الهادئ.

ربضت سيارته البرونكو أمامه تمامًا، وكانت الصرخات بالفعل أعلى وأقرب.

قفز خلف عجلة القيادة، وأدار المحرك وانطلق إلى داخل الأشجار، دافعاً نظام التعليق⁽¹⁾ إلى مدهاء، قاذفاً شظايا الزجاج الأخيرة القليلة مما تبقى من النافذة الأمامية.

وصل الطريق الذي يعود ملتفًا إلى داخل البلدة، وصعد فوق الحاجز هادراً ليعود إلى الطريق المرصوف.

(1) نظام التعليق هو المسؤول عن الثبات والتوازن في هيكل السيارة وغرفة القيادة والمحافظ على ثبات السيارة على الطرقات والمنعطفات. (المترجم)

ضغط دواسة البنزين حتى تساوت بالأرضية.

ولول المحرك.

انطلق خارجًا من بين الأشجار وأسرع بجوار مرعى.

سطعت الأشعة العالية على اللافتة عند حافة البلدة، لتظهر عائلة من أربعة أشخاص يلوحون مبتسمين بتلك الابتسامات المقرفة خالية البال التي تليق بخمسينيات القرن العشرين أعلى الشعار القائل:

مرحبًا بكم في وايوارد باينز

حيث الفردوس هو الوطن

لم يعد كذلك، هذا ما دار في خلد إيثان.

لو حال فهم الحظ، سيصل المنحرفون إلى معمل الألبان أولاً، ويشقُّون طريقهم بمذبحه للقطيع قبل أن يدخلوا البلدة.

ها هي ذا.

أمامه مباشرةً.

ضواحي وايوارد باينز.

في أي يوم صحو، كانت المدينة مثلاً للكمال. مربعات منسقة من منازل فيكتورية الطراز زاهية الألوان. سياجات خشبية بيضاء. عشب أخضر وافر. بدا الشارع الرئيسي كأنه شيء مشيّد من أجل السائحين كي يتمشّوا فيه ويحلموا بالتقاعد هنا ليعيشوا حياة الرفاهية؛ حياة الجمال القديم. كانت الأسوار الجبلية المحيطة بالبلدة تعدّ بالمأوى والأمن. للوهلة الأولى لا شيء فيها يبدو كمكان لا يمكنك أن تغادره، مكان يمكن أن تُقتل فيه حتى على المحاولة.

إلا الليلة.

الليلة.. نهضت المنازل والأبنية مظلمة بطريقة تنذر بالشر.

انعطف إيثان في الجادة العاشرة، وانطلقت السيارة زاعقة عبر سبعة مربعات سكنية قبل أن تشقَّ طريقها إلى الشارع الرئيسي بقوة بالغة حتى إن عجلات الجانب الأيمن ارتفعت عن الأرض.

أمامه بقليل، عند تقاطع الشارعين الرئيسي والثامن، وقف أهل البلدة جميعهم حيث تركهم: أمام دار الأوبرا. أربعمئة ونيف نفسٍ تنتظر في الظلام كأنهم طُردوا من حفل ما دفعةً واحدة، وهم ما زالوا يرتدون أزياءهم السخيفة من أجل المهرجان.

أطفاً إيثان محرك السيارة ونزل منها.

كانت رؤية الشارع الرئيسي في الظلام غريبة، وكل واجهات المحلات الزجاجية لا يضيئها إلا نور المشاعل. مكتبة سُر مَن قرأ أمامه مقهى (ستيمينج بين).

(الكنوز الخشبية)؛ محل اللعب الذي تملكه كيت وزوجها هارولد بالينجر. فندق واوارد باينز.

مخبز ريتشاردسون.

حانة بيرجارتن.

محل حلويات (سويت تووث).

شركة واوارد باينز العقارية، حيث تعمل تيريزا زوجة إيثان.

تعالت ضجة الحشد غامرة.

كان الناس يفيقون من حالة عدم التصديق والصدمة في أعقاب قرار إيثان بإخبارهم الحقيقة كلها عن واوارد باينز. بدؤوا يتكلمون أحدهم مع الآخر -من بعض النواحي- لأول مرة.

هرعت إليه كيت بالينجر. كانت كيت وزوجها هارولد على منصة الإعدام في مهرجان الليلة، لكن مكاشفة إيثان أنقذت حياتهما لحظتها.

أحدهم قام بخياطة سريعة للجرح العميق أعلى عينها اليسرى، لكن وجهها كان ما زال يحمل خطوطاً من الدماء، التي لبّدت أيضاً شعرها الذي شاب قبل الأوان. كان اختفاء كيت في وايوارد باينز هو ما أتى بإيثان إلى هذه البلدة قبل ألفي عام. في عمر آخر، كانا يعملان معاً في جهاز الخدمة السرية. كانا زميلين. ولفترة قصيرة، ملتهبة، كانا أكثر من زميلين.

أمسك إيثان بذراع كيت وجذبها بسرعة وراء السيارة البرونكو بعيداً عن مسمع الحشد. كادت تموت الليلة، وعندما أطرق إيثان محدقاً إليها، استطاع أن يرى في عينيها أنها تربط كل شيء معاً بخيطٍ واهٍ.

قال: لقد قطع بيلتشر الكهرباء.

- أعرف.

- لا، أقصد أنه قطع الكهرباء عن السور أيضاً. فتح البوابة.

تفحصت إيثان كأنها تحاول أن تستوعب بدقة مقدار سوء الخبر الذي تلقته للتوّ.

قالت: إذن هذه الأشياء... المنحرفون...

- يمكنهم دخول البلدة الآن. وهم قادمون. سمعتهم عند السور.

- كم عددهم؟

- لا أعرف. حتى أي مجموعة صغيرة منهم ستكون كارثية.

ألقت كيت نظرة وراءها نحو الحشد.

كانت المحادثات تنقطع، والناس يقتربون كي يسمعوا الأخبار.

قالت: بعضنا لديه أسلحة، وقلة تمتلك سواطير.

- لن يكفي هذا.

- ألا يمكنك أن تناقش بيلتشر بالعقل؟ أن تعاود الاتصال به؟
تغيّر رأيه؟
- لقد تجاوزنا هذه النقطة.
- قالت: إذن نعيد كل الناس إلى داخل دار الأوبرا، لا توجد نوافذ.
ثمة مخرج واحد على كل جانب من جانبي المسرح، أبواب مزدوجة
في المدخل. سنحصن أنفسنا بالداخل.
- وماذا لو حوصرنا أيّامًا؟ بلا طعام، بلا تدفئة، بلا ماء. ولا
يوجد أي قدر من المتاريس سيّقي المنحرفين بعيدًا إلى ما لا
نهاية.
- إذن ماذا يا إيثان؟
- لا أعرف، لكن لا يمكننا أن نعيد الناس إلى بيوتهم.
- لقد غادر البعض بالفعل.
- قلت لك أن تُبقي الجميع هنا.
- حاولت.
- كم عدد من عادوا إلى البيوت؟
- خمسون، ستون.
- يا إلهي!
- لمح إيثان زوجته وابنه -أسرته الغالية- يتحركان نحوه عبر الحشد.
قال: لو تمكنتُ من دخول مجمع البنية الفوقية، لو تمكنتُ من
إطلاع دائرة بيلتشر الداخلية على حقيقة الرجل الذي يخدمونه، فقد
تكون لدينا فرصة.
- إذن اذهب.. حالًا.

- لن أترك أسرتي، ليس هكذا.. ليس دون خطة حقيقية.

وصلت تيريزا إليه. كانت قد شدّت شعرها الأشقر الطويل في ذيل حصان، وارتدت هي وبن ثيابًا سوداء.

قبّلها إيثان، ثم داعب شعر بن. كان بمقدور إيثان بالفعل أن يرى الرجل الذي قد يصبح عليه ابنه ذو الاثني عشر عامًا ملتئمًا في عينيه، كأنه إنذار بالنضج.

سألته تيريزا: ماذا وجدت؟

- لا شيء طيب.

قالت كيت: وجدتها! نحن في حاجة إلى مكان آمن بينما تقوم باقتحام مجمع البنية الفوقية.

- صحيح.

- مكان محمي، يمكن الدفاع عنه، فيه بالفعل مخزون من الإمدادات والمؤن.

- بالضبط.

ابتسمت وقالت: قد أعرف بالفعل مكانًا كهذا.

قال إيثان: مغارة الجوّالين.

- نعم.

- قد يفلح هذا. لديّ بنادق في مكتب المأمور.

- اذهب وائت بها. خذ براد فيشر معك.

أشارت إلى الرصيف، وقالت: إنه هناك.

- كيف سنصعد بهذا العدد من الناس الجرف الصخري؟

قالت كيت: سأقسّم الجميع إلى مجموعات تتكوّن كل واحدة من مئة شخص، وكل مجموعة يقودها شخص يعرف الطريق.

تساءلت تيريزا: ماذا نفعل حيال الأشخاص الذين ذهبوا إلى البيوت؟
أجابتها صرخة واحدة بعيدة.

كان أفراد الحشد يهتممون.

لكن الآن صمت الجميع.

أتى الصوت من جنوب البلدة؛ آهة واهية شريرة.

شيء لا يمكنك أن تفسره أو تصفه، لأنك لم تسمعه فقط.

بل شعرت بمعناه.

وكان معناه: الجحيم قادم.

قال إيثان: سيكون من الصعب حماية الناس الذين بقوا.

- إذن سيكونون وحدهم فقط؟

- نحن جميعًا وحدنا الآن.

دار إلى مقعد الراكب الأمامي في السيارة، ومدّ يده داخلها، وأمسك بمكبّر الصوت. ناوله إلى كيت وسألها: فهمتِ هذا؟

أومأت برأسها.

نظر إيثان إلى تيريزا: أريدك أنت وبن أن تظلاً مع كيت.

- حسنًا.

قال بن: سأتي معك يا بابا.

- أحتاج إليك مع ماما.

- لكن يمكنني مساعدتك.

- هكذا تساعدني.

والتفت إيثنان إلى كيت: سألحق بكم بعد ذهابي إلى مكتب المأمور.

- تعال إلى المتنزّه الصغير عند الطرف الشمالي من البلدة.

- ذو السقيفة المفتوحة؟

- ذاك هو.

جلس براد فيشر، محامي وايوارد باينز الوحيد، بصعوبة في مقعد الراكب الأمامي المحطم في سيارة إيثنان، متشبثاً بمقبض الباب، بينما تجاوز إيثنان الستين ميلاً في الساعة على الجادة الأولى.

ألقي إيثنان نظرة نحوه وهو يسأله: أين زوجتك؟.

قال براد: كُنّا في المسرح. كنتَ تتكلم، تخبرنا بكل شيء، ثم نظرت لأجد ميجان قد اختفت.

قال إيثنان: نظرًا إلى ما كانت تُعلّمه للأطفال من وراء ظهور آبائهم، ربما تصورت أن الناس سيرونها خائنة؛ خافت على حياتها. كيف تحس حيالها الآن؟

بدا أن هذا أخذ براد على غرة. في العادة كان يبدو لامعًا وحليق الوجه، نموذجًا لمحام شاب كفؤ، أما الآن، فقد حكّ ذقنه النامية الخشنة وقال:

- لا أعرف. لم أحس قط فعليًا أي أعرفها أو أنها تعرفني. عشنا معًا لأننا أمرنا بهذا، نمنا في نفس الفراش، وأحيانًا كنا ننام معًا.

- يبدو هذا مثل حال زيجات حقيقية كثيرة. هل أحببتها؟

تنهد براد وقال: الموضوع معقد. بالمناسبة، لقد فعلت الشيء الصحيح.. بإخبارنا الحقيقة.

- لو عرفت أنه سيقطع الكهرباء عن السور...

- لا تكمل يا إيثان. لا يمكنك أن تلعب هذه اللعبة، فعلت ما آمنت أنه الصحيح، أنقذت كيت وهارولد، أطلعنا جميعاً على ما تساويه حياتنا فعلاً.

قال إيثان: تُرى إلى كم من الوقت سيدوم هذا الشعور بعد أن يبدأ الناس في الموت.

سقطت الأنوار العالية على مكتب المأمور المعتم. انحرف إيثان نحو الرصيف، وصعد بالسيارة فوقه. أوقفها على مبعدة أقدام قليلة من المدخل وخرج، وضغط زر كشف يدوي عندما وصل هو وبراد إلى الأبواب المزدوجة. فتح إيثان قفلها، وجذب أحدها ليفتحه.

سأله براد، وهما يركضان عبر الرواق، وينعطفان في الممر المؤدي إلى حجرة مكتب المأمور: ما الذي سنجلبه؟

- أي شيء يطلق النار.

أمسك براد بالكشّاف، بينما أخرج إيثان البنادق من الخزانة والذخيرة المناسبة لها.

وضع بندقية موسبرج 930 على المكتب وحشاها بثمانية خراطيش.

ألقم ثلاثين طلقة في خزانة بندقية بوشماستر إيه آر 15.

ملأ خزانة مسدسه الديزيرت إيجل.

كان هناك المزيد من الرشاشات.

بنادق الصيد.

المسدسات.

مسدس سريع الطلقات.

مسدس بساقية ماركة سميث آند ويسون عيار 357.

حشا مسدسين آخرين، لكن هذا كان يستهلك وقتًا أكثر مما يجب.

كيت هيوسون بالينجر

قبضت على ذراع هارولد. كان زوجها سيأخذ مجموعته إلى مدخل على مبعدة بضعة مربعات سكنية جنوبًا، بينما ستقود مجموعتها إلى الطرف الشمالي من البلدة.

أحاطت رقبته بذراعيها، وقبّلته قبلة طويلة وعميقة.

قالت: أحبك..

ابتسم ابتسامة عريضة، وشعره الفضي ملتصق بجبهته من العرق رغم البرد القارص، والكدمات على وجهه بدأت تسوّد.

- كاتي، لو حدث شيء...

قالت: لا تفعل هذا..

- ماذا؟

- فقط ضع مؤخرتك على الجرف الصخري.

على مبعدة عدة مربعات سكنية، عوى شيء ما. عندما تحركت
نحو الحشد الذي ينتظر كي يتبعها إلى الأمان، ألقى نظرة وراها
وقبلت نحو هارولد.
التقطها من الهواء.

جنيفر

في غرفة نومها، وضعت جنيفر الشمعة على خزانة الأدراج وخلعت الزي الذي ارتدته من أجل المهرجان: معطف مطر أسود فوق ثياب داخلية طويلة حمراء، واكتمل الزي بقبرني شيطان صناعة منزلية. كان قميص نومها في انتظارها، معلقًا على ظهر الباب.

ما إن دخلت الفراش حتى شربت شاي الكاموميل وراقبت ضوء الشمعة وهو يتراقص على السقف.

نزل الشاي دافئًا إلى جوفها.

كان هذا روتينها المستمر منذ ثلاثة أعوام إلى الآن، وقالت في عقلها إنه من الحكمة ألا تكسره الليلة.. عندما يتحطم عالمك، تشبّث بالمألوف.

فكرت في كل سكان وايوارد باينز الآخرين.

سيمرون بنسخٍ مختلفةٍ من هذا الحال.

يسائلون كل ما قيل لهم.

يتصالحون مع مقدار الظلم المحزن الذي تعرضوا له.

ماذا سيأتي به الغد؟

كانت النافذة بجوار سريرها مواربة، وتيار من هواء الليل القارس يتسرب إلى الداخل. كانت تُبقي غرفتها باردة باختيارها، وتعشق إحساس النوم في غرفة مثلجة تحت جبل من البطانيات.

عبر الزجاج، كان الظلام تامًا.

صمتت صراصير الليل.

وضعت قدح الشاي على الطاولة الجانبية، وجذبت البطانيات فوق ساقها. لم يتبقَّ إلا نصف بوصة من الشمعة على خزانة الأدراج، ولم تكن راغبة بعد في أن تشملها الظلمة التامة.

فلتحترق إلى حال سبيلها.

أغلقت عينيها.

أحسَّت كأنها تسقط.

أفكار كثيرة جدًّا، وخوف كبير جدًّا يضغط عليها.

ثقل محسوس.

فلتنامي فقط يا جنيفر.

فكرت في تيدي. في هذا العام الأخير، وجدت نفسها تتذكر رائحته، ونغمة صوته، وإحساسها بيديه على جسدها، أوضح بكثيرٍ من ذكرى وجهه.

بدأت تنسى كيف كان يبدو.

في مكان ما في الظلام بالخارج، بدأ رجل يصرخ.

اعتدلت جنيفر.

لم تسمع قط صراخًا مثل هذا.

رعب وعدم تصديق وعذاب غير مفهوم انضغطوا جميعًا في صرخة واحدة بدا أنها ستستمر وتستمر وتستمر.

كان هذا صوت شخص يُقتل.

هل استكملوا عملية إعدام كيت وهارولد بأي شكل؟

توقف الصراخ كأنه صنبور أُغلق.

أطرقت جنيفر ناظرةً أسفلها.

كانت واقفة على الأرضية الباردة المصنوعة من الخشب الصلب.

مضت إلى النافذة، ورفعتها إلى أعلى عدة بوصات.

تدفق البرد داخلًا.

صرخ أحدهم داخل بيت قريب.

انصفق باب.

ركض شخص ما عبر الزقاق.

تردد صدى صرخة أخرى عبر الوادي، لكن هذه الصرخة كانت مختلفة. كان نفس الصوت الذي أصدره الوحش داخل سيارة المأمور.

صرخة فظيعة غير بشرية.

جاوبتها صرخات أخرى بينما اندفعت في غرفة النوم رائحة حادة قوية -مثل رائحة المسك المتعفن- محمولة على النسيم.

انطلقت زمجرة حلقية خفيضة في حديقتها.

أغلقت جنيفر نافذتها وأوصدت مزلاجها.

عادت متعزّة، وعندما جلست على الحشية، سمعت شيئاً ما عبر نافذة غرفة المعيشة في الطابق الأرضي.

التفتت جنيفر بحدة نحو الباب.

انطفأ لهب الشمعة على خزانة الأدراج.

أطلقت شهقة.

صارت الغرفة ظلاماً دامساً، ولم تعد ترى يدها أمام وجهها.

قفزت ناهضة وتعزّت نحو باب غرفة النوم، ارتطمت ركبتيها بسحّارة عند طرف السرير، لكنها لم تسقط أرضاً.

بلغت الباب.

سمعت السلام تصرّ بينما شيء ما يصعد الدّرج.

أغلقت جنيفر الباب وتحسست بيدها بحثاً عن المزلج.

أدخلت ذراع المزلج في عروته.

أيّاً كان ما اقتحم منزلها فهو الآن في الرواق، وألواح الأرضية تئن تحت ثقله.

المزيد من الضوضاء في الطابق الأرضي.

قطقات وصيحات تملأ المنزل.

جثت على يديها وركبتيها، وزحفت عبر أرض الغرفة، بينما وقع الأقدام خارج بابها يقترب أكثر. تمددت وضغطت جسدها لتدخل تحت السرير، وقلبها يدق بقوة على الأرضية الخشبية المتربة.

كان بمقدورها سماع المزيد منهم يصعدون السلم.

انفجر باب غرفتها منزوعاً من مفصلاته.

أحدثت خطوات ما دخل غرفة نومها -أيًا كان- صوت نقرات على
الخشب الصلب، كأنها برائن،
أو مخالب.

شمّت الرائحة، أقوى من قبل؛ خليط من الأشياء الميئة؛ عفن ودم
ونتن من عالم آخر خارج نطاق فهمها.
لم تنبس ببنت شفة.

قرب جانب السرير، تعالي صرير ألواح الأرضية؛ كأنها تنوء بثقل
شيء يجثو عليها.
حبست أنفاسها.

حكّ شيء صلب وأملس ذراعها.

صرخت وانكملت بجسدها.

أحسّت فجأة ببرودة في كتفها.

وضعت يدها عليه.

وجدته مبتلاً.. لقد جرحها شيء ما.

همست: أرجوك يا رب...

كان هناك آخرون في الغرفة الآن.

آه يا تيدي! أرادت فقط أن ترى وجهه، مرة أخيرة.. إن كانت هذه
هي النهاية حقًا.

ارتفع السرير، وكشّطت إحدى سيقانه جنبها وهو يصطدم
بالحائط.

في العتمة التامة، لم تستطع الحركة، شلّها الخوف، نرف كتفها بغزارة، لكنها لم تستطع أن تشعر بشيء، تخدّر جسدها، صار آليًا، بينما تملكّتها استجابة الكر والفر.⁽¹⁾

كانوا قريبها الآن، يقفون محديقين بها، وأنفاسهم الغربية سريعة وقصيرة، مثل كلاب تلهث.

وضعت رأسها بين ركبتيها في وضع الاستعداد للاصطدام.

قبل أسبوعين جاء في رحلتها المشؤومة إلى وايوارد باينز، هي وتيدي، بعد أن قضيا يوم سبت في متنزه ريفرفرونت بارك في سبوكان. ألقيا بطانية رحلات خلوية على العشب وظلاً حتى الغسق، يقرآن كتبهما ويتفرجان على المياه البيضاء وهي تسقط في الشلالات.

للحظة، اقتنصت وجهه، ليس من الأمام، بل من الجانب. لامس نور الشمس الأخير أطراف ما بقي من شعره، والتمع منعكسًا من فوق عدسات نظارته ذات الإطار المعدني. كان يراقب الشمس وهي تهبط فوق الشلالات، راضيًا.. لحظتها، وكانت هي راضية أيضًا.

تيدي.

التفت لينظر إليها.

مبتسمًا.

بينما النهاية تقترب.

(1) نظرية الكر والفر وصفت لأول مرة من قبل والتر كانون في 1915. نظريته تقول إن الحيوانات تتفاعل مع الخطر بطريقة استنفار عام للجهاز العصبي الودي، مما يجعل الحيوان مستعدًا للقتال أو الهروب. (المترجم)

إيثان

كان براد يدفع حقيبة الظهر المحشوة بالذخيرة عبر النافذة الخلفية
المهشمة عندما قفز إيثان خلف عجلة القيادة.
نظر في ساعته.

لقد استهلكوا إحدى عشرة دقيقة.

قال إيثان: هيا بنا!

جذب براد الباب ليفتحه، وجلس على المقعد المكسور.

ألقى إيثان نظرة في مرآة الرؤية الخلفية. عبر وهج المصباح
الخلفي الأحمر، اندفع هيكل شاحب عابراً.
نقل الحركة إلى الورا.

تراجعوا عبر الرصيف، وارتطم رأس إيثان بالسقف عندما نزلت
الإطارات من فوق حاجز الرصيف.

ضغط إيثان الفرامل بقوة، وأوقف السيارة تمامًا في منتصف الطريق، ونقل الحركة إلى القيادة.

ضرب شيء ما باب الراكب الأمامي، صرخ براد، وقبل أن يلتفت إيثان كانت ساقا براد بالفعل تنزلقان عبر إطار النافذة الفارغ.

لم يستطع إيثان رؤية الدم في الظلام، لكن كان بمقدوره أن يشمّه؛ هبة قوية مفاجئة من الصداً في الهواء.

جذب مسدسه.

صمتت الصرخات.

كل ما استطاع أن يسمعه هو صوت احتكاك حذاء براد المتلاشي وهو ينجرُّ عبر الأرض المرصوفة.

قبض إيثان على الكشاف اليدوي، الذي أسقطه براد بين المقعدين.

أضاه وسلطه على الشارع.

يا إلهي!

سقط الضوء على منحرف.

جثم على ساقيه الخلفيتين فوق براد، ووجهه مدفون في حلقة.

رفع وجهه، وفمه مسوّد بالدماء، وأصدر فحيحًا نحو الضوء بذلك التحذير الشرير الذي يطلقه ذئب يحمي فريسته.

خلفه، أظهر الضوء مزيدًا من الهياكل الشاحبة قادمة إلى منتصف الشارع.

ضغط إيثان على البنزين.

في مرآة الرؤية الخلفية، طاردت دسطة من المنحرفين السيارة عدوًا على أربع، اقترب قائدهم من جانب بابيه، قفز على نافذة إيثان، لكنه أخطأها وضرب جانب السيارة بدلًا منها، وارتدَّ قافزًا.

شاهده إيثان يتعثر في الشارع، بينما داس هو بدال البنزين حتى ألصقه بأرضية السيارة.

عندما تطلَّع من جديد عبر النافذة الأمامية، وجد منحرفًا صغيرًا واقفًا على مبعدة عشرين قدمًا من الشبكة الأمامية، متسمرًا في ضوء المصباحين الأماميين، كاشفًا عن أنيابه.

تأهب إيثان للاصطدام.

أطاح ممتص الصدمات بالمنحرف ثلاثين قدمًا إلى الورا. دهسه إيثان وسحبه مسافة نصف مربع سكاني، والسيارة ترتج بعنفٍ شديدٍ حتى إنه بالكاد تمكَّن من إبقاء قبضته على عجلة القيادة.

أخيرًا لفظه الهيكل السفلي للسيارة.

أسرع إيثان نحو الشمال.

أظهرت مرآة الرؤية الخلفية شارعًا مظلمًا خاليًا.

تنفَّس الصعداء.

قرب شمال البلدة، انعطف إيثان غربًا، وقطع عدة مربعات سكنية نحو الشارع الرئيسي إلى أن سقطت أضواء المصباحين الأماميين على صف من الناس في الشارع، أضاءت حفنة من المشاعل وجوههم.

قاد السيارة فوق حاجز الرصيف.

ترك المفاتيح في نظام الإشعال حتى تظل المصابيح مضاءة.

دار إلى مؤخرة السيارة، وأنزل الباب الخلفي، وقبض على واحدة من البنادق الثلاث المحشوة.

كانت كيت واقفة إلى جانب باب مسحور خلف دكة، جانبه السفلي مكوّن من ألواح مقاسها بوصة في أربع بوصات وله مفصلات صدئة، وجانبه العلوي مموّه بالتراب والعشب. كانت كيت ورجل آخر يُنزلان الناس -واحدًا واحدًا- إلى تحت الأرض. التفت أعينهما عندما اقترب.

دفع بندقية في يديها، ونظر خلفه إلى الحشد؛ ما زال هناك خمسة وعشرون أو ثلاثون شخصًا باقين لينزلوا.

قال إيثان: كان يجب أن ينزلوا تحت الأرض قبل خمس دقائق..

- نمضي بأسرع ما يمكننا.

- أين بن وتيريزا؟

- نزلا بالفعل.

- المنحرفون هنا يا كيت.

رأى السؤال في عينيها قبل أن تسأله: أين براد؟

- نالوا منه، وأقول لك أماننا بضع دقائق، وسينتهي كل شيء.

كان الحشد يتحرك بكفاءة تليق بعملية إخلاء: في نظام، لا أحد يتكلم، وثمة توتر صامت في الجو.

صرخات -بشرية وغير بشرية- كانت تنفجر عبر البلدة بتردد أكبر.

التفت إيثان إلى الحشد.

قال: معي سيارة مليئة بالأسلحة، لو امتلك أحد منكم سلاحًا ناريًا قبل ذلك في حياتكم السابقة، لو لديكم أي خبرة أو استعداد، أيًا كان، تعالوا معي.

خرج عشرة أشخاص من الصف، وتبعوا إيثنان إلى مؤخرة السيارة البرونكو.

وقف بينهم هيكتِر جايثر، عازف البيانو. كان طويلًا ونحيفًا، اختلط بياض شعره بسواده واكتسى الجانبان بالبياض فقط. له ملامح رقيقة، تكاد تكون ملكية، وكان قد ارتدى زيًا يشبه جنيًا قاتلاً من أجل المهرجان.

سأله إيثنان: ما الذي كنت تطلق النار عليه في حياتك السابقة يا هيكتِر؟

- كنت أذهب لصيد البط مع أبي كل صباح كريسماش.

ناوله إيثنان بندقية موسبيرج.

- ألقمت هذه البندقية اثني عشر خرطوشًا، ستطلق نارًا أقوى قليلًا من خرطوش صيد الطيور الذي اعتدته.

أمسكها هيكتِر من مقبضها، وبدا من الغريب للغاية رؤية هاتين اليدين الناعمتين البارعتين تقبضان على بندقية تكتيكية.

قال إيثنان: سنكون أنا وأنت آخر الهابطين، سأكون معك هناك. وعاد بانتباهه إلى ترسانة الأسلحة: "تبقيّ لديّ بضعة مسدسات بخزانة دوّارة وحفنة مسدسات نصف يدوية. مَن يريد ماذا؟"

القسم الثاني

بيلتشر

وايوارد باينز

منذ اثني عشر عامًا

إنه الصباح.

يوم خريفي.

لم تكن السماء بهذه الزرقة في حياته السابقة. يمكنك أن تنظر على مدى البصر إلى درجات اللون التي تصل في نهايتها إلى الأرجواني. الهواء صافٍ ونظيفٌ للغاية حتى إنه يوحى بواقع فائق للحقيقة، والألوان زاهية على نحو مبهر.

يسير بيلتشر في الطريق المؤدي إلى البلدة. لقد مُهد منذ أسبوعين، وما زال يفوح برائحة القطران.

يمرُّ بلوحة الإعلانات الجديدة حيث يرسم عاملٌ حرف "س" في كلمة "الفردوس". عندما تكتمل، ستكون العبارة المكتوبة: مرحبًا بكم في وايبورد باينز حيث الفردوس هو الوطن.

يقول بيلتشر: صباح الخير! عمل ممتاز!

- أشرك سيدي!

ما زال أمام البلدة الكثير، لكن بدأ الوادي يتخذ هيئة شبه متحضرة. أسقطت غالبية أشجار الغابة، عدا حفنة أشجار تركت واقفة لتوضع على جانبي الشوارع وتظلل الأفنية الأمامية. تمرُّ به شاحنة خرسانة هادرة.

من بعيدٍ، تنهض منازل جديدة في مراحل مختلفة من الاستكمال. جهزت المساكن قبل الدخول في حالة الإرجاء. ومع وضع كل الأساسات، يبدو أن العمل يتسارع، والبلدة تنمو بشكل أسرع كل يوم؛ إذ تبدأ البيوت في اتخاذ شكلها النهائي. كادت المدرسة تنتهي.

اكتمل هيكل الطوابق الثلاثة السفلى من المستشفى.

يصل بيلتشر إلى الناصية الممهدة غير المرصوفة لما سيكون -يومًا ما- الشارعين الرئيسي والثامن.

يطنُّ الوادي بأنين ناءٍ لمناشير تعمل وخطبات مكتومة لمسامير تُدق في قوائم الخشب.

الأبنية التي ستصطف -قريبًا- على جانبي الشارع الرئيسي اكتملت هياكلها، وألواحها الصنوبرية الصفراء زاهية في شمس الصباح.

يقترُب أرنولد بوب في سيارة جيب رانجلر مكشوفة.

ينزل مساعد بيلتشر الأول من السيارة الجيب ويقترُب مختللاً.

يتساءل بوب: هل أتيت لترى التقدم في العمل؟

- رائع، أليس كذلك؟

- نحن فعليًا متقدمون عن المخطط. لو سارت كل الأمور على ما يرام، سننتهي من مائة وسبعين بيتًا قبل أن يسقط الثلج، والهيكل الخارجية لكل الأبنية. وهو ما يعني أننا سنتمكن من الاستمرار في العمل على المساحات الداخلية خلال الشتاء.

- إذن متى يمكنني أن أخطط لحفل قص الشريط الرسمي؟

- في الربيع التالي.

يبتسم بيلتشر، متخيلًا ذلك اليوم: يوم دافئ في شهر مايو، والوادي متفجر بالبراعم والأوراق الوليدة الجديدة بألوانها الصفراء والخضراء.

بداية جديدة، صفحة البشرية البيضاء.

- هل فكرت في الطريقة التي ستشرح بها كل هذا لأول السكان؟

يسيران في منتصف الشارع، وبيلتشر يرمق السقالات أمام المبنى الذي سيصبح دار الأوبرا.

- أتخيل أنه سيكون هناك بعض الشعور بالصدمة وعدم التصديق في البداية، لكن ما إن يفهموا ما منحتهم الفرصة كي يكونوا جزءًا منه؟

- حتى يخرؤا على الأرض شاكرين لك.

يقولها بوب، ويبتسم بيلتشر.

تمر بهما شاحنة مسطحة الظهر تنقل حمولة من الخشب الخام وهديرها يتعالى.

يقول بيلتشر متأملاً: هل يمكنك أن تستوعب فكرة الحصول على هذه الفرصة؟ في العالم الذي جئنا منه، كان وجودنا سهلاً للغاية، وكان مليئاً بالسخط لأنه كان سهلاً للغاية. كيف تجد معنى لأي شيء عندما تكون واحداً من سبعة مليارات؟ عندما يكون الطعام والثياب وكل ما تحتاج إليه على مبعدة المسافة إلى أقرب مركز تجاري؟ عندما نخدر عقولنا كي تنام على كل أنواع الشاشات ووسائل الترفيه عالية الوضوح، يضيع معنى الحياة، معنى وجودنا والغرض منه.

يسأله بوب: وما هو ذاك؟

- ما هو ماذا؟

- غرضنا.

- أن نُبقي على نوعنا بالطبع، أن نحكم هذا الكوكب، وسنفعها من جديد. ليس في عمرك ولا عمري، لكننا سنفعها. الناس الذين سأخرجهم من حالة الإرجاء ليعمروا بلدي لن يكون لديهم فيسبوك أو أجهزة آيفون وآيباد، ولا تويتر، ولا تسليم طلبات في اليوم التالي. سيتفاعلون كما كان نوعنا البشري يتفاعل.. وجهًا لوجه. وسيعيشون عارفين أنهم آخر البشرية، أن خارج السور يوجد مليار وحش يريدون التهامهم. بهذه المعرفة، سيتقبلون -بفهمٍ كاملٍ- أنه في مواجهة هذه المخاطر الجسيمة، اكتسبت حياتهم قيمة هائلة، وفي النهاية أليس هذا ما نريده؟ أن نشعر بجدوانا؟ بقيمتنا؟

يبتسم بيلتشر وبلدته -حلمه- تُبعث إلى الحياة أمام ناظريه.

يقول: سيكون هذا المكان جنة عدن الخاصة بنا.

آل تيرنر

قَبْلَ جيم تيرنر ابنته ذات الثمانية أعوام على جبينها، ومسح الدموع التي كانت تسيل من عينيها.

قالت: لكني أريدك أن تبقى معنا.

- يجب أن أذهب لتأمين المنزل.

- أنا خائفة.

- ماما ستبقى معك.

- لماذا يصرخ الناس في الخارج؟

قال كاذبًا: لا أعرف..

- أأكون هذا بسبب هؤلاء الوحوش؟ تعلمنا عنهم في المدرسة.
مستر بيلتشر يحمينا منهم.

مكتبة
t.me/soramnqraa

- لا أعرف ماذا يكونون يا جيسكا، لكن يجب أن أتأكد أنك
وماما في أمان، اتفقنا؟
أومات الفتاة الصغيرة برأسها.

- أحبك يا حلوتي.

- أحبك أيضًا يا بابا.

وقف ووضع يديه على وجه زوجته. لم يستطع أن يراها في الظلام،
لكن كان بمقدوره أن يحس بشفتيها ترتعشان، وبنداوة الدموع السائلة
عليهما.

قال: "لديك ماء وطعام وكشاف يدوي." حاول أن يجعل الأمر
مزحة.. "وحتى وعاء للتبول فيه."

جذبت عنقه، ووضعت شفتيها على أذنه.

- لا تفعل هذا.

- لا يوجد سبيل آخر وأنت تعرفين ذلك.

- القبو...

- لن يجدي. الألواح أطول من أن تمر من الباب.

سمع جيرانهم، آل ميلر، يموتون في بيتهم على الناحية الأخرى من
الشارع. قال: عندما يحين وقت الخروج..

- أنت من ستُخرجنا.

- لا أريد أكثر من ذلك. لكن لو لم أكن هنا للقيام بهذا،

استخدمي العتلة. سيكون عليك أن تدقيها في عضادة الباب.

- كان ينبغي لنا أن نبقى مع الآخرين.

- أعرف، لكننا لم نفعل، والآن نقوم بأقصى ما يمكننا. مهما سمعت في غرفة النوم تلك، ابق في الخزانة، ولا تصدري صوتًا. غطي أذنيها لو...

- لا تقل هذا.

- لو ماذا يا بابا؟

- آه يا ربي! لا تقل هذا.

- أحبكما يا فتاتي. والآن يجب أن أغلق هذا الباب.

- لا يا بابا!

- همس: الهدوء يا جيس..

قَبْل جيم تيرنر زوجته.

قَبْل ابنته.

ثم أغلق عليهما خزانة غرفة النوم في الطابق الثاني من منزلهما الفيكتوري الطراز البنفسجي اللون.

كان صندوق عدته مفتوحًا بالفعل على الأرضية.

أضاء كشافه اليدوي، واختار قطعة مناسبة مقاسها بوصتان في أربعة من بقايا الخشب التي حملها من الحظيرة؛ بقايا بيت كلاب بناه في الصيف الماضي.

تلك العصاري الدافئة وهو يعمل في الفناء الخلفي...

ألقي صراخ السيدة ميللر بهذه الذكرى إلى غياهب النسيان.

- لا، لا، لا، لا، لا، لا، لا، آه يا ربيiiiiiiiiii!

كانت جيسكا تبكي في الخزانة، وجراسي تجاهد كي تهدئها.

تناول جيم مطرقة، بدأ يدق المسامير في طرفي اللوح، كانت المسامير القلاووظ أفضل لكن لم يكن هناك وقت. أمسك بلوح خشب الصنوبر بعرض إطار الباب وغرس المسامير في قوائم الخشب. لم يتوقف عقله عن العمل.

ظل يعيد تشغيل ما قاله المأمور، لكنه لم يستطع أن يستوعبه.

كيف يمكن أن يكون هذا هو كل ما تبقى من البشرية؟

قبل أن ينتهي من دق الألواح الأربعة بعرض إطار الباب، كان آل ميلر قد سكتوا في الجهة المقابلة من الشارع.

ألقى المطرقة، ومسح جبينه.

كان العرق يقطر منه.

جثا على ركبتيه، وألصق شفثيه بباب الخزانة:

- جيسيكأ؟ جراسي؟

قالت زوجته: أستطيع أن أسمعك..

قال جيم: انتهيت من تثبيت الألواح بالمسامير. والآن يجب أن أذهب لأجد مكانًا أختبئ فيه.

- من فضلك كن بأمان.

وضع يده على الباب.

- أحبكما كثيرًا.

ردت عليه جراسي بشيء لكنه لم يستطع أن يسمع الكلمات؛ مخنوقة للغاية، واهية للغاية، أفسدتها الدموع تمامًا.

نهض واقفًا، وأمسك بالكشاف والمطرقة؛ أقرب شيء لأن تكون سلاحًا في صندوق عدته.

عند باب غرفة النوم، أدار المزلاج وأغلقه برفق وراءه.

كان الرواق مظلمًا.

امتلاً النصف ساعة الأخير تمامًا بالصراخ والصياح حتى إن الصمت بدا له خاطئًا، كأنه كذبة.

أين ستختبئ؟

كيف ستنجو؟

توقف عند أعلى الدَرَج. شعر بهميل إلى استخدام الكشاف، لكنه خشي أن يجذب الانتباه.

وضع يده على الدرايزين احتراستًا، ونزل السلام ذات الصرير ببطء. لاحت غرفة المعيشة في عتمة كاملة. تحرك جيم نحو الباب الأمامي. كان قد أوصده بالمزلاج، لكنه أحس أن هذا لن يفيد. مما رآه، كانت هذه الأشياء تخرق النوافذ.

أيبقى بالداخل؟

أيذهب؟

على الناحية الأخرى من الباب، سمع صوت احتكاك.

مال ناظرًا في ثقب الباب.

كانت أعمدة النور في الشارع عاطلة، لكنه تمكّن فعليًا من رؤية ما في الخارج؛ الرصيف والسيارات الخشبية والسيارات تحت إضاءة واهية من نور النجوم المتبقي.

كان ثلاثة من هذه الأشياء يزحفون على البلاطات المؤدية من السياج الخشبي إلى الباب الأمامي.

لقد رأى لمحات منهم وهم يمرقون في الشارع من نافذة غرفة نومهم في الطابق الثاني، لكنه لم يرَ أحدًا منهم بعد عن قرب.

لم يكن أحد منهم أكبر منه حجمًا، لكنّ بناءهم العضلي كان استثنائيًا.

بدوا...

مثل بشر مغلفين بأردية وحوش مزرکشة.

مجهزين بمخالب طويلة بدلاً من الأصابع، بأسنان مصمّمة للقطع والتمزيق، ويلوحون بأذرعة تبدو طويلة أكثر مما يجب بالنسبة إلى بقية جسداهم، أطول حتى من سيقاناهم.

قال بصوتٍ مكتومٍ كأنه يصلي: ماذا تكونون بحق الجحيم؟
بلغوا الشرفة الأمامية.

تلبّسه الخوف فجأة كأنه قفاز أحاط بجسده كله.

تراجع عن الباب، متحرّكًا عبر الظلام من جديد، بين الأريكة وطاولة القهوة، وبعدها إلى داخل المطبخ، حيث ترشّح ضوء النجوم عبر النافذة فوق الحوض بما يكفي فقط للانعكاس من فوق المشمع وإنارة الطريق.

وضع جيم المطرقة على النضد، وتناول مفتاح الباب الخلفي من فوق المسمار بجوار الباب.

ارتطم شيء ما بالباب الأمامي بينما كان يعالج بالمفتاح القفل.

صوت خشب يتكسر وقفل يسقط مجلجلًا.

أدار المفتاح، انسحب المزلاج.

فتح الباب الخلفي في نفس اللحظة التي كان الباب الأمامي فيها يُدفع مفتوحًا.

الخطوات تصعد إلى الطابق الثاني، إلى غرفة النوم، إلى الخزانة التي تختبئ فيها فتاتاه.. ستكون أول ما يراه هؤلاء الوحوش.

تراجع جيم عدة خطوات في المطبخ، وقال: إيه يا رجال؟ أنا هنا!
ملأت المنزل صرخة تخرق طبلة الأذن.

لم يستطع أن يرى شيئاً، لكنه سمع هذه المخلوقات تتدافع عبر الطاولات والمقاعد في طريقها إليه. اندفع عائداً عبر المطبخ، وأغلق الباب وراءه وانطلق هابطاً الدرجة الوحيدة إلى مربعه المثالي من العشب.

مرّ بيت الكلاب.

نحو السياج.

تكسّر الزجاج وراءه.

عندما وصل إلى البوابة التي تنفتح على الزقاق، ألقى نظرة وراءه ورأى واحداً من هذه الأشياء يتدلى عبر نافذة المطبخ بينما الاثنان الآخريين يلقيان بنفسيهما على الباب الخلفي.

رفع الشنكل ودفع البوابة بكتفه.

إيثان

كانت صرخات المنحرفين على مبعدة أقل من مربع سكني عندما أدلى إيثان جسده عبر الفتحة، وأمسك بمقبض الجانب السفلي من الباب المسحور، وجذبه ليغلقه أعلاه.

امتلاً النفق بصدى ضجة مائة صوت في الأسفل، ضجة عالية بما يكفي للتغطية على صرخات المنحرفين.

بحث إيثان لكنه لم يجد أي قفل على هذا الجانب من الباب، لا وسيلة لتأمينه ضد العالم بالأعلى.

نزل إيثان السلم، خمساً وعشرين درجة إلى أرضية نفق ممتلئ بنور النار من دسّته مشاعل.

كان النفق عبارة عن بربخ مساحته ستة في ستة أقدام من الخرسانة المتداعية، تخلّلتها الجذور والكروم، وعمره ألف عام. امتد

أسفل البلدة، ومثّل، إلى جانب المقبرة، البنائين الأخيرين الأصليين
الباقيين من واوارد باينز القرن الواحد والعشرين.

بدا باردًا ورطبًا وعتيقًا.

وقف الناس في صف واحد، وظهورهم مستندة إلى الحائط مثل
تلاميذ متجمعين من أجل تدريب مريع. متوترين.. مترقبين.. مرتعدين.
بعضهم مستغربون، وبعضهم بوجوه محايدة، كأنهم في حالة إنكار
تام لما يحدث.

هرول إيثان في النفق نحو كيت.

تساءلت: هل الجميع بالداخل؟

- نعم. قودي الطريق. سأحمي أنا وهيكت المؤخرة.

عندما تحرك إيثان عائداً بمحاذاة الصف، رفع إصبعه إلى شفثيه
حائاً الجميع على الصمت.

عندما مرّ بزوجته وابنه، التقت عيناه بعيني زوجته وغمز لها،
وهو يضغط يدها بينما يمرُّ مسرعاً.

كانوا قد بدؤوا في التحرك بالفعل عندما قارب النهاية.

اقترب من آخر حاملة مشعل في الصف. كانت هي النادلة في
حانة بيرجارتين أيام عطلات نهاية الأسبوع، واسمها ماجي شيء ما.

سألته: ماذا تريدني أن أفعل؟

كانت شابة صغيرة، وخائفة.

قال إيثان: أمسكي فقط مشعلك. اسمك ماجي، صحيح؟

- نعم.

- أنا إيثان.

- أعرف.

- هيا بنا.

تحركت المجموعة ببطء كافٍ إجمالاً لإيثان وهيكتر وماجي للسير بخطوات قصيرة دون الخوف من التخلف عنهم. تراقص ضوء المشعل على الخرسانة المتداعية، مضيئاً امتداداً فارغاً من النفق وراءهم حتى أربعين قدماً، ولامس الضوء الجدران، لكن الفراغ المركزي كان مظلماً بشكلٍ مزعجٍ.

كان هناك صوت خطوات تخوض في الماء، وبضعة أصوات هامسة، وقليل من الأصوات غير ذلك.

في سيرهم، ارتحل عقل ميثان إلى تيريزا وبن، كانا على مبعدة خمسين قدماً فقط، لكن لم يرق له أن يكون على أي مسافة بعيدة عنهما في ظل هذه الظروف.

وصلوا إلى مفترق طرق.

أضاء مشعل ماجي للحظة الأنفاق المتقاطعة.

لجزء من الثانية، اعتقد إيثان أنه سمع صرخات يتردد صداها عبر الظلام، لكنها ضاعت في صوت مرور مجموعته.

تساءلت ماجي: هل نبلي بلاء حسناً؟

ثمة رجفة في صوتها.

قال إيثان: نعم، سنكون بمأمن عما قليل.

- أشعر بالبرد.

كان زيها -من أجل المهرجان- "مايوه بيكيني" تحت معطف مطر، وحذاءً عاليًا مبطنًا بالفرو.

قال إيثان: سنشعل ناراً عندما نصل.

- أنا خائفة.

- أنت تقومين بعمل عظيم يا ماجي.

بعد مفترقي طرق آخرين، انعطفوا يمينًا إلى نفق جديد.

عندما مرُّوا بسلمٍ حديدي قديم يصعد إلى الظلام، توقف إيثان.

تساءل هيكتِر: ما هذا الصوت؟

نظر إيثان إلى ماجي: دعيني آخذ مشعلك.

- لماذا؟

أمسك بالمشعل، وناولها بندقيته.

صعد الدرجات واضعًا يدها عليها، واليد الأخرى تقبض على المشعل.

بعد عشر درجات، تنهى إليه صوت هيكتِر من تحت:

- إيثان، ليست هذه بشكوى، لكني لا أستطيع أن أرى شيئًا هنا

بالأسفل.

- سأعود خلال دقيقة واحدة.

هتفت به ماجي: "ماذا تفعل؟" ثمّة دموع في صوتها، لكن إيثان

تابع الصعود، إلى أن اصطدمت رأسه بالباب. تشبّث بالدرجة العليا

من السلم، وأضاء نور النار الباب المسحور، وأحس باللهب دافئًا

قرب وجهه.

كانت ماجي وهيكتِر ما زالوا يناديانه.

فتح الباب المسحور بهدوء.

مقارنةً بالنفق، كانت البلدة المنارة بضوء النجوم ساطعة كالنهار.

كانت الضجة التي جذبتَه ليصعد السلم صراخًا.

صراخًا بشريًا.

وما رآه.. لم يعرف كيف يتعامل معه.

كيف يمكنك أن تستوعب منظر أناس يجرون في منتصف الشارع في مشهد من الممكن أن يتصدر غلاف مجلة (سايرداي إيفينينج بوست)، ويطاردهم حشدٌ من الوحوش، بيض شاحبون، شفافون في الليل، بعضهم يعدو منتصبًا، وآخرون يتحركون على أربع في ركض متوثب مثل الذئاب؟

تتعامل معه بالتدريج.

خيط من الصور التي لا يمكن محوها.

صرخات من أقرب منزل عندما يخترق منحرف النافذة الأمامية.

ثلاثة منحرفين يجرون وراء واحد من ضباط المهرجان، الذي يتوقف ليواجههم في اللحظة الأخيرة ملوحًا بساطوره قبل الأوان، لتفلت منه أنف المنحرف القائد بينما يُسقطه الاثنان الآخران أرضًا.

على مبعده ثلاثين ياردة، منحرف ينتزع لفات أمعاء أحدهم، ويدفعها بين فكيه بينما الرجل المثبت أسفل مخالفه الطويلة يُخرج آخر صوت -صرخة فظيعة يائسة- سيصدر عنه أبدًا.

في منتصف الشارع الرئيسي، منحرف كبير يعتلي ميجان فيشر، وينتهكها.

دسته أجساد متناثرة بالفعل عبر الشارع الرئيسي، أغلبها ترقد ساكنة تمامًا في برك من أحشائها، واثنان يزحفان بالكاد، وثلاثة يؤكلون أحياء.

مثل أي لعبة مرعبة، لا أحد يجري في أي اتجاه محدد.

أحس إثان بالرغبة في الصعود فوق الأرض والمساعدة، في إنقاذ أحدهم، شخص واحد فقط، في قتل واحد فقط من هؤلاء الوحوش.

لكن العقابة هي الموت.

لم تكن معه حتى بندقيته.

لقد وقعت هذه المجموعة -رُبع سكان وايوارد باينز- في كمين نُصب في طريقهم إلى بابهم السحري.

لا أسلحة معهم باستثناء بضعة سواطير، لكن أكان الأمر سيختلف كثيراً -فعلاً- لو كانوا جميعاً مسلحين؟ هل سيختلف الأمر كثيراً بالنسبة إلى مجموعة إيثنان لو اكتشف المنحرفون الأنفاق؟
فكرة مرعبة.

فكّر في أسرتك.

إنهما تحتك الآن.

إنهما في حاجة إليك.

إنهما في حاجة إليك حياً.

صاحت ماجي: يا إيثنان! هيا!

أعلى الأرض، انطلق رجل يعدو بقوة كما لم يرَ إيثنان أحداً يعدو من قبل، في سرعة وكمية طاقة خالصة لا يمكن أن يصل إليهما أحد إلا خوفاً من موت وشيك لا يمكن تصوره.

كان المنحرف الذي يطارده يجري على أربع، ويقترّب منه بسرعة، وعندما ألقى الرجل نظرة وراهه، تعرّف عليه إيثنان؛ إنه جيم تيرنر، طبيب أسنان البلدة.

تصادم منحرف ثانٍ مع جيم بكامل سرعته، وانكسرت رقبة جيم من قوة الصدمة الوحشية.

لم يكن هناك مهرب من هذه الأسئلة: ماذا لو لم يحم إيثنان بهذه المكاشفة للبلدة؟ ماذا لو كان تركهم يقتلون كيت وهارولد، ويتابعون

الأمور بالطريقة التي كانت عليها دومًا؟ بالتأكيد لم يكن هؤلاء الناس سيموتون الآن.

أنزل إيثان الباب المسحور بحرص، وهبط السلم.

كانت ميجان في حالة هysterية بالأسفل، وهيكتّر يحاول تهدئتها.

وصل إيثان القاع، وبادل المشعل بالبنديقية وقال: هيا بنا.

ساروا بسرعة في النفق، وقد غابت بقية مجموعتهم عن أبصارهم.

سألته ماجي: ماذا كان يحدث بالأعلى؟

قال إيثان: واحدة من المجموعات الأخرى لم تصل إلى تحت الأرض في الوقت المناسب.

قال هيكتّر: علينا أن نساعدهم.

- لا مجال لمساعدتهم.

تساءلت ماجي: ماذا يعني هذا؟

لمح إيثان لمعة مشعل من بعيد، وأسرع في خطوه.

قال: يجب أن نركز على توصيل جماعتنا إلى الأمان، ولا مزيد.

تساءلت ماجي: أكان الناس يموتون؟

- نعم.

- كم عددهم؟

- أتصور جميعهم في النهاية.

آل ريتشاردسون

انزلق بوب ريتشاردسون خلف عجلة قيادة سيارته (الأولدزموبيل كتلاس سييرا) موديل 1982، وأدار المحرك عندما تكوّمت زوجته باربرا في المقعد الأمامي بجواره.

قالت: هذه أغبى فكرة..

نقل محرك السرعة، وانطلق بهدوء في الشارع المعتم.

سألها: وما هي فكرتك؟ ننتظر داخل المنزل حتى تقتحمه هذه الأشياء؟

قالت باربرا: مصايحك ليست مضاءة...

- هذا مقصود يا حبيبتي.

- هل تعتقد أنهم لا يستطيعون سماع محركنا؟

- هلا خرسيتِ وتركتيني أقود من فضلك؟

- طبعًا. ستكون هذه أقصر رحلة يمكن القيام بها في ضوء عدم وجود أي طرق للخروج من هذه البلدة.
انعطف بوب إلى الجادة الأولى.

لم يكن ليعترف بالأمر قولًا أو فعلًا (وهو ما يعني أن يستخدم المصاييح)، لكن الظلام كان شديدًا. يمكن القول إنه ظلام أشد من أن يقود دون إنارة المصاييح الأمامية.

لقد مرّت شهور منذ جلس خلف عجلة القيادة، وشعر أن قدرته على القيادة صدأت.
مرًا بمكتب المأمور.

مع إغلاقهما نوافذ السيارة، كانت الصرخات الصادرة من البلدة تقطع بالكاد ذلك الصمت المتوتر داخل السيارة.
بعد قليل، وصلا أطراف البلدة.

عبر نافذته، كان بمقدور بوب أن يرى حركة في المرعى.
قالت باربرا: إنهم هناك...

- أعرف ذلك.

مدّت يدها من فوق حِجره، وضغطت زر المصاييح. اندفع شعاعان توأمان عبر الأرض العشبية. تناثرت عشرات الأبقار منزوعة الأحشاء على أرض المرعى، وأحاطت بكل واحدة مجموعة من المنحرفين تتصارع على التهامها.

- اللعنة يا باربرا!

رفعوا أعينهم جميعًا من فوق فرائسهم، والتمعت الأفواه الدموية في الشعاعين القويين.

ضغط بوب على بدال السرعة.

انطلقا كالسهم مارين بلافتة الوداع: أسرة مثالية على شاكلة
خمسنيات القرن العشرين تبتسم وتلوح:

نتمنى أن تكون قد استمتعت بزيارتك لويوارد باينز!
لا تكن غريبًا! عُد قريبًا!

دخل الطريق إلى الغابة.

خَفَضَ بوب المصباحين العالين إلى مصباحي الزاوية، كانت مصابيح
الضباب كافية السطوع لإبقائه سائرًا على الخط الأصفر المزدوج.

اجتاح الضباب الطريق بين ممر أشجار الصنوبر الضيق.

ظل بوب يسترق النظر إلى مرآة الرؤية الخلفية، لكن كل ما
استطاع أن يراه رقعة ضئيلة من الأسفلت المنطوي مضاءة بنور أحمر
من المصابيح الخلفية.

قالت برbara: امض أسرع!

- لا أستطيع؛ هناك منعطف حاد قريب.

زحفت ما بين المقاعد إلى المقعد الخلفي وجلست على ركبتيها،
محدقة عبر النافذة.

سألها بوب: أي شيء؟

- لا، ماذا سنفعل؟

- لا أعرف، لكن على الأقل لسنا في البلدة، وسط المعمة. ربما
يمكننا التوقف في مكان هادئ وسط الأشجار؟ ننجو من هذا؟

- ماذا لو لم يكن لهذا نهاية؟

علق السؤال بينهما مثل سحابة سوداء.

بدأ الطريق الخارج من البلدة ينحني، وقاد بوب السيارة إليه،
محافظةً على السرعة أقل من عشرين ميلًا في الساعة.

كانت بربارا تبكي في المقعد الخلفي.

قالت: ليتَه لم يخبرنا..

- عم تتحدثين؟

- المأمور بريك. كل هذا يحدث لأنه أخبرنا بالحقيقة.

- ربما تكونين على حق.

- لا أقول إنني أحببت المكان هنا، لكن أتعرف؟

ونشجت بربارا، ثم تابعت: لم أكن أشعر بالقلق من الفواتير، لم أكن

أشعر بالقلق من رهننا العقاري، استطعنا أنا وأنت أن ندير مخبزًا.

- اعتدتِ الطريقة التي تسير بها الأمور.

- بالضبط.

قال بوب: لكن لم يكن في مقدورنا الحديث عن ماضيها، لم نر

أصدقاءنا أو عائلتنا قط؛ أجبنا على الزواج.

قالت: لم يتبين أن هذا أمر سيئ للغاية.

أمسك لسانه وهو يقود عبر قلب المنعطف.

أصبح الطريق الخارج من البلدة هو الطريق إلى داخل البلدة.

زاد الضغط على بدال البنزين عندما مرًا بلافتة الترحيب.

رقدت وايبورد باينز أمامها مباشرة، متسرلة بالظلام.

ترك السيارة تدور حتى توقفت وأطفأ المحرك.

تساءلت بربارا: هل سننتظر هنا فقط؟

- حاليًا.

- ألا ينبغي لنا أن نستمر في التحرك؟
- لا يوجد إلا القليل من البنزين.
- تحركت عائدة إلى المقعد الأمامي.
- قالت: الناس يموتون هناك، في هذه اللحظة.
- أعرف.
- ذلك المأمور اللعين!
- أنا سعيد لأنه فعل هذا.
- ماذا؟
- قلت إني سعيد.
- لا، سمعتك في المرة الأولى. أقصد.. لماذا؟ جيراننا يُذبحون يا بوب.
- كنا عبيدًا.
- وكيف تتمتع بحريتك الجديدة؟
- لو كانت هذه هي النهاية، فأنا سعيد بمعرفة الحقيقة.
- ألسنَ خائفًا؟
- أنا مرعوب.
- فتح بوب بابه.
- تساءلت بربارا: إلى أين ستذهب؟
- لسع ضوء السيارة الداخلي عينيه.
- أحتاج إلى لحظة وحيدًا.
- لن أخرج من هذه السيارة.
- هذا هو المقصود يا حبيبتى.

إيثان

عندما اقتربوا من مجموعتهم، لاحظ إيثان الانفصال المتزايد بين ما رآه فوق الأرض، وحقيقة أن جماعته ما زالت حية هنا في النفق. ذكّره هذا بالطريقة العشوائية المقرّزة التي يُحسب بها حساب القدر والصدفة في المعركة - لو خطوت يسارًا بدلًا من التحرك يمينًا، لاخرقت الرصاصة عينك بدلًا من عين صديقك. لو قادت كيت مجموعتها إلى مدخل نفق مختلف، لكان من الممكن أن يُذبح إيثان وأسرته في الشارع الرئيسي. كان يمرُّ بوقتٍ مستحيل كي ينتزع ميجان فيشر من ذهنه. لقد رأى ما يكفي من الموت والدمار في العراق كي يعرف أن ميجان المسكينة هي من ستسكن أحلامه ليلالٍ كثيرة قادمة. عرف أنه سيتساءل دائمًا: ماذا لو جازف بكل شيء وخرج؟ ماذا لو قتل المعتدي عليها؟ أنقذها؟ حملها عائداً إلى النفق؟ سيعيد تشغيل هذا المشهد مرارًا وتكرارًا إلى أن يتعملق في خيال مكتمل. أي شيء ليحل محل صورة تلك المرأة تحت المنحرف في منتصف الطريق.

ما زالت هناك لحظات من الحرب حملها وسيحملها دومًا؛ عذاب
ومعاناة يفوقان الاستيعاب.

لكن هذه اللحظة فاقتهم جميعًا.

بلغوا نهاية الطابور في اللحظة التي كانت المجموعة تنعطف في
نفقٍ جديدٍ.

فكر إيثنان: مُحي ربع البشرية.

نظر إلى طابور مجموعته، ورأى مؤخرة رأس تيريزا في الضوء الخفيض.
كانت الحاجة إلى الوجود بقربها هي وبن طاغية.

ميجان في الشارع.

كفى.

ميجان تصرخ.

كفى.

ميجان...

انفجر في النفق عواء وحيد ثاقب.

توقفت ماجي ومعها هيكتير.

رفع إيثنان بندقيته.

بدأ المشعل يهتز بعنفٍ في يد ماجي.

ألقى إيثنان نظرة وراءه.

كان الطابور قد توقف؛ لقد سمع الجميع، ومدَّ الجميع أعناقهم،
مجاهدين كي يحدقوا إلى ظلام النفق.

قال إيثنان للجميع: فليظل الطابور في حركته. لا تتوقفوا مهما
حدث. امضوا فقط.

مضوا في طريقهم.

بعد خمسين قدمًا، قالت ماجي: أعتقد أنني أسمع شيئًا.

تساءل هيكتِر: ماذا؟

- أشبه ب... طرطشة. شخص يسير في الماء.

- إنها مجموعتنا فقط.

هزّت رأسها، وأشارت إلى الظلام: إنه قادم من هذا الاتجاه.

قال إيثنان: توقفًا. دعا الجميع يتقدمنا.

عندما ابتعد آخر الطابور، ضيق إيثنان عينيه محددًا إلى الظلام. هو الآن يسمعه كذلك، ولم يكن صوت شخص يسير. بل يجري.

جفّ فمه، وأدرك فجأة أن قلبه يدق بجنون في صدره.

قال إيثنان: حان الوقت لتصوب بندقيتك يا هيكتِر.

- أ يوجد شيء قادم؟

- شيء قادم.

تراجعت ماجي بضع خطوات.

قال إيثنان: أعرف أنكِ خائفة، لكنك نورنا يا ماجي، مهما كان ما سترينه قادمًا من ذلك النفق، اثبتي مكانك، لو جريت، سنموت جميعًا. أفهمتِ؟

كان صوت الطرطشة يزداد علوًا، واقتربًا.

- ماجي؟ هل تفهميني؟

همست: نعم.

شدّ إيثان أجزاء البندقية.

- هيكتر، هل صمام أمانك مرفوع؟

- هو كذلك.

ألقى إيثان نظرة وراهه، حاول أن يلمح تيريزا وبين في الحشد، لكنهما كانا بعيدين للغاية، وكان الضوء ضئيلاً.

أسند إيثان مؤخرة البندقية المصنوعة من الخشب الصناعي الأسود إلى كتفه، وحدق بامتداد الماسورة. كان المنظار عبارة عن وحدة تريتيوم ذاتية الإضاءة ألقّت ضوءاً لطيفاً في الظلام... ثلاث نقاط خضراء فاتحة.

قال إيثان: أنت تطلق خرطيش، وليس رصاصات.

- إذن لا يوجد مجال للانحراف؟

- بالضبط، كن دقيقاً.

- ماذا لو نفدت ذخيرتي؟

- اعبر ذلك الجسر عندما...

خرج من الظلام يعدو بأقصى سرعته، منطلقاً على أربع بسرعة مذهلة.

في سرعة كلب صيد.

صوّب إيثان.

أطلق هيكتر النار.

كهرب وميض فوهة البندقية النفق وشوَّش رؤية إيثان لجزء من الثانية.

عندما استطاع إيثان أن يرى من جديد، كان المنحرف ما زال قادمًا،
على مبعده عشرين قدمًا وثنائيتين من الزمن.

صاحت ماجي بطريقة هستيرية: آه يا ربي آه يا ربي آه يا ربي آه
يا رب..

أطلق إيثان النار، وارتدت مؤخرة البندقية في كتفه، ودويُّ البندقية
في هذا الحيز المحصور أشبه بمدفع ينطلق.

سقط المنحرف، وتوقف على مبعده ثلاثة أقدام من حذاء إيثان،
وقطعة كبيرة من جمجمته منتزعة من مؤخرة رأسه.

قال هيكتر: واو!

بدا صوته مكتومًا إزاء الرنين في أذني إيثان.

بدووا يهرولون في النفق، مطاردين نهاية الطابور، الذي صار الآن
مجرد نقطة من نور النار في البعيد. عندما عاد سَمِعُ إيثان، التقط
صرخات عواء جديدة تتردد أصداؤها عبر النفق.

قال إيثان: أسرع.

صار بمقدوره أن يسمع وقع خطوات المنحرفين في الماء، يقتربون
وراءهم.

ظل يلقي النظر وراءه في الظلام، وظل لا يرى شيئًا.

وكانوا يجرون، ماجي في المقدمة، وإيثان وهيكتر جنبًا إلى جنب،
وكوعاهما يحتكَّان كل بضع خطوات.

عبروا مفترق طرق.

عبر النفق الواقع على يمينهم أتى الصراخ والصياح والعويل...

ثم العذاب.

كل شيء يتفكك بسرعة لعينة.

استدار هارولد ليعود، لكن لم يكن هناك شيء ليعود إليه. انطفأت كل المشاعل. لا شيء إلا الظلام والصراخ - انفجار من ضجة ترتد من جدران البربخ - وكل ما استطاع أن يفكر فيه أن هذا بالتأكيد ما تبدو عليه أصوات الجحيم.

سمع دويّ رصاصات في نفق قريب.

كيف؟

صرخت تيفاني جولدن باسمه، صاحت فيه وفي الجميع كي يأتوا، أسرعوا، لا تكتفوا بالوقوف هناك.

كانت تسبقهم بمسافة ثلاثين قدمًا في النفق، وتقبض على آخر مشعل لدى المجموعة.

تدافع الناس في مرورهم بهارولد.

أطاح به كتف أحدهم ليصطدم بظهره في جدار الخرسانة المتداعية.

كانت صرخات الاحتضار تقترب أكثر.

بدأ هارولد في الجري، مزنونًا بين امرأتين، وكوعاهما ينكزان جنبه وهما تتسابقان أمامه نحو نور النار المتناقص.

لم يعتقد أن أمامهما الكثير ليقطعهما أبعد من ذلك. أمامهم ثلاثمائة أو أربعمائة ياردة - بحدّ أقصى - قبل أن ينفتح النفق على الغابة.

لو تمكّنوا من الخروج، حتى نصفهم...

اختفى المشعل في البعيد مصحوبًا بصرخة.

ظلام فوري.

تضاعف دويُّ الصرخات ثلاث مرات.

كان بمقدور هارولد أن يتذوق الهلع في الهواء.

بعضه صادر عنه هو ذاته.

أطيح به ليسقط في جدول الماء، وداست الأقدام على ساقيه، ثم جسده. حاول أن ينهض، فأطيح به مرة أخرى، تعثرَّ الناس فيه كأنه عقبة، وداس أحدهم على رأسه.

تدحرج مبتعدًا عن الطريق، وتساند إلى الجدار حتى وقف على قدميه.

مرق شيء ما أمامه في الظلام.

فاح برائحة العفن.

على مبعدة عدة أقدام، توَّسل رجل مستغيثًا، وعلا صوته على صوت تحطم العظام والغضاريف.

سقطت رباطة جأش هارولد تحت غشاء من عدم التصديق الساحق.

ينبغي له أن يذهب.

أن يجري فقط.

صمت الوغد المسكين بجواره، ولم يعد الآن إلا صوت الوحش وهو يلتهم فريسته.

كيف يمكن أن يحدث هذا؟

لفحت وجهه أنفاس نتنة.

وعلى مبعدة بوصات، بدأت زمجرة منخفضة.

قال هارولد: لا تفعل هذا.

أحسَّ بحلقه ساخنًا فجأة. وصار صدره مبتلاً ودافئًا. كان ما زال بمقدوره أن يتنفس، ولم يحس بأي ألم، لكن كان هناك دم غزير للغاية ينبجس من عنقه.

شعر بدوار فعلاً.

غاص هارولد في الجدول المتجمد بينما الوحش يفتح بطنه بضربة مخلب واحدة.

لم يكن هناك إلا ألمٌ ناءٍ بليد عندما بدأ المنحرف يأكل.

في كل مكان من حوله كانت تأوهات وصرخات المحتضرين والخائفين.

ما زال الناس يندفعون مارّين به في الظلام، متصارعين كي يصلوا إلى الأمان.

لم يصدر عنه صوت.

لم يقاوم.

شلّته الصدمة وخسارة الدماء ونوبة الهلع والخوف.

لم يستطع أن يصدق حدوث هذا له.

أكله هذا الشيء بشراهة مخلوق لم يأكل منذ أيام، ومخالبه الخلفية تثبت ساقيه، ومخالبه الأمامية تمسمر ذراعي هارولد في الخرسانة.

ومع ذلك لم يكن هناك ألم يُذكر.

فكر أنه واحدٌ من المحظوظين.

سيموت قبل أن يبدأ الألم الحقيقي.

إيثان

... معاناة وذعر بشري خالصان.

فوضى.

صاح إيثان: لا تتوقفوا! استمروا في التحرك!

مفكرًا: هل هوجمت مجموعة أخرى في نفق قريب؟

شيء لا يمكن تخيله.

أن يُفاجئوا هنا بالأسفل.

داس الناس بعضهم بعضًا كي يفرُّوا بينما الوحوش تلاحقهم.

سقطت المشاعل.

انطفأت في الجدول.

التهمة الظلام.

إلى الأمام، اختفى ضوء المشاعل في مجموعة إيثنان.

قال إيثنان وهو يلهث: أين ذهبوا؟

قال هيكتر: لا أعرف. فقط اختفى الضوء.

كان الماء تحت حذاء إيثنان العالي يتدفق الآن، وكانوا يتحركون وسط نسيم بارد ثابت.

خرجوا من النفق إلى مجرى جدول صخري القاع، وللحظة، حلَّ هدير الماء الأبيض محلَّ صوت المنحرفين، هدير قريب لكنه غير مرئي في الظلام.

رفع إيثنان نظريه محدقًا إلى جانب التل، ورأى المشاعل تتقاطر صاعدة إلى غابة.

أشار إلى هيكتر وماجي نحوها، وقال: اتبعوا هذه الأضواء.

تساءل هيكتر: هل ستبقى؟

- سألحق بكم.

شَقَّتْ صيحات المنحرفين صوت تكسر الماء في الشلالات.

قال إيثنان: تحركا!

انطلق هيكتر وماجي وسط الأشجار.

شدَّ إيثنان أجزاء البندقية، وتسَلَّقَ عدة أقدام أعلى الضفة إلى مكمّن مسطح. كانت عيناه تتأقلمان على الظلمة ببطء. صار بمقدوره أن يميز هياكل الأشجار وحتى الشلال من بعيد، والماء الأسود المضاء بنور النجوم في مقابل السماء، حيث كان الشلال يتقوس فوق نتوء صخري أعلى الأرض بعدة مئات من الأقدام.

التهبت عضلات إيثنان الرباعية من العدو عبر النفق، ورغم البرد، كانت فانلته غارقة في العرق.

خرج منحرف كالقذيفة من النفق وتوقف في مجرى الجدول.

تطلّع إلى محيطه الجديد.

نظر إلى إيثنان.

ها نحن ذا.

عندما ضرب الخرطوش كتلة المنحرف المركزية، سقط مرتدًا في الجدول.

انشقّ النفق عن منحرفين آخرين.

اندفع أحدهما إلى رفيقه الساقط، وأطلق صرخة ذات ذبذبات منخفضة.

وشقّ الآخر طريقه مباشرة إلى إيثنان، متسلقًا الضفة الصخرية على أربع.

شدّ إيثنان الأجزاء من جديد، وأطلق خرطوشًا مرق من أسنان الوحش.

عندما سقط، كان الآخر وراءه مباشرة، وخرج اثنتان آخران بالفعل من النفق.

شدّ إيثنان أجزاء البندقية وأطلق النار.

كان الاثنان الآخران قادمين وما زال هناك المزيد من الصرخات ترتفع خلفهما.

أسقط الأول بطلقة في أحشائه لكنه أخطأ رأس زميله.

جذب قذيفة أخرى.

أطلق النار من مسافة قريبة، وأصاب المنحرف أسفل رقبته تمامًا.

تناثر الدم في عيني إيثنان.

مسح وجهه بينما كان منحرف آخر ينضم إلى الحفل.

شدَّ إيثنان أجزاء البندقية، صَوَّب، ضغط الزناد.
تَكَّة.

اللعنة.

سمع المنحرف الصوت.

اندفع فجأة إلى الأمام.

ألقى إيثنان الرصاصة الفارغة، وسحب مسدسه الـديزيرت إيجل،
ووضع فيه رصاصة.

غام الهواء بدخان المسدس، واشتد وجيب قلب إيثنان، وما زالت
الصرخات تتصاعد من النفق.

هيا، هيا، هيا!

وضع المسدس في جرابه، وأمسك بالبندقية، وتسلق مبتعداً عن
الجدول، شاقاً طريقه عبر الصخور والتراب إلى أن بلغ الأشجار، والعرق
يسيل إلى عينيه بلسعة مألحة.

ثمّة أضواء في البعيد.

والصرخات خلفه.

ألقى بالبندقية على كتفه وجرى.

بعد دقيقة، تغيَّر صوت المنحرفين.

لقد خرجوا الآن.

الكثير منهم.

لم ينظر وراءه.

استمر في الجري.

استمر في التسلق.

القسم الثالث

آدم توياس هاسلر

بعثة هاسلر

شمال غرب وايومنج

منذ 678 يوم

طحالب زاهية اللون تحفُّ بالضفة، وينابيع من المياه المعدنية تخرخر حيث تنبثق من العالم السفلي المنصهر في الأسفل، رائحة الكبريت والمعادن الأخرى قوية.

يتجرد هاسلر من ملابسه في الثلج المتساقط ويغطي ثيابه وعتاده بمعطفه الطويل النتن. يسرع عبر العشب، وينزلق في البركة وهو يئن من المتعة.

في وسط البركة المياه عميقة وصافية تحاكي زرقة السماء.

يجد بقعة قرب الشط عمقها قدم ونصف ويتمدد على صخرة طويلة ملساء تزهو بانحدار طبيعي.

متعة خالصة صافية.

كأنها مصنوعة من أجل هذا تمامًا.

يضطجع في بركة درجة حرارتها ثمانٍ وثلاثون درجة، والثلج يتساقط، تاركًا عينيه تنغلقتان على اندفاقات صغيرة من النشوة تذكره بما يبدو عليه الشعور بكونه إنسانًا. بالعيش في عالم متحضر من الرفاهية والراحة. حيث لا تلقي احتمالية الموت بظلمها عليه في كل لحظة.

لكن معرفة أين هو، ومن هو، ولماذا هو هنا لم تتعد عنه قط. صوت متوتر -الصوت الذي أبقاه حيًا طوال الثمانمائة ونيف يوم الماضية في البرية- يهمس له بأنه كان من الحماقة أن يتوقف من أجل غطسة في هذه البركة. تراخٍ وتهوُّر. هذا ليس ينبوعًا معدنيًا في منتجع صحي. يمكن أن يظهر قطع من المنحرفين في أي لحظة.

في العادة هو يتحاشى الأخطاء، لكن هذه البركة لا تخلو من المغريات، وهو يعلم أن ذكرى وقته هنا ستساعده لأسابيع قادمة. إلى جانب ذلك، لا فائدة من الخريطة والبوصلة في وسط عاصفة ثلجية، هو محصور هنا إلى أن ينجلي الجو.

يغلق عينيه مرة أخرى، يشعر بندف الثلج تحط على رموشه.

في البعيد يسمع صوتًا، مثل مياه تندفع من نَيْسَم⁽¹⁾ حوت - واحد من ينابيع المياه الحارة الأصغر ينبثق.

تدهشه ابتسامته.

(1) النَيْسَم أو فتحة النفث في علم الأحياء هي فتحة في رؤوس الحيتانيات تستعملها لتنفس الهواء عند الصعود إلى سطح الماء. تماثل فتحة النيسم عند الحيتان المنخر عند باقي أنواع الحيوانات. (المترجم)

لقد رأى هذا المكان لأول مرة في الصور باهتة الألوان من مجلد حروف "XYZ" من الموسوعة البريطانية في قبو والديه؛ صورة لحشدٍ من ستينيات القرن العشرين يتفرجون من الممشى الخشبي بينما فؤارة (أولد فيثفول) تنفث المياه المعدنية المغلية.

لقد حلم بالقدوم إلى هنا منذ كان صبيًا. لكنه لم يتخيل قط أن زيارته الأولى إلى متنزه ييلوستون ستكون في مثل هذه الظروف. بعد ألفي عام في المستقبل، وقد ذهب العالم كله إلى الجحيم.

يقبض هاسلر على حفنة من الحصى، ويبدأ في كشط التراب والوسخ اللذين تراكما على جلده مثل درع على جسده. في منتصف البركة، حيث تغطي المياه العميقة رأسه، يغوص بجسده كله.

يخرج من البركة نظيفًا لأول مرة منذ شهور، ويجلس وسط العشب المكتسي بالصقيع ليترك جسده يبرد.

يتصاعد البخار من كتفيه.

يشعر بتشوش من الحرارة.

عبر المرح، تنهض الأشجار دائمة الخضرة مثل أشباح، تكاد تختفي وسط البخار والثلج.

وعندئذٍ...

يبدأ شيء حسب شجيرة في الزحف.

يتوقف قلب هاسلر.

يعتدل في جلسته، ويضيق عينيه.

لا يمكنه أن يحدد مقدار المسافة بينهما، لكنها بالتأكيد في حدود مئة ياردة. من السهل أن يظنه - خطأً - رجلاً يزحف على أربع من هذه المسافة، غير أنه لم يعد هناك رجال في العالم. على الأقل ليس وراء السور المكهرب المكسو بالأسلاك الشائكة الذي يطوق بلدة واوارد باينز.

حسنًا، في الحقيقة، هناك واحد.

هو.

يقرب الهيكل أكثر.

لا.

هياكل.

ثلاثة منهم.

أيها الأحمق!

هو عارٍ، وأفضل وسيلة دفاع لديه -مسدس عيار 357- مدسوس بعيدًا في جيب معطفه الطويل في الناحية الأخرى من البركة.

لكن ولا حتى مسدسه السميت أند ويسون يمثل حلاً مريحًا إزاء ثلاثة منحرفين في مرمى قريب وسط غبش العاصفة الثلجية. لو كان مستعدًا، لو كان قد لمحهم على مسافة أبعد، لأسقط واحدًا أو اثنين ببندقيته الونشستر. لأسكن رصاصة في جمجمة الأخير مباشرةً بمسدسه.

لا جدوى من هذا الخط في التفكير.

هم قادمون نحو البركة.

يتراجع هاسلر -بهدوء ودون صوت- إلى داخل المياه، ويغوص فيها حتى عنقه. بالكاد يمكنه رؤيتهم الآن من خلال البخار، وهو يصلي كي يقطع ضعف الرؤية الطريق بالنسبة إلى الطرفين.

عندما يقترب المنحرفون، يخفض هاسلر رأسه حتى عينيه.

إنها أنثى ناضجة ويافعان أقل حجمًا، كل واحد منهما يبلغ نحو مئة وعشرين رطلًا - لكنه حجم قاتل بسهولة. لقد رأى منحرفين أصغر حجمًا من هذا يُسقطون ثور بيسون كامل النمو.

الأنثى في حجم اليافعين مجتمعين.

من على مسافة ستين قدمًا، يراقب هاسلر بينما تتوقف الأم عند كومتها من الثياب والعتاد.

تدني أنفها من معطفه الطويل.

ينضم إليها الصغيران ويتشمان كذلك.

يرتفع هاسلر بضعة مليمترات إلى أن تعلق أنفه الماء تمامًا.

يأخذ نفسًا طويلًا نافذًا، وينزل تحت الماء، نافخًا ما يكفي من الهواء من رئتيه حتى يغوص جسده.

بعد قليل، يكون جالسًا على قاع البركة الصخري.

تيارات من الماء الحارق تندفع عبر شقوق ضئيلة تحت ساقه.

يغلق عينيه، وعندما يشتد الضغط والوجع في رئتيه، يتجلى الحرمان من الأكسجين على هيئة انفجارات من الضوء.

يغرس أظافره في ساقه.

يتنامى تعطشه إلى التنفس أضعافًا مضاعفة.

يتملكه تمامًا.

عندما لا يعود في إمكانه التحمّل أكثر من ذلك، يصعد إلى السطح
ويأخذ جرعة من الهواء.

ذهب المنحرفون.

يدور في الماء ببطء -بوصة بوصة-

يتجمد في مكانه.

الرغبة في الانتفاض إلى الورا، في الجري فقط، تكاد تكون غير
قابلة للمقاومة.

على مبعدة عشرة أقدام عند حافة البركة، يقرفص واحد من
المنحرفين الصغيرين بجوار الماء.

بلا حراك.

رأسه مائل قليلاً إلى جانب واحد.

مذهول.

يتفحص انعكاسه في الماء؟

لقد رأى هاسلر من هذه الوحوش عددًا أكبر من نصيبه العادل،
لكن غالبًا عبر منظار بندقيته، من بعيد.

لم يكن قط على هذا القرب من أحدهم دون أن يكتشفه.

لا يستطيع أن يبعد عينيه عن قلب الوحش الصغير؛ ونبض
العضلة ظاهر عبر الجلد الشفاف، والدم يضخ عبر شرايينه؛ طرق
سريعة أرجوانية تتقاطع في الكتلة المركزية. وكل شيء غائم ومشوش
كأنه يشاهده من خلف لوح كوارتز.

للمنحرف عينان صغيرتان تذكّرانه بالألماسات السوداء؛ صلبة
وتنتمي إلى عالم آخر.

لكن الغريب أن صفات الوحش المرعبة لم تكن هي التي تخيفه إلى هذا الحد.

إنها البشرية التي تراءت من خلف البرائن ذات المخالب الخمسة الطويلة، وصفي الأسنان الحادة، والقوة البدنية الهائلة. من الواضح بشدة أن هذه الأشياء تطورت منّا، وصار العالم الآن عاملهم. قدّر ديفيد بيلتشر -رئيس هاسلر ومنشئ وايوارد باينز- وجود نصف مليار منحرف في هذه القارة وحدها.

البخار كثيف، لكن هاسلر لا يجروء على الانزلاق عائداً إلى أسفل السطح.

لا يتحرك.

وما زال المنحرف يتفرج على انعكاسه في البركة.

إما إنه سيراه وسيموت، وإما...

من بعيد، تصيح أمه.

يرتفع رأس المنحرف الصغير.

تصيح الأم مرة أخرى، وصوتها ممتلئ بحدة الوعيد.

يسرع المنحرف مبتعداً.

ينصت هاسلر بينما يتحرك الثلاثة مبتعدين عن البركة، وقبل أن يخاطر بأقل درجة من التحرك -التفاتة سريعة من رأسه- يختفون في العاصفة الثلجية.

ينتظر هاسلر أي توقف قصير لهطول الثلج، لكنه لا يأتي قط. يخرج من البركة وينفض طبقة سُمكها ثلاث بوصات من نثار الثلج

من فوق معطفه الطويل، ويجفف كل قدم قبل أن يضعها في الحذاء الثقيل.

يرتدي معطفه الطويل على جسده المبتل ويحمل بقية عتاده ويركض عبر الخلاء نحو صف أشجار الصنوبر. يغطس تحت قبة من الأغصان الدانية التي تحمي الأرض تمامًا، كأنها سقف من القش. كان قد بدأ يرتعش بالفعل، لذا يلقي بكل شيء ويفتح حقيبة ظهره بسرعة. ترقد بالأعلى حزمة نبات الظيان الأبيض الذي يشبه لحيه رجل عجوز، وتحتها حزمة من نبات الصوفان شديد الاشتعال جمعها ذلك الصباح.

تلتقط الأشنة الشرارة الثالثة.

وعندما تبدأ الأغصان الرفيعة في الطقطقة، يقتطع هاسلر عدة غصون أكبر في متناوله ويقطعها على ركبته.

تهدر النار.

يفارقه البرد.

يقف عارياً في حرارة أسنة اللهب.

بعد قليل، يكون في كامل ثيابه وراحته، مستنداً بظهره إلى جذع الشجرة ويده مرفوعتان نحو النار.

خارج خلوته المحمية من العوامل الجوية، يهطل الثلج على المرج.

يزحف الليل داخلاً.

هو يشعر بالدفء.

بالجفاف.

وللحظة...

أنه ليس ميتاً.

في ضوء كل ما حدث، في هذا العالم الجديد اللعين، هذا هو أقصى ما يمكن للمرء أن يتمناه في نهاية يوم طويل بارد.

في المرة التالية التي تنفتح فيها عيناه، يرى السماء عبر الأغصان متشربة بزرقا عميقة والمرج يرقد مدفوناً تحت طبقة مقدارها قدم من البياض اللامع.

احترقت النار حتى انطفأت منذ ساعات.

تنحني الشجيرات في المرج تحت ثقل الثلج كأنها أقواس صغيرة.

بفضل ينابيع الماء الساخن، ولأول مرة منذ شهور، لا يشعر هاسلر وهو يجاهد كي يقف على قدميه أنه متيبس مثل مفصلة صدئة.

هو ظمآن لكن ماءه تجمد في الليل.

يأكل من اللحم المقدد ما يكفي فقط لصد الجوع الجامح المجنون الذي يصحو عليه دائماً.

يرفع بندقيته، ويمسح بمنظارها الخلاء بحثاً عن أي أثر لحركة.

درجة الحرارة أبرد من الأمس بعشرين أو ثلاثين درجة - بالكاد أعلى من الصفر- وخيوط من البخار تتصاعد في سحابة أبدية من الينابيع الساخنة.

غير ذلك، لا شيء يتحرك في ذلك المشهد الشتوي الفسيح.

يُخرج بوصلته ورقعة الخريطة الصغيرة، ثم يرفع حقيبة ظهره على كتفيه.

يزحف هاسلر خارجًا من تحت الأغصان المتدلّية، وينطلق عبر المرج.

الجو بارد وساكن تمامًا، والشمس في طريق صعودها.

في منتصف المرج، يتوقف ويفحص بقعة الأرض المحيطة عبر منظار بندقيته الونشستر.

حاليًا على الأقل، العالم ملكه وحده.

عندما تصعد الشمس، يغدو الوهج المنعكس من ركام الثلج مؤلمًا. كان ليتوقف كي يُخرج نظارته الشمسية، لكن الظلام المرعب في الغابة قريب المنال.

كانت كلها من أشجار الصنوبر الساحلي.

عمالقة بارتفاع مائتي قدم ذات جذوع نحيلة مستقيمة وهامات ضيقة.

الارتحال في الغابة أخطر بكثير، وعند حافة الأشجار يُخرج هاسلر مسدسه من جيب داخلي في معطفه الطويل ويتأكد من حشوه.

تنحدر الغابة صاعدة.

تندفع الشمس عبر أشجار الصنوبر في دفقات من الضوء.

يعتلي هاسلر نتوءًا صخريًا.

تلوح للرائي بحيرة تلتمع مثل جوهرة. تجمد الماء بالقرب من الشط، لكنه ما زال سائلاً في قلبها. يجلس على جذع شجرة ذابلة ويرفع مؤخرة البندقية إلى كتفه.

البحيرة مترامية الأطراف. يفحص شطها بمنظاره. لا شيء في الاتجاه الذي ينتوي التحرك فيه إلا البياض المتفرق بلا شائبة.

على الناحية المقابلة -على مبعده بضعة أميال- يلمح فحلاً من المنحرفين في بقعة دامية من الجليد يجذب حبلاً طويلة من أمعاء دب أشيب ضخم مزق المنحرف حلقة.

ينزل هاسلر المنحدر الهين.

عند شط البحيرة، يدرس الخريطة مرة أخرى.

تقترب الغابة من الماء، ويشق هاسلر طريقه ملتزماً المسافة بين الشط والأشجار، إلى الناحية الغربية من البحيرة. كانت الرحلة عبر الجليد قد أضنته.

يُنزل هاسلر البندقية من فوق كتفه ويتداعى بالقرب من حافة الماء. من قريب يرى أن الجليد لم يكن سميكاً. مجرد قشرة هشة تكوّنت من نسيم الليل القاسي. لقد أتى هذا الثلج مبكراً. مبكراً جداً. بحساباته هو في يوليو فحسب.

يفحص خط الشاطئ مرة أخرى بمنظاره.

الغابة إلى ظهره.

لا شيء يتحرك غير ذلك المنحرف في الناحية الأخرى من البحيرة، ورأسه بأكمله الآن مدفون داخل بطن الدب يلتهم منه.

يميل هاسلر مستنداً بظهره إلى حقيبته ويُخرج الخريطة.

لا توجد ريح، ومع وجود الشمس أعلاه مباشرةً، يشعر بالدفء يتغلغل إلى عظامه.

يحب الصباحات. هي دون شك وقته المفضل من اليوم. ثمّة شيء يبعث على الأمل في الاستيقاظ مع الضوء المبكر دون أن تعرف ما يخبئه لك اليوم في جعبته. ومن الناحية العاطفية، كانت أوقات الأصيل هي الأصعب، مع بدء انحدار الضوء واستقرار المعرفة بأنه سيقضي ليلة أخرى في العراء، وحيداً في الظلام، وخطر الموت ميتة شنيعة يحوم قريباً إلى الأبد.

لكن في هذه اللحظة على الأقل، يبدو الليل القادم بعيداً جداً.
مرةً لأخرى تنعطف أفكاره شمالاً.
إلى وايوارد باينز.

إلى اليوم الذي سيصل فيه إلى سورها، ويعود إلى الأمان.
إلى ذلك البيت الفيكتوري الصغير في الشارع السادس.

وإلى المرأة التي يعشقها بشراسة لن يفهمها أبداً تمام الفهم. من أجلها فقط هجر حياته في عام 2013، متطوعاً بأن يوضع في حالة حياة مرجأة لمدة ألفي عام، دون أي فكرة عن ماهية العالم الذي سيصحو عليه. لكن مجرد معرفة أنه سيكون عالماً فيه تيريزا بيرك حية، وزوجها إيثان ميت منذ أمد بعيد، كانت أكثر من كافية بالنسبة إليه كي يجازف بكل شيء.

يمسك بالخريطة مع البوصلة.

أبرز ملمح في هذه المنطقة هو قمة جبل ارتفاعه عشرة آلاف قدم كان يُدعى -فيما مضى- جبل شريدان. تنهض القمة ذات العشرة آلاف قدم أعلى خط الأشجار؛ بقعة بيضاء تماماً بارزة على خلفية

السماء الأرجوانية. الريح عاصفة عند الذروة، مع تناثر شرائط من الثلج من فوق القمة.

ساعة من المشي في الأحوال العادية.

ساعتان أو ثلاث في طبقة عمقها قدم من الثلج حديث السقوط.

حاليًا، هي تمثّل ببساطة شماله.

اتجاه الوطن.

آل ريتشاردسون

نزل بوب من السيارة، وأغلق الباب برفقٍ وراءه. كانت الغابة هادئة، والصرخات في البلدة بعيدة. سار بعيدًا قليلًا عن صندوق المحرك، وحاول أن يفكر. كانت مغادرة البلدة هي الخيار الصحيح؛ فهما ما زالا حيين. انطفأ المصباح الداخلي في السيارة. حلَّ الظلام.

تراخى جالسًا على الأسفلت، ووضع وجهه بين ركبتيه.. بكى بهدوء.. بعد دقيقة، انفتح باب السيارة خلفه، وألقت الأضواء الداخلية لونها على الطريق.

سارت نحوه زوجته التي منحتها له وايبوارد باينز. قال بوب: قلت إني في حاجة إلى دقيقة..

- هل تبكي؟

مسح عينيه وقال: لا.

- يا خبر! أنت تبكي.

- دعيني وحدي من فضلك.

- لماذا تبكي؟

أشار نحو البلدة وقال: أليس هذا كافيًا؟

جلستُ بجانبه.

قالت: كان في حياتك شخص ما، أليس كذلك؟ أقصد قبل وايوارد باينز.

لم يرد.

- زوجتك؟

- اسمه...

- اسمه؟

- كان بول.

جلسا هكذا في الطريق.

يتنفسان.

أخيرًا قالت بربارا: لا بد أن هذا كان فظيعةً بالنسبة إليك.

- أنا واثق أنها لم تكن رحلة خلوية -بأي شكلٍ- بالنسبة إليك.

- لم يبدُ قط أنك فعلاً...

- أنا آسف.

- وأنا أيضًا.

- كيف يمكن أن تكون هذه غلطتك ولو من بعيد؟ لا شيء من هذا

كان خيارًا لنا يا بربارا. لم تتزوجي من قبل قط، أليس كذلك؟

- كنتَ الأول بالنسبة إليّ.. بأكثر من شكل.

- يا إلهي! أنا آسف جدًا.

ضحكت بربارا، وقالت: وكيف يمكن أن تكون هذه غلطتك ولو من بعيد؟ العذراء ذات الخمسين عامًا...

- والملكة⁽¹⁾.

- يبدو أقرب إلى اسم فيلم سيئ.

- أليس هو كذلك؟

- كم المدة التي ظللت أنت وبول...؟

- ستة عشر عامًا.. فقط لا يمكنني تصديق أنه ميت، أتعرفين؟ أنه مات منذ ألفي عام، لطالما اعتقدت أنني سأكون معه مرة أخرى.

- ربما ما زال ذلك في إمكانك.

- هذا لطف منك.

مدّت يدها، وأمسكت بيده، وقالت: خلال السنوات الخمس الأخيرة، كنتَ كل ما لديّ يا بوب، لطالما عاملتني بعناية، باحترام.

- أعتقد أننا جعلنا الأمر يسير على أفضل ما يمكننا أن نفعله.

- وقد صنعنا الكثير من الفطائر الجيدة.

في مكان ما، تتردد أصداء الرصاصات عبر الوادي.

قالت: لا أريد أن أموت الليلة يا حبيبي..

ضغط يدها، وقال: لن أدع ذلك يحدث.

(1) من الاستخدامات العامة المبتدلة لكلمة queen أو الملكة الإشارة إلى الرجل المثلي. (المترجم)

بليندا موران

جلستُ المرأة العجوز في مقعدها الجلدي الوثير، وقد فردت مسند
القدمين، ووضعت صينية العشاء على حِجرها. على ضوء الشموع،
قلبت أوراق اللعب، في نصف شوط من لعبة سوليتير.

في البيت المجاور، كان جيرانها يُقتلون.

همهمت -بهدوء- لنفسها.

معها ولد البستوني.

وضعته تحت ملكة القلوب الحمراء في الصف الأوسط.

بعد ذلك ستة ديناري.

ذهبت أسفل السبعة البستوني.

ارتطم شيء ببابها الأمامي.

ظَلَّتْ تَقْلِبُ الأوراق.

وتضعها في مكانها الصحيح.

ضربتان أخريان.

انفجر الباب منفتحًا.

رفعت عينيها.

زحف الوحش داخلاً، وعندما رآها جالسة في المقعد، زمجر.

قالت: كنت أعرف أنك قادم، لم أعتقد أنك ستأخر إلى هذا الحد.

عشرة أسباتي.. إمام.. لا مكان لهذه الورقة بعد.. أعادتها إلى الكومة.

تحرك الوحش نحوها.. حدقت إلى عينيهِ الصغيرتين السوداوين.

تساءلت: ألا تعرف أنه ليس من الأدب أن تدخل بيت أحدهم

دون دعوة؟

أوقفه صوتها في مكانه.. مال برأسه.

تقطرت الدماء -لا شك أنها من جيرانها- من صدره إلى الأرضية.

وضعت بليندا الورقة التالية.

قالت: أخشى أن هذه لعبة فردية، وليس لدي أي شاي لأقدمه لك.

فتح الوحش فمه، وأصدر صوتًا من حلقه أشبه بنعيق طائرٍ بشعٍ.

قاطعته بليندا: هذا ليس صوتك الداخلي..

انكمش المنحرف متراجعًا بضع خطوات.

وضعت بليندا ورقة اللعب الأخيرة.

صفقت: ها! فزت بالدور للتو!

جمعت أوراق اللعب في حزمة واحدة، وفقتها، ثم خلطتها.

قالت: يمكنني أن ألعب سوليتير طوال اليوم كل يوم.. لقد اكتشفت
في حياتي أن أفضل صحبة أحياناً هي ذاتك.
ترددت زمجرة من جديد في حلق الوحش.
زعقت بليندا: امنع هذا حالاً! لن يكلمني أحد بهذه الطريقة في بيتي.
تغيّرت الزمجرة إلى شيء يكاد يشبه الهرهرة.
قالت بليندا، وهي تبدأ دوراً جديداً: هذا أفضل.. أعتذر عن
الزعيق.. طبعي يغلبني أحياناً.

إيثان

كان الضوء من بعيد يقترب أكثر، لكنه لم يستطع أن يرى شيئاً حوله.

تعثّر كل بضع خطوات، وتمزّقت يداه كلما قبض على الأغصان في الظلام.

تساءل: هل يستطيع المنحرفون تتبّعنا؟ من الرائحة؟ الصوت؟ الرؤية؟ كل ما سبق؟
اقتربت المشاعل.

استطاع أن يرى مجموعته في الإضاءة.

خرج إيثان من بين الأشجار عند سفح المرتفع الصخري.

كان هناك بالفعل طابور من الناس يتحركون كالنمل صاعدين الصخور، ووهج المشاعل في الأعلى أشبه بخيطٍ من مصابيح الكريسماس معلق على الجرف.

لقد سعد إيثان في هذا الطريق مرة واحدة فقط من قبل عندما كان يحاول اختراق الجوّالين؛ جماعة كيت وهارولد السرية.

تُبنت كابلات فولاذية داخل الصخر في سلسلة من التعرجات المريعة فوق مواطنٍ أقدام ومواضع قبض بالأيادي من صنع الإنسان. وقف ستة أشخاص حول سفح الجرف، ينتظرون دورهم في الصعود.. بحث عن أسرته، لكنها لم تكن هناك.

اقترب منه هيكتِر وقال: هذه فكرة سيئة؛ أن يوضع الأطفال على الكابلات في الظلام.

فكر إيثان في بن، ثم أبعد ابنه عن ذهنه.

تساءل هيكتِر: كم عدد القادمين؟

- أكثر مما يمكننا التعامل معه.

على منحدر الجبل في الأسفل، كان بمقدور إيثان أن يسمع تكسر الغصون.

لديه ملء جيبه من القذائف عيار اثني عشر، بدأ يلقمها في خزانة البندقية بينما يراقب حافة الغابة.

مع آخر قذيفة في الماسورة، صوّب البندقية نحو الأشجار.

قال في عقله: ليس بعد. فلتتأخروا قليلاً من فضلكم.

ربت هيكتِر على كتف إيثان، وقال: حان الوقت.

صعدوا على سطح الصخر، متشبثين بالكابل القارض البرودة.

قبل أن يصل إيثان إلى التعرج الثالث، ضجّت الغابة تحته بالصرخات والصرخات.

تصاعدت الوديلات من بين الأشجار.

أقرب مشعل أعلاه بعشرين قدمًا، لكن النجوم كانت كثيرة وساطعة بما يكفي لإنارة الصخر.

ألقي إيثان نظرة على أسفل الجرف في اللحظة التي خرج فيها أول منحرف من بين الأشجار.

ظهر آخر.

وآخر.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ثم خمسة آخرون.

ثم عشرة.

سرعان ما تجمّع ثلاثون منهم عند السفح.

استمر في التسلق، محاولاً أن يركّز على التشبُّث بالكابلات والخطوط بقدمين ثابتتين، لكن في كل مرة ينظر فيها إلى أسفل يجد المنحرفين زادوا عن قبل.

صار الصخر عمودياً.

تساءل إلى أي مدى وصلت تيريزا وبين.

أهما الآن آمنان في مغارة الجوّالين؟

من أعلاه، سقطت صرخة في اتجاهه.

أقرب، وأقرب، وأقرب، وأقرب، وأقرب، وأقرب، وأقرب...

ازدادت علوًّا أضعافاً مضاعفة إلى أن صارت فوقه تمامًا.

رفع رأسه بينما كان رجل يندفع كالصاروخ ساقطاً، بذراعين تضربان الهواء، وعينين مفتوحتين على اتساعهما رعباً.

هوى على مبعدة بوصتين من إيثنان، وارتطمت رأسه بنتوء صخري أسفله بعشرين قدماً، وجعلته الضربة يتشقلب بقية المسافة نحو أرض الغابة في صمتٍ مطبق.

يا إلهي!

أحسَّ إيثنان بساقيه مائعتين.

سرت رعدة في قدمه اليسرى.

مال على الصخر وتشبَّث بموضع قبض. أغلق عينيه. فليدع الهلع يمرُّ بدورته في جسده إلى أن يستهلك ذاته.

مرَّت الرعدة.

تابع إيثنان الحركة، جاذباً جسده، قدماً بعد قدم، على الكابل الصدئ بينما المنحرفون يمزقون الرجل الذي فقد موضع قدمه على الجرف.

وصل إيثنان إلى الممشى على اللوح الخشبي.

اتساعه ست بوصات، ويمتد عبر سطح الصخر.

كان هيكتر قد قطع نصفه بالفعل.

تبعه إيثنان.

كانت الغابة الآن أسفلهم بثلاثمائة قدم.

وكانت وايوارد باينز في مكان ما هناك، وما زالت البلدة معتمدة لكنها مليئة بصرخات نائية.

على الصخر بالأسفل، لمح إيثنان حركة.

هياكل بيضاء تتسلق نحوه.

صاح في هيكتَر: إنهم على الجرف!

نظر هيكتَر إلى أسفل.

تسلق المنحرفون بسرعة، دون خوف، كأن احتمالية السقوط لا وجود لها.

توقف إيثان، ممسكًا الكابل بيدٍ بينما يحاول أن يمسك بالبندقية مسكة جيدة.

لا فائدة.

هتف نحو هيكتَر: تعال هنا!

استدار هيكتَر بصعوبة على الألواح الضيقة، وعاد نحو إيثان.

قال إيثان: أحتاج منك إلى أن تمسك بحزامي.

- لماذا؟

- لا يوجد حيز كافٍ هنا لي كي أقف وأصوب.

- لا أفهم.

- امسك الكابل بيدٍ، واقبض على حزامي بالأخرى. سأميل إلى

الحافة وأصوب بدقة.

قطع هيكتَر الأقدام القليلة الباقية إلى إيثان بخطواتٍ جانبية وقبض على حزامه.

تساءل: أفترض أنه مثبت جيدًا؟

- مغلق بإحكام.. هل أمسكت بي؟

- أمسكت بك.

ورغم ذلك تطلَّب الأمر ثلاث ثوانٍ من إيثان كي يستجمع شجاعته.

أفلت الكابل وأنزل حزام البندقية من فوق كتفه، وصوّب نقاط الضوء الأخضر على سطح الجرف.

كان عشرة منحرفين يصعدون في عنقود محكم. حاول أن يركز، أن يزيح الخوف عن ذهنه، لكنه ظل يرى في خياله الرجل وهو يضرب بذراعيه الهواء نحوه، ورأسه تنشق على الصخر.

الصرخة.

الصمت.

الصرخة.

الصمت.

انقلبت معدة إيثان. بدا أن العالم يندفع صاعدًا إليه، ويسقط بعيدًا عنه في نفس اللحظة.

مالك نفسك.

صوّب إيثان نقطة ضوء على القائد.

ردّته البندقية نحو الجرف، وجلجل دوي الرصاصة في أرجاء الوادي، وارتدّ من جدار الصخر الغربي عائداً.

ضرب الخرطوش قائد المنحرفين.

سقط مطلقًا صرخة حادة وتعثرّ هابطًا الصخر، مصطدمًا بأربعة آخرين ليلقي بهم معه مثل هياكل البولينج الخشبية.

تماسك الآخرون بسرعة.

كانوا قد صعدوا إلى مسافة تقترّب من ستين قدمًا أسفل اللوح.

مرة أخرى مال إيثان فوق النتوء الصخري، وسمع هيكتر يئنُّ، وتخيل الكابل وهو يحز في أصابع هيكتر.

استوعب المنحرفون الباقون الإشارة وتفرقوا في صعودهم.

أخذ ما يكفيه من وقتٍ في إطلاق النار عليهم من اليسار إلى اليمين.

بلا أخطاء.

راقبهم وهم يغوصون في الظلام، حاملين معهم حفنة آخرين كانوا قد بدؤوا للتو في التسلق.

نفدت ذخيرته.

قال إيثان: لا بأس..

جذبه هيكتر إلى اللوح من جديد، وأسرعاً في طريقهما، عابرين السطح الصخري إلى أن انعطفوا عند الزاوية في النهاية.

أسرعاً صاعدين النتوء المتسع إلى داخل الجبل.

بالكاد استطاع إيثان أن يرى شيئاً في الممر، وأمامه، كان باب المغارة مغلقاً.

دقّ على الخشب.

- هناك شخصان آخران هنا! افتحوا!

انزلق المزلاج على الناحية الأخرى، وصرت المفصلات عندما انفتح الباب.

لم يلاحظ إيثان هذا الباب في زيارته الأولى هنا، لكنه الآن فحصه بعناية. لقد سُيّد من جذوع الصنوبر المصفوفة أفقيًا والملتصقة معًا بمونة من عناصر طبيعية.

تتبع هيكتر إلى الداخل.

أغلقت كيت الباب بعده، وأعدت قضيبًا فولاذيًا ثقيلًا إلى مكانه كمزلاج.

قال إيثان: أسرتي..

- إنهما هنا.. بأمان.

لمحهما بالقرب من المنصة، وأشار إليهما، صانعًا لهما قلبًا بأصابعه.

تفحص إيثان المغارة: عدة آلاف من الأقدام المربعة، وقد تددت مصابيح الكيروسين من أسلاك في السقف الصخري الواطئ.

تجميعة من الأثاث.

بار على اليسار.

منصة عرض على اليمين.

كلاهما في هيئة متهالكة، كأنهما جُمعا من بقايا الخشب. وعند المدفأة الكبيرة، قرب جوف المغارة، كان أحدهم يوجج نارًا بالفعل.

نظر إلى إيثان ما يقارب مائة شخص فقط أو نحو ذلك، وكلهم مجتمعون حول المشاعل، وأعينهم تلتمع في نور النار.

قال: أين المجموعات الأخرى؟

هزّت كيت رأسها.

- نحن فقط؟

عندما فاضت عيناها بالدموع، احتضنها إيثان وقال: سنجد هارولد، أعدك بذلك.

ترددت صرخات المنحرفين عبر الممر وراء الباب.

تساءل إيثان: أين جيشنا؟

- هنا.

نظر إلى نصف دسته من الأشخاص المرعوبين الذين لا خبرة لديهم حتى بحمل السلاح.

تفحص إيثان الباب مرة أخرى. كان المزلاج قطعة طويلة من معدن صلب، سُمكه نصف بوصة. امتد بعرض الباب ذي الخمسة أقدام، الذي قُطع بخبرة ليلائم قوس المدخل بشكلٍ مضبوطٍ. بدا مستقره متينًا.

قالت كيت: يمكننا أن نقف جميعًا خارج الباب.. ونطلق النار على أي شيء يحاول القدوم من الممر.

قال إيثان: "لا يروقني هذا.. لا معرفة لدينا بكم عدد القادمين من هذه الأشياء، ودون إهانة.." ونظر إيثان إلى الوجوه المذعورة المحيطة به قبل أن يكمل: "لكن كم منكم يستطيع إطلاق النار بدقة تحت ضغط؟ هذه الأشياء لا تسقط بسهولة. من يحملون منكم مسدسات عيار 357؟ من الأفضل أن تصوّبوا نحو الرؤوس في كل مرة. لا، أعتقد أنه من الأفضل أن نبقى هنا. ونصلي كي يصمد الباب."

التفت إيثان، وخاطب بقية المجموعة: أحتاج من الجميع أن يتحركوا إلى الجدار البعيد.. لم نخرج من المأزق بعد.. فلتظلوا هادئين. بدأ الجميع يتحركون بعيدًا عن المنصة والبار، وتجمعوا قرب الأرائك المستندة إلى الجدار الخلفي من المغارة.

قال إيثان لكيت: سنبقى هنا، أمام هذا الباب، أي شيء يخترقه يموت. أين كيس الذخيرة؟

قال شاب يعمل في مصنع الألبان: أحضرته هنا.

تناوله إيثان منه وألقاه على الأرض. ركع فوقه وقال: أحتاج إلى بعض الضوء من فضلكم.

أمسكت ماجي بالمشعل فوق رأسه.

فَتَّش في الذخيرة، وقبض على علبة عرضها بوصتان وثلاثة أرباع البوصة.. خراطيش ونشستر من أجله، وبعد ذلك ناول الذخيرة الاحتياطية للجميع.

تحرك إيثنان إلى الورا من الباب عشرين قدماً، وحشا البندقية بخرطوش إضافي بينما ران صمت قلق على المغارة.

وقفت ماجي ومعها رجل آخر بالمشاعل وراء الرماة.

وقفت كيت بجوار إيثنان ممسكة بندقيتها، وكان بمقدوره أن يحس بها تجاهد كي لا تنهار.

ثم فجأة... حركة في الممر.

أخذت كيت نفساً حاداً، ومسحت عينيها.

صار بمقدور إيثنان أن يحسّ باقتراب المعركة. ألقى نظرة وراءه، حاول أن يجد زوجته وابنه وسط الحشد، لكنهما كانا قد انسحبا إلى الظلال. لقد تصالح مع احتمالية موته. لكن لم يكن هناك تصالح مع رؤية منحرف يشق طريقه نحو ابنه أو ينتزع أحشاء زوجته.. لن يكون هناك مجال للحياة بعد ذلك.. سواء عاش أو لا، لن ينجو من أثر ذلك.

لو اخترق المنحرفون ذلك الباب، وكان هناك أكثر من عشرة منهم، سيموت كل من في المغارة ميتة بشعة.

كان قد توقع صرخة لكن بدلاً من ذلك أتى صوت مخالِب تدق على الأرضية الصخرية للممر.

احتكَّ شيء بكتل الخشب على الناحية الأخرى من الباب، وبعد ذلك بدأ يخدش ما يحيط بالمقبض المعدني.

القسم الرابع

بيلتشر

رقدت بلدة وايوارد باينز حُطامًا؛ أبنية مقلوبة رأسًا على عقب، سيارات مبعثرة، طرق مشقوقة نصفين. حتى المستشفى دُمر، وحُطمت الطوابق الثلاثة العليا. شهد منزل إيثان على وجه الخصوص أسوأ ما في الأمر: هُشم قطعًا، وقُطمت أشجار الحور في الفناء الخلفي نصفين وحُشرت عبر النوافذ.

هذا النموذج المعماري المصعّر من وايوارد باينز صُنِع بتكليف من ديفيد بيلتشر عام 2010، ولم يبخل بشيء على النموذج الدقيق الذي وصلت تكلفته إلى خمسة وثلاثين ألف دولار. ظل طوال ألفي عام قائمًا تحت الزجاج باعتباره القطعة المركزية في مكتبه، ليس فقط كتحية للبلدة ذاتها، بل لطموحه الذي لا تحدُّ حدود.

لم يتطلب الأمر منه إلا خمس عشرة ثانية كي يدمره.

وها هو الآن جالس على أريكة جلدية، يشاهد صف الشاشات بينما البلدة الحقيقية تتفسخ أشلاء.

لقد قطع الكهرباء عن الوادي بأكمله، لكن كاميرات المراقبة تعمل بالبطاريات، وأغلبها لديها قدرة على الرؤية الليلية. عرضت الشاشات ما تراه الكاميرات، وكانت الكاميرات في كل غرفة في كل بيت، في كل مكان عمل، في الشجيرات، مخبأة في أعمدة النور، تستثيرها الرفاقات المجهرية المزروعة في كل مواطن من مواطني وايوارد باينز، وهي الليلة -ويا للعجب- تعمل جميعها.

أضيئت كل الشاشات تقريبًا.

على إحدى الشاشات: منحرف يطارد امرأة عبر دورة من السلام.

على أخرى: ثلاثة منحرفين يمزقون رجلًا في منتصف مطبخ.

- زمرة من الأشخاص يركضون لينجوا بأرواحهم في منتصف الشارع الرئيسي، ويهجم عليهم المنحرفون أمام متجر الحلويات.
- منحرف يلتهم بليندا موران في مقعدها الوثير.
- عائلات تعدو إلى مداخل البيوت.
- آباء وأمهات يحاولون أن يحموا أطفالهم من رعب لا يستطيعون إيقافه.

لقطات كثيرة للغاية من العذاب والرعب واليأس.

شرب بيلتشر جرعة من زجاجة سكوتش -ترجع صناعتها إلى عام 1925- وحاول أن يفكر في شكل إحساسه حيال ذلك. كانت هناك سوابق بالطبع، عندما تمرد أبناء الرب، فأنزل الرب عليهم عقابًا مستحقًا.

ثمة صوت ناعم، صوت تعلّم منذ زمن بعيد أن يتجاهله، همس له عبر عاصفة الجنون التي تدور بقوة في رأسه: هل تعتقد حقًا أنك ربهم؟

هل يرزق الرب؟

علامة صح.

هل يحمي الرب؟

علامة صح.

هل يخلق الرب؟

علامة صح.

والنتيجة؟

ناجح بدرجة امتياز لعينة.

البحث عن المعنى هو حجر الزاوية في القلق البشري، وقد أزال بيلتشر ذلك العائق. لقد منح الأربعمائة وواحدًا وستين نفسًا في ذلك الوادي وجودًا يتجاوز أكثر خيالاتهم جنونًا. منحهم الحياة والهدف، المأوى والراحة. بلا أي سبب آخر غير أنه اختارهم، كانوا أهم أفراد نوعهم منذ بدأ البشر العاقلون يمشون وسط حشائش السافانا في شرق إفريقيا قبل مائتي ألف عام.

لقد حُمّلوا هذه الأمانة فلم يتحمّلوها. طالبوا بالمعرفة الكاملة، المعرفة التي لم يكونوا مُجهّزين لهضمها، وعندما واجههم إيثان بيرك بالحقيقة، تمردوا على خالقهم.

رغم ذلك، جرحته مشاهدة موتهم على الشاشات.

لقد اعتبر حياتهم كنزًا؛ لم يكن لهذا المشروع معنى دون الناس.

لكن... عليهم اللعنة! فليُجهز عليهم جميعًا المنحرفون.

ما زال لديه بضع مئات من الأشخاص في حالة الإرجاء. لن تكون هذه أول مرة يبدأ فيها كل شيء من جديد، وسيدعمه أتباعه في الجبل في كل شيء، دون مساءلة، وبإخلاص خالص وكُلِّي؛ إنهم جيشه من الملائكة.

نهض بيلتشر، مترنحًا. سار إلى مكتبه في خط متعرج. لم يكن هناك أحد آخر في مجمع البنية الفوقية يعلم بما يحدث في الوادي. لقد أمر تيد أبشو بإغلاق المراقبة الليلة. لا بد من التعامل بدهاء وحكمة مع كشف ما فعله لأتباعه.

تداعى بيلتشر في مقعده، رفع هاتفه، واتصل بالصديق العزيز القديم تيد.

بام

وصلت إلى السور في قلب الليل. كان الثقب الذي حفره إيثان في مؤخرة فخذها الأيسر يشع ألمًا في ساقها كلها، ويصعد حتى إلى جذعها. كان المأمور قد انتزع رفاقها المجهرية وتركها ملقاة في الجانب الوحشي من السور، وحتى هذه اللحظة، كانت مشغولة بالتساؤل عن السبب. والآن، ترك هذا الفضول محله وهي تحدد إلى السور وتتساءل: ما هذا بحق الجحيم؟

كان صامتًا.

لا تطنُّ الكهرباء في عروقه.

من الغباء أن تفعل هذا، لكنها لم تستطع أن تقاوم: مدّت يدها وقبضت على الكابل الفولاذي السميك. وخزت الأشواك راحتها لكن لم يكن هناك غير هذا. لم تضربها الكهرباء. كان هناك شيء غير شرعي بشكلٍ غريبٍ، بل وإيروتيكي، في لمس السلك.

أفلمتته، شاعرةً بالنشاط والإثارة.

سارت تعرج بمحاذاة السور، وهي تتساءل إن كان بيرك قد فعل هذا. لقد اندفع سربٌ هائلٌ من المنحرفين ماراً بها منذ ساعتين. راقبتهم وهم يركضون شمالاً نحو وايبورد باينز من فوق شجرة صنوبر ارتفاعها أربعون قدمًا.

مئات ومئات منهم.

أسرعت في خطوها، مقاومةً الحريق المشتعل في مؤخرة ساقها. بعد خمس دقائق، وصلت إليها.

كانت البوابة مفتوحة.

مفتوحة على اتساعها.

نظرت خلفها في اتجاه الغابة المظلمة التي أتت منها هي وذلك الحشد من المنحرفين. حدقت إلى البوابة المفتوحة. أهذا ممكن؟

هل اندفع الحشد إلى داخل الوادي؟

هرولت بام عبر البوابة. كانت تشعر بألم جهنمي، لكنها لم تبطن، اكتفت بالنخير عبر الألم.

بعد عدة مئات من الياردات، سمعت الصراخ. لم تستطع من هذه المسافة أن تميز إن كان بشرياً أم صادراً عن المنحرفين، فقط أدركت أن هناك الكثير من الصراخ. توقفت عن الجري. كانت ساقها تنبض من الألم. ولم يكن معها سلاح. مصابة. وكل الاحتمالات تشير إلى أن حشدًا من المنحرفين قد دخل الوادي بطريقة ما.

شعرت بالتمزق. جزء من روحها يهمس لها بالحفاظ على نفسها ويحثها على الركض إلى مجمع البنية الفوقية. أن تصل إلى مكان آمن.

تنضم إلى جماعتها. تدع دكتور مايتير يرتق ما تفتق منها. لكن الجزء الذي يسيطر على كل نسيج فيها كان خائفاً. ليس من المنحرفين. ليس من أي رعب قد تقابله في بلدة يجتاحها الوحوش. كانت خائفة من أن تجد إيثان بيرك ميتاً بالفعل، وكان هذا غير مقبول.. بعد ما فعله بها، لم يكن هناك شيء في العالم تريده أكثر من أن تجد هذا الرجل وتقطعه أشلاء ببطء.

قطعة بعد قطعة من العذاب.

تيد أبشو

لفحته رائحة الخمر عندما فتح الباب إلى مكتب الرجل الكبير.
كان بيلتشر جالسًا خلف مكتبه، وعندما رأى تيد، ابتسم له
ابتسامة أعرض قليلاً من المعتاد. كان وجهه محمرًا، وعيناه تلتمعان.
- ادخل، ادخل!

جاهد كي يقف عندما أغلق تيد الباب وراءه.
كان بيلتشر قد دمر المكان. حُطمت شاشتان، وانقلب النموذج
المعماري المصغر لوايوارد باينز، وتناثر الزجاج الذي غطى نموذج
البلدة من قبل عبر الأرضية، وانسحقت المنازل والأبنية وسط الشظايا.

قال بيلتشر: أيقظتك من النوم، أليس كذلك؟
في الحقيقة لا.. لم يكن تيد ليستطيع أن ينام الليلة حتى لو حقنه
أحدهم بجرعة كبيرة من المهدئات. لكنه قال: لا بأس.

- فلنجلس معًا كصديقين قديمين.

كان هناك نوع من الثقل، من التآني، وراء كلمات بيلتشر. تساءل تيد إلى أي حد هو سكران فعليًا.

ترنح بيلتشر سائرًا نحو الأرائك الجلدية، عندما تبعه تيد، لاحظ أن الشاشات مطفأة هنا أيضًا.

جلسا على الجلد البارد، في مواجهة الشاشات المظلمة.

صبَّ بيلتشر كأسين مترعتين بالسكوتش من زجاجة باهظة الشكل عليها كلمة (ماكالان) وناول تيد كأسه.

قرعا الكأسين البلورتين.

شربا.

كان هذا أول شراب كحولي يرتشفه تيد بعد أكثر من ألفي عام.. عندما كان شريدًا ويشرب حتى الموت في أعقاب وفاة زوجته، كان تناول سكوتش قديم كهذا أقرب إلى تجربة دينية. لكنه فقد شهيته لهذا.

قال بيلتشر: ما زلت أذكر اليوم الذي التقينا فيه. كنت تقف في طابور الحساء الخاص بذلك الملجأ. كانت عيناك هما ما لفتتا انتباهي. كان فيهما حزن بالغ.

- أنت أنقذت حياتي.

رنا الرجل الكبير إليه: أما زلت تثق بي يا تيد؟

قال تيد كاذبًا: بالطبع.

- بالطبع. أغلقت مركز المراقبة عندما أمرتك بذلك.

- هذا صحيح.

- لم تسألني حتى عن السبب.

- لا.

- لأنك تثق بي.

حدق بيلتشر داخل كأسه إلى السائل الكهرماني الدوّار.

- لقد فعلتُ شيئاً الليلة يا تيد.

تطلع تيد إلى الشاشات المظلمة. شعر بشيء يغدو بارداً كالثلج في قرارة معدته. رنا إلى بيلتشر عندما رفع الرجل جهاز تحكم لוחي ونقر شيئاً على شاشة اللمس.

ومضت الشاشات منبعثة إلى الحياة.

كرئيس لوحدة المراقبة، قضى تيد ربع عمره يشاهد هؤلاء الناس وهم يأكلون وينامون ويضحكون ويبكون ويتضاجعون، وأحياناً -عند الدعوة إلى مهرجان- يموتون.

قال بيلتشر: لم أفعل هذا بسهولة...

حدق تيد إلى الشاشات، وثبتت عيناه على شاشة بعينها: امرأة مقرّفة في كابينة الدش، كتفاها يرتعشان من النههة بينما تخترق قبضة من المخالب الطويلة باب الحمام.

شعر فجأة بالإعياء.

راقبه بيلتشر.

تطلع تيد إلى رئيسه. وبعينين فاض فيهما الدمع قال: عليك أن توقف هذا.

- فات الأوان.

- كيف ذلك؟

- استخدمت منحرفينا الذين أسرناهم كي يجذبوا حشدًا إلى السور، ثم فتحت البوابة. لقد دخل أكثر من خمسمائة منحرف إلى البلدة.

مسح تيد عينيه.. خمسمائة.. لا يمكنه حتى أن يستوعب هذا العدد. خمسون منحرفًا فقط يمثلون كارثة مطلقة. جاهد تيد كي يسيطر على نبرة صوته:

- فكر كم عملتَ بجِدِّ كي تجمع الناس في ذلك الوادي. عقودًا من الزمان. تذكر الحماس الذي كنت تشعر به في كل مرة نضع مجندًا جديدًا في حالة إرجاء. وايوارد باينز ليست الشوارع أو الأبنية أو وحدات الإرجاء. إنها ليست شيئًا بنيته. إنها هؤلاء الناس وأنت...

- أداروا ظهورهم إليّ.

- أيتعلق هذا بكبريائك اللعين؟

- لديّ عدة مئات آخرين في الإرجاء. سنبدأ من جديد.

- الناس يموتون هناك يا ديفيد. الأطفال.

- أخبرهم بالمأمور بيريك بكل شيء.

- فقدت أعصابك. هذا مفهوم. أرسل الآن فريقًا لينقذ من يمكنهم إنقاذه.

- فات الأوان.

- ليس والناس ما زالوا أحياء، لم يفت الأوان. يمكننا أن نعيدهم جميعًا إلى الإرجاء. لن يتذكروا...

- ما كان كان.. خلال يوم أو نحو ذلك سينتهي التمرد في الوادي، لكنني أخشى أن تمردًا قد يحدث في هذا الجبل.

- عم تتحدث؟

رشف بيلتشر من كأسه وقال: أعتقد أن المأمور فعل هذا كله وحده؟

ضغط تيد يديه في قبضتين كي يمنع الرعدة التي أنبأته بالقدوم.

قال بيلتشر: تلقى بيرك العون من الداخل، من أحد رجالي..

- كيف لك أن تعرف؟

- لأن بيرك لديه معلومات لم يكن من الممكن أن يمتلكها دون مساعدة

من أحد في وحدة المراقبة.. شخص في مجموعتك يا تيد.

ترك بيلتشر الاتهام عالقًا في الهواء.

تصدع الثلج في كأسه.

تساءل تيد: أي معلومات تتحدث عنها؟

تجاهل بيلتشر السؤال، وثبتت عيناه في نظرتيها إلى عيني تيد،

وهو يقول: تتكوّن مجموعتك منك وأربعة من فنيي المراقبة. أعلم

أن ولاءك ثابت، لكن ماذا عن مرؤوسيك؟ تلقى بيرك العون من

أحدهم.. هل لديك أي أفكار عمّن يكون؟

- من أين تستقي هذا؟

- تيد.. هذه هي الإجابة الخاطئة.

حدق تيد في حجره إلى كأسه. رفع عينيه مرة أخرى.

قال: لا أعلم مَنْ في فريقك يمكنه أن يفعل شيئًا كهذا.. ألهذا

أغلقت المراقبة؟

- أنت تدير أكثر المجموعات حساسيةً في مجمع البنية الفوقية،

وقد جرى اختراقها.

- ماذا عن بام؟

- بام؟

- من الممكن أن يكون المأمور قد نال منها.

ضحك بيلتشر ساخراً: بام يمكن أن تشعل النار في نفسها لو طلبتُ منها ذلك. هي مفقودة بالمناسبة. تشير رقاقتها المجهرية إلى وجودها في البلدة، لكنني لم أتلّق منها اتصالاً منذ ساعات. سأسألك مرة أخيرة: أي واحد من رجالك؟

- أعطني الليلة.

- آسف؟

- أعطني الليلة كي أعرف من فعل هذا.

اضطجع بيلتشر في جلسته، ونظر إليه بحدة غامضة، وقال: تريد أن تتعامل مع هذا بنفسك، أليس كذلك؟

- نعم.

- مسألة شرف؟

- شيء من هذا القبيل.

- معقول جداً.

وقف تيد.

أشار بيلتشر إلى الشاشات: أنا وأنت فقط نعرف ما يحدث في الوادي. فليظل الأمر هكذا حالياً.

- تمام سيدي.

- إنها ليلة قاسية عليّ يا تيد.. أنا ممتن لوجود صديق مثلك أتكى عليه.

حاول تيد أن يبتسم، لكنه لم يتمكن من ذلك.. فقط قال: "سأراك في الصباح" وضع كأس السكوتش على طاولة وتوجه نحو الباب.

إيثان

صمت الجميع.

صمت بالغ حتى إن إيثنان استطاع أن يسمع النار وهي تشتعل في المدفأة في الناحية الخلفية من القاعة.

توقف الخدش.

سمع طقطقة هذه المخالب الطويلة مرة أخرى.

منسحبة.

هذا منطقي. لماذا قد يعتقد المنحرفون أن فرائسهم ذهبوا وراء هذا الباب؟ إنهم حتى لا يعرفون ماهية الباب. إنه شيء ينفتح على مكان آخر. لعل أغلبهم ما زالوا خارجًا في...

ضرب شيء ما الباب.

توحدت القاعة كلها في شهقة جماعية.

ارتج المزلاج في مستقره.

اعتدل إيثنان.

تلقي الباب ضربة أخرى -أقوى مرتين- كما لو أن منحرفين ارتطما به في نفس الوقت.

رفع صمام الأمان ورمق هيكتز وكيت والآخرين.

تساءلت كيت: ترى كم عددهم في الخارج؟

همس إيثنان: لا فكرة لديّ .. قد يكونون ثلاثين .. قد يكونون مائة.

في الظلام خلفهم بدأ الأطفال يبكون.

والآباء يحاولون إسكاتهم.

وظلّت الضربات مستمرة نحو الباب.

سار إيثنان إلى الجانب الأيسر حيث كانت المفصلات تربط الباب بالإطار. انخلع مسمار قلاووظ من إحدى الصفائح النحاسية الصدئة.

قالت كيت: هل سيصمد؟

- لا أعرف.

أتت الضربة التالية - الأقوى حتى الآن.

انفصلت الصفيحة العلوية بأكملها من الإطار.

ما زال هناك أربع صفائح أسفلها.

نادى إيثنان ماجي، وعلى ضوء المشعل، راقبوا مستقر المزلاج.

مع الصدمة التالية، ارتجّ لكنه تماسك.

عاد إيثنان إلى كيت، وسألها: هل يوجد طريق آخر للخروج من هذه القاعة؟

استمر وابل الضربات، وكلما ألقى المنحرفون بأنفسهم على كتل الخشب التي تكوّن الباب، بدا أن غضبهم يزداد، وهم يتصايحون ويصرخون الآن بعد كل محاولة فاشلة.

انفصلت صفيحة أخرى.

ثم أخرى.

كانت النهاية تقترب.. خطر على بال إيثان فعليًا أنه ينبغي له أن يذهب لبحث عن أسرته الآن. يمنح زوجته وابنه موتًا سريعًا رحيمًا؛ لأنه بمجرد دخول المنحرفين، ستكون لحظاتهم الأخيرة من الشعور ملكًا للرعب.

هدأ الممر خارج الباب.

لا خدش.

لا وقع خطوات.

حبست المغارة أنفاسها.

بعد لحظة طويلة، اقترب إيثان من الباب ووضع أذنه على الخشب.

لا شيء.

مدّ يده نحو المزلاج.

همست كيت: لا!

لكنه سحب المزلاج بقدر ما استطاع من هدوء وأمسك بالمقبض.

- ماجي، أحضري الضوء.

عندما وقفت ماجي خلفه، جذب إيثان المقبض.

صرّت المفصلتان الباقيتان بصوتٍ عالٍ وهما تتحمّلان ثِقْلَ البابِ كاملاً.

أضاء نور النار الممر.

كان ما زال يفوح برائحة المنحرفين -العفن والموت- لكنه كان خاليًا.

من الناس من جلسوا مستندين إلى الصخر ليكون.

ومنهم من كانوا يرتعدون -في صمتٍ- من هول ما رأوه.

ومنهم من جلسوا بلا تعبير على وجوههم، ساكنين كالحجر، محدقين إلى هاوية خاصة بهم.

ومنهم من نشطوا في الحركة.

يساعدون في العناية بالنار.

يصلحون الباب.

ينظمون الأسلحة.

يُخرجون الطعام والماء من المخزن.

يواسون الحزاني.

جلس إيثان مع أسرته على أريكة صغيرة مكسورة عند حافة النار. كان الدفء يسري في القاعة، وهي كتر يعزف شيئًا جميلًا على البيانو بدا أنه يخفف التوتر، يجعل الجميع يشعرون فقط بلمسة أكثر إنسانية.

في الضوء الخافت، أحصى إيثنان عددهم مرة بعد مرة.

وظل يصل في العد إلى رقم ستة وتسعين.

هذا الصباح، كان هناك أربعمائة وواحد وستون نفسًا في وايوارد باينز.

حاول أن يقول لنفسه إنه من الممكن أن تكون مجموعات أخرى قد نجت. أنهم تمكّنوا -بطريقة ما- من العثور على ملجأ. مكان لا يستطيع المنحرفون الوصول إليهم فيه. حصّنوا أنفسهم في المنازل أو المسرح. فرّوا إلى الغابة. لكن قلبه لم يصدق هذا. لعله كان سيتمكّن من تصديق هذا الاحتمال لو لم يطل من ذلك الباب المسحور ويرى ميجان فيشر في الشارع وكل هؤلاء الآخرين وهم يُذبحون.
لا.

لقد مُحي ثمانون في المائة من البشرية في وايوارد باينز.

قالت تيريزا: أفكر باستمرار أننا سنسمع أحدهم يطرق الباب.. هل تعتقد أن هناك احتمالًا بأن ينجح بعضهم في الصعود إلى هنا؟

- هناك دائمًا احتمال، أليس كذلك؟

رقدت رأس بن في حجر إيثنان، نعس الصبي.

تساءلت تيريزا: هل أنت بخير؟

- أظن ذلك، مع الوضع في الاعتبار أنني اتخذت قرارًا أرسل أغلبية هذه البلدة إلى حتفهم بعنفٍ.

- أنت لم تقطع الكهرباء عن السور وتفتح البوابة يا إيثنان.

- لا، فقط تسببت في حدوث هذا.

- كانوا سيقتلون كيت وهارولد.

- لعل هارولد ميت الآن على أي حال.
- لا يمكنك أن تنظر إلى الموضوع بهذه الطريقة...
- أفسدت كل شيء يا حبيبتى.
- منحت هؤلاء الناس حریتهم.
- وأنا واثق أنهم حظوا حقًا بفرصة تذوقها، بينما كان المنحرفون
يمزقون حلوقهم وينتزعونها.
- أعرفك يا إيثان. لا، انظر إليّ.
- وأدارت ذقنه نحوها قبل أن تتابع: أعرفك.. أعرف أنك لم تفعل إلا
ما آمنت بأنه الصحيح.
- أتمنى لو كنا نعيش في عالم تقاس فيه الأفعال بالنوايا الكامنة
وراءها، لكن الحقيقة أنها تقاس بعواقبها.
- اسمع، لا أعلم ماذا سيحدث، لكنني في حاجة فقط إلى أن
أخبرك، أريدك أن تعرف، أني أشعر بالقرب منك الآن -ونحن
على حافة الموت- أكثر مما شعرت لسنوات، وربما أكثر من أي
وقت مضى. أثق بك الآن يا إيثان. أعرف أنك تحبني. بدأت
أرى ذلك كما لم أراه من قبل.
- أحبك يا تيريزا. أحبك كثيرًا. أنتِ... كل شيء.
- قبّلها ومالت عليه وأراحت رأسها على كتفه.
- أحاطها بذراعه.
- سرعان ما نامت.
- نظر حوله.

كان الأسي الجماعي شيئاً ملموساً. بدا كأنه يُثقل الهواء بكثافة مثل الماء أو الدخان الكثيف.

بردت يداه. دَسَّ اليمنى في جيب معطفه الفرائي. لمست أصابعه شريحة الذاكرة التي تحوي لقطات ديفيد بيلتشر وهو يقتل ابنته. قبض عليها -بحرص- بين إبهامه وسبابته، وانفجرت في جوفه قنبلة غضب هيدرولوجينية. مكتبة سُرَّ مَنْ قرأ

لدى تيد نسخ من هذه اللقطات أيضاً، وكان إيثان قد طلب منه ألا يفعل شيئاً بها. أن يبقى على وضع الاستعداد. لكن هذا كان قبل اجتياح المنحرفين. هل كان تيد يعرف بما يحدث في وايوارد باينز؟ أجرى إيثان عملية إحصاء أخرى في ذهنه.

ما زالوا ستة وتسعين.

يا للهشاشة!

فكر في بيلتشر وهو جالس في دفء وأمان مكتبه، يراقب على شاشاته المائتين وست عشرة المسطحة بينما الناس الذين اختطفهم في حياة أخرى يُذبحون.

أيقظته الأصوات.

فتح إيثان عينيه.

كانت تيريزا تتقلب بجواره.

لم تتغير نوعية الضوء، لكن بدا أن الوقت تأخر كثيراً. كأنه نام لأيام.

رفع رأس بن برفقٍ من فوق حجره، ونهض وفرك عينيه.

كان الناس قد استيقظوا ويتحركون في كل مكان.

قرب الباب ارتفعت أصوات.

رأى مجموعتين منفصلتين، وكيت تقف بين هيكتر ورجل آخر.

كلا الرجلين يزعقان.

اتجه نحوهم، والتقت عيناه بعيني كيت.

قالت: لدينا بعض ممن يريدون الخروج.

رجل اسمه يان، كان يملك محل إصلاح أحذية في الشارع الرئيسي اسمه (محل الإسكافي) قال: زوجتي هناك في الخارج.. افترقنا عندما تشكلت المجموعات الأربع.

سأله إيثنان: وماذا تريد أن تفعل بالضبط؟

- أريد أن أساعدها! ما رأيك؟

- إذن اذهب.

قالت كيت: هو يريد سلاحًا ناريًا أيضًا..

اندفعت امرأة كانت تعمل في الحدائق المجتمعية متجاوزة عدة أشخاص وحدجت إيثنان قبل أن تقول: ابني وزوجي في الخارج.

قالت كيت: أتعرفين أن زوجي في الخارج أيضًا؟

- إذن لماذا نختبئ هنا بدلاً من إنقاذهم؟

قال هيكتر: ستموتون في غضون عشر دقائق من مغادرة هذه المغارة.

قال يان: هذا اختياري يا صاحبي..

- لن تأخذ سلاحًا.

قاطعته إيثنان: انتظر لحظة فقط. هذه محادثة للجميع.

سار إلى منتصف القاعة، وقال، بصوت عالٍ بما يكفي لأن يسمع الجميع: تحلقوا! نحتاج إلى الحديث!

تقارب الحشد ببطء. الأعين غائمة، والوجوه ذاهلة.

قال: أعلم أنها كانت ليلة صعبة..

صمت.

أحس بالغضب واللوم في الأعين التي تراقبه.

تساءل كم منهما كان موجودًا حقًا، وكم منهما تخيله.

- أعلم أنكم جميعًا قلقون بشأن من لم يتمكّنوا من الوصول إلى هنا، وأنا كذلك. نجحنا في الوصول بأعجوبة نحن أنفسنا، وربما يتساءل بعضكم لماذا لم نتوقف ونساعد. ويمكنني أن أخبركم الآن أننا لو فعلنا ذلك، لكانت هذه المغارة خاوية الآن، ولكننا جميعًا أمواتًا في ذلك الوادي. من الصعب سماع هذا. باعتبار أي الرجل المسؤول عنًا في هذا الموقف...

وهنا أطلت العاطفة برأسها.

ترك دموعه تنساب، ترك الرعدة تعترى صوته.

قال: من مكاني في آخر الطابور، رأيت ما كان يحدث لقومنا فوق الأرض. أعرف ما يمكن لهؤلاء المنحرفين أن يفعلوه. وأعتقد أننا جميعًا في حاجة إلى التصالح مع حقيقة صعبة قاسية. هناك احتمال بأننا كل ما تبقى من وايبورد باينز.

صرخ أحدهم: لا تقل هذا!

خطا رجل إلى وسط الدائرة. كان ضابطًا من ضباط المهرجان، ما زال يرتدي ثيابه السوداء، ما زال يحمل ساطوره. لم يتبادل إيثان معه الحديث قط، لكنه كان يعرف أين يعيش، وأنه يعمل في المكتبة

العامّة. كان نحيقًا ورشيقيًا، له رأس حليق ونمت شعيرات خفيفة على ذقنه. كان يحمل أيضًا ذلك السمّ من العجرفة غير المكتسبة التي يبدو أنها لصيقة بهؤلاء الذين يتوقون إلى السلطة من أجل السلطة الخالصة في حد ذاتها.

قال الضابط: سأخبرك بما يجب أن تفعله.. تجشّو على يديك وركبتيك، وتزحف عائداً إلى بيلتشر، وتتوسل للرجل طالبًا غفرانه. قل له إنك من فعل هذا. قل له إنك من جلب هذه العاصفة الخرائية على رؤوسنا وحدك تمامًا، وأنا نريد أن نعود إلى الطريقة التي كانت تسير عليها الأمور. أنه لا أحد منّا وافق على هذا.

قال إيثان: فات الأوان.. كلكم تعرفون الحقيقة الآن، لا يمكنكم أن تتخلصوا من معرفتها. لا يوجد سبيل سهل للخروج من هذا.

شقّ رجل قصير مدكوك الجسد -جزار البلدة- طريقه إلى وسط الدائرة.

قال: أنت تقول لي إن زوجتي وبناتي مُتن، أن دستة من أصدقائي الأعرءاء على الأقل ماتوا. إذن ماذا تقول عما نفعله حيال ذلك؟ نختبئ هنا كحزمة من الجبناء ونشطهم من حياتنا؟

تحرك إيثان نحوه، وفكُّه مشدود: لا أقول ذلك يا أندرو. لا أقول إننا سنشطب أحدًا.

- إذن ماذا؟ ماذا يجدر بنا أن نفعل؟ لقد رفعت الغمامة عن أعيننا. لكن من أجل ماذا؟ كي نفقد أغلبية قومنا ونعيش هكذا؟ كنت أفضل العبودية. كنت أفضل أن أكون آمنًا ومعني أسرتي.

توقف إيثان على مبعدة قدم من الرجل. تفحص كل الوجوه، وعثر على وجه تيريزا.. كانت تبكي. كانت ترسل إليه حبهًا. قال: ربما

أنا من أطلق رصاصة البدء، لكنني لم أقطع الكهرباء عن السور، ولم أفتح البوابة. الرجل المسؤول عن موت عائلتنا وأصدقائنا، وحتى عن وجودكم هنا في وايوارد باينز في المقام الأول، حيٌّ وبخيرٍ على مبعدة ميلين من حيث نقف.. وسؤالي لك: هل ستتقبل هذا؟

قال أندرو: هو مدعوم بجيشه الخاص. كانت هذه كلماتك.

- نعم.

- إذن ماذا تريدنا أن نفعل؟

- أريدك ألا تفقد الأمل! ديفيد بيلتشر وحش، لكن ليس جميع من في الجبل وحوشًا. سأعبر الوادي.

- متى؟

- الآن، وأود أن تأتي معي كيت بالينجر واثنان آخران ممن يمكنهم استخدام الأسلحة النارية.

قال الضابط: يجب أن نأخذ مجموعة كبيرة..

- لماذا؟ حتى نجذب انتباهًا أكبر، ونتسبّب في قتل المزيد من الناس؟ لا، نحتاج إلى الذهب خفياً وسريين. نظل غير مرئيين لو أمكن هذا أصلاً. نعم، من المحتمل ألا نعود، لكن البديل هو الجلوس هنا في هذا الكهف وانتظار المحتوم. أقول إننا سنخرج لنقاتل ونجد حلاً.

قال هيكت: حتى لو نجحت في الوصول إلى الجبل، أعتقد -فعلياً-

أن في إمكانك إيقاف هذا الرجل؟

- أعتقد هذا.

خرجت امرأة من بين الحشد، كانت ما زالت ترتدي زيها التنكري من ليلة أمس: فستان سهرة منفوشًا وتاجًا مرصعًا لم تفكر في خلعه، وقد سالت خطوط من أحمر شفاهها وكحلها على وجهها.

قالت: "أريد أن أقول شيئًا، أعرف أن كثيرين منكم غاضبون من هذا الرجل.. من المأمور. زوجي..." صمتت لحظة لتمالك نفسها. "كان في مجموعة أخرى.. تزوجنا منذ ستة أعوام.. كان زواجًا إجباريًا، لكنني أحببته. كان أفضل أصدقائي، رغم أننا نادرًا ما كنا نتكلم. من المدهش كم يمكن أن تعرف شخصًا ما جيدًا من خلال تلاقي الأعين، من خلال النظرات البسيطة" سرت في الحشد مهممات الموافقة. حدقت المرأة إلى إيثان وقالت: "أريدك أن تعرف أي أفضل أن يموت كارل، وأن أموت اليوم، من أن نعيش في تلك البلدة الوهمية المقرفة ساعة واحدة أخرى.. مثل السجناء.. مثل العبيد. أعرف أنك فعلت ما اعتقدت أنه الصحيح. لا ألومك على شيء. ربما لا يشعر الجميع بما أشعر، لكنني أعرف أني لست الوحيدة".

قال إيثان: أشكرك.. أشكرك على قول هذا.

التفت ببطء، وتفحص الخمسة وتسعين وجهًا المراقبة له، شاعرًا بالوزن الحقيقي لأرواحهم على عاتقيه.

أخيرًا قال: سأخرج من هذا الباب بعد عشر دقائق.. كيت، هل أنتِ معي؟
- طبعًا.

- نحتاج إلى اثنين آخرين. أعلم أن عددًا أكبر منكم ربما يريد أن يأتي، لكن قد تكون هناك هجمة أخرى على هذه المغارة. نريد أن نترككم مسلحين جيدًا ومحروسين جيدًا. إذا كنت تعتقد أنك يمكنك إطلاق النار، إذا كنت في حالة بدنية

استثنائية، وإذا كان في مقدورك أن تسيطر على خوفك، فلتنضم
إليَّ عند الباب.

جلس إيثان على المنصة بين تيريزا وبين.

قال الصبي: لا أريدك أن تخرج مرة أخرى يا بابا.

- أعرف يا صاحبي.. بيني وبينك، لست شغوفًا بهذا أنا نفسي.

- إذن لا تذهب.

- أحيانًا يكون علينا أن نفعل أشياء لا نريدها.

- لماذا؟

- لأنها الأشياء الصحيحة.

لم يستطع أن يتخيل ما كان يدور في عقل الصبي. كل الأكاذيب التي
علّموها له في المدرسة تذوب فجأة أمام حرارة الحقيقة اللافتة. تذكر
إيثان أباه وهو يوقظه من الكوابيس عندما كان في عمرٍ بين، ويخبره
أنها مجرد حلم سيئ، وأنه لا وجود لأشياء اسمها الوحوش.

لكن في عالم ابنه، الوحوش موجودة.

وهي في كل مكان.

كيف تساعد صبيًا على تقبُّل شيء كهذا، بينما تكاد لا تستطيع
أنت نفسك مواجهته؟

لفَّ الصبي ذراعيه حول إيثان وضَمَّه بقوة.

قال إيثان: يمكنك البكاء لو أردت. لا خزي في هذا.

- أنت لا تبكي.

- انظر مرة أخرى.

تطلّع الصبي إلى أبيه، وقال: لماذا تبكي يا بابا؟ أهذا لأنك لن تعود؟

- لا، هذا لأنني أحبك. أحبك كثيرًا.

- هل ستعود؟

- سأبذل أقصى ما في وسعي.

- ماذا لو لم تعد؟

قالت تيريزا: سيعود يا بن.

- لا، دعينا نكن صريحين معه. ما يجب أن أفعله خطير جدًا يا

بني. من الممكن ألا أنجح فيه. لو حدث لي شيء، اعتنِ بأهلك.

- لا أريد أن يحدث لك أي شيء.

وبدأ بن يبكي من جديد.

- بن، انظر إليّ.

- ماذا؟

- لو حدث لي شيء، اعتنِ بأهلك. ستكون رجل البيت.

- طيب.

- عدني.

- أعدك.

قبّل إيثان رأس ابنه، وورنا إلى تيريزا.

كانت قوية للغاية.

قالت: ستعود، وعندما تعود، ستجعل كل ما في هذه البلدة أفضل.

هاسلر

كان الرخّالة قد خطط لقضاء ليلة أخيرة في البرية، لكن في اللحظة التي أغلق فيها هاسلر غطاء كيس نومه أعلى شجرة الصنوبر، سطع الإدراك في ذهنه: لن يأتيه النوم أبدًا.

لقد قضى في البرية 1308 يوم خارج السور. لا يمكنه الجزم بيقين، لكن على تقديره كانت وايوارد باينز على مبعده بضعة أميال إلى الشمال، والآن بعد أن ابتعد قطيع المنحرفين عن طريقه، خلا سبيل عودته إلى الديار.

في كل يوم مريع من بعثته، عند نقطة ما، كان ذهنه يشرّد إلى هذه اللحظة، متسائلًا: ترى هل سيراه مرة أخرى؟ كيف سيكون شعوره وهو يسير عائداً إلى البلدة؟ إلى الأمن وكل الأشياء التي يحبها؟ لم يكن هناك إلا ثمانية رخّالة أرسلوا خارج السور في تاريخ وايوارد باينز. وسط دائرة بيلتشر الداخلية، كان يُنظر إلى مهمة الرخّالة

باعتبارها أقصى درجات الشرف والتضحية. على حد علم هاسلر، لم يُعد أي رحّالة قط من مهمة طويلة الأمد. إلا إذا كان أحدهم قد عاد وهو غائب، فسيكون هاسلر هو الأول.

مضى ببطء، وبطريقة منهجية، في حشو حقيبة ظهره ذات الإطار الخارجي لآخر مرة: زجاجات المياه الفارغة سعة اللتر الواحد، حجره وقداحته، صندوق الإسعافات الأولية الفارغ، آخر بضعة شرائط من لحم الثور المقدد المتعفن.

بحكم العادة، لفّ دفتر يومياته ذا الغلاف الجلدي في كيسه البلاستيكي. كل ما مرّ به وقابله في سنواته الثلاث والنصف في هذه البرية موجود في هذه الصفحات، أيام الحزن، أيام البهجة، أيام كان واثقًا أنها أيامه الأخيرة، كل ما اكتشفه، كل ما رآه.

قلبه يتسارع بينما قطع من المنحرفين، عددهم خمسون ألفًا، يركضون عبر ما كانت تُسمى يومًا ما مسطحات بونفيل الملحية في البحيرة المالحة الكبرى.

جرت الدموع على وجهه وهو يشاهد غروبًا فارقًا في حياته يحيل الأطلال الهيكلية لخط أفق بورتلاند من الصدا إلى البرونز.

بحيرة كريتر - خاوية.

جبل شاستا - مبتور الرأس.

حين يقف على أطلال حصن فورت بوينت ويحدق عبر الخليج إلى كل ما تبقى من جسر جولدن جيت - قمة البرج الجنوبي ذات المائة قدم ارتفاعًا تبرز من الماء مثل صاري سفينة غارقة.

كل تلك الليالي التي قضاها مبتلًا وبردانًا.

جائعًا ووحيدًا.

الصباحات الرمادية التي لم تكن لديه الرغبة فيها أن يخرج من
كيس نومه ويتابع السير.

الليالي التي جلس فيها شاعرًا بالرضا أمام النار يدخن غليونه.
يا لها من حياة غريبة مدهشة!

والآن، بعد كل هذا، ها هو عائد إلى الديار.

أغلق هاسلر حقيبته وثبتت أوزيمات الأحزمة، ورفعها على كتفيه.
لقد أجهد نفسه أكثر من المعتاد في تلك الأيام القليلة الماضية، وصار
يشعر بالشد في ساقيه وفخذه، وجع يتزايد ببطء وسيستغرق بضعة
أيام من الراحة كي يخف. لكن ما أهمية هذا الآن؟ بعد قليل، سيكون
نظيفًا وفي فراش دافئ ناعم ببطن ممتلئة. لا بأس من تحمّل بعض
الصعاب والألم في الأمتار الأخيرة من السباق.

تتبع مسار جدول حتى تفرّع غربًا.

تلاشى تدريجيًا ضجيج الماء الثابت.

صارت الغابة مظلمة وصامتة.

لكل خطوة معنى، وكل خطوة تحمل معنى أكبر من سابقتها.

توقف قبل الفجر بدقائق قليلة.

أمامه مباشرة نهض السور.

ثمّة شيء خاطئ. كان ينبغي له أن يسمع طنين جهده الكهربائي
العالي، لكن لم يصدر عنه أي صوت.

زعقت فكرة واحدة في عقله: تيريزا.

بدأ هاسلر يعدو نحو البوابة.

القسم الخامس

تيد

كان مسكن تيد في الطابق الرابع ضعف حجم بقية المساكن، امتياز لكونه واحدًا من أوائل من انضموا إلى دائرة ديفيد بيلتشر المقرّبة. عاش في هذا الحيّز الصغير طوال أربعة عشر عامًا، ونضح المكان بتلك الراحة الفوضوية التي تليق بالبيوت، وكل شيء في مكانه (نوعًا ما).

كانت الحياة في مجمع البنية الفوقية تضج بإيقاعٍ غريبٍ بين العمل والفراغ، وتطلّب الأمر -في العموم- سنوات من الناس كي يعثروا على التوازن. بغض النظر عن القسم، كانت ورديات العمل مرهقة. عشر ساعات في اليوم، ستة أيام في الأسبوع. ورغم ذلك، كانت المهام لا تكاد تنتهي. بالنسبة إلى تيد كرئيس لوحدة المراقبة، لم يكن هناك أسبوع في ذاكرته القريبة لم يعمل فيه أقل من سبعين ساعة. لكن التحدي الحقيقي أتى مع العثور على ما يمكن فعله -بعيدًا عن النوم- بالساعات السبعين الأخرى من وقت الفراغ في الأسبوع. لم يكن

شخصًا منفتحًا على الآخرين، ورغم أن سكان وايوارد باينز بالنسبة إليه غير موجودين إلا على شاشات المراقبة، فإنه كان يحس أنه يقضي كل لحظة من العمل معهم؛ لذا لم يكن يريد -في وقت فراغه- أكثر من أن يكون وحيدًا.

جَرَّب الرسم.

التصوير الفوتوغرافي.

محاولة فاشلة في الحياكة.

تدريبًا مفرطًا.

إلى أن وجد ذات يوم -منذ ثمانية أعوام- آلة كاتبة قديمة في المستودع، ماركة أندروود تاتشماستر فايف. حملها عائداً إلى مسكنه، مع عدة صناديق من الورق، ووضع مكتبًا صغيراً في ركن غرفته. طوال حياته، كان يحس كأنه يحمل داخله (الرواية الأمريكية العظمى).

لكن الآن، بعد أن لم تعد هناك أمريكا، ولا أي شيء في الحقيقة، ماذا سيكتب؟

أهناك جدوى في إبداع الكتب والفن عندما تعيش البشرية على شفا الانقراض؟

لا يعرف، لكنه عندما بدأ النقر على المفاتيح القديمة، التي بليت حتى صارت ناعمة للغاية، وانمحت الحروف المكتوبة عليها تقريبًا، عرف أنه يحب الكتابة، وأنه يعشق إحساسه بمفاتيح الآلة تحت أصابعه.

لم تكن هناك شاشة.

فقط تلك التكتكات الجميلة الملموسة للمفاتيح، ورائحة الحبر الواهية، بينما تنطوي الورقة ببطء، وهو وحده مع أفكاره. في البداية، تسلى بكتابة رواية بوليسية. ثم تلاشت رغبته فيها.

بعد ذلك جرّب كتابة قصة حياته التي حاول سردها بسرعة.

بعد أسبوعين، خطرت الفكرة على باله بقوة. طوال اليوم كان يحدق إلى شاشات المراقبة وهي تبتُّ مئات من الحيوانات الخاصة في كل مراحل اليأس. سيجعل من سكان وايوارد باينز موضوعاته؛ يسجل أحداث حيواتهم من قبل، وعمليات إدماجهم في البلدة، ويتخيل أفكارهم الداخلية ومخاوفهم. بدأ الكتابة، ولم يستطع التوقف.

تدفقت القصص منه، وتراكت الأوراق بجوار مكتبه كتلجٍ منهمرٍ إلى أن صارت لديه آلاف وآلاف الصفحات تحكي بالتفصيل حيوات أهل وايوارد باينز (كما تخيلها).

لم يعرف ماذا سيفعل بكل هذه القصص.

لم يستطع أن يتصور أن أي أحد قد يرغب -أصلاً- في قراءتها.

كان عنوان عمله: (الحياة السرية لوايوارد باينز)، وتخيّل الغلاف مجموعة تضم كل الوجوه لكل الناس الذين عاشوا في ذلك الوادي. سيكون عليه أن ينتهي من الكتاب أولاً، وهنا تكمن المشكلة الأخرى. لا توجد نهاية للكتاب في المدى المنظور. تستمر الحياة، تحدث أشياء جديدة، يموت أشخاص، يدخل أشخاص جدد إلى البلدة. كيف ينشر المرء كتابًا حيًا لا تنتهي قصصه؟

جاءت الإجابة -بشكلٍ تراجيدي- ليلة أمس عندما جلس تيد في حجرة مكتب بيلتشر، يشاهد على شاشاته قطيع الوحوش يجتاح البلدة.

ستأتي النهاية فجأة حيث وضع "إله" البلدة خاتمة سريعة ومفاجئة.

أتت الطريقة مبكرًا على باب تيد.

كان راقدًا في الفراش، حيث كان طوال الليلة، مشلولًا من الخوف.. من الحيرة.

قال: ادخل.

دخل أقدم أصدقائه؛ ديفيد بيلتشر.

لم ينم تيد، ومن منظره بدا أن بيلتشر لم ينم أيضًا.

بدا الرجل الكبير متعبًا.. كان بمقدور تيد أن يرى أثر الشراب الكبير عليه في ضيق عينيه، وكان ما زال يفوح برائحة السكوتش القوي. نما ظلٌ خفيفٌ على وجه بيلتشر من أثر عدم حلاقة ذقنه، ونبتت على رأسه الحليق شعيرات رمادية دقيقة.

جذب بيلتشر المقعد من وراء ظهر مكتب تيد، ووضعه أمام السرير وجلس عليه.

نظر إلى تيد.

قال: ماذا لديك من أجلي؟

- ماذا لدي؟

- فريك، قلت لي إنك ستتعامل مع الأمر. ستكتشف من منهم
عاون المأمور بيرك على تنظيم هذا التمرد.

تنهد تيد. اعتدل في جلسته، وتناول نظارته السمكة من فوق
طاولة الفراش الجانبية، وارتداها. كان ما زال يرتدي قميصه المبقع
قصير الكمين وربطة العنق الجاهزة، نفس البنطال، لم يكلف نفسه
حتى عناء خلع حذائه.

ليلة أمس، في حجرة مكتب بيلتشر، كان تيد خائفاً.
أما الآن، فكان يشعر فقط بالتعب والغضب.
بالغضب الشديد.

قال: عندما قلت إن المأمور لديه معلومات لا يمكن أن يحصل
عليها بطريقة أخرى، هل أردت أن تخبرني بما تقصده بذلك؟

مال بيلتشر إلى الورا في المقعد، ووضع ساقاً على ساق.

- لا، لم أرغب في الحقيقة. أردتك فقط، باعتبارك رئيس وحدة
المراقبة، أن تؤدي عملك.

أوما تيد برأسه.

قال: "لم أعتقد أنك سترد عليّ، لكن لا بأس. أعرف ما هي هذه
المعلومات. كان يجب أن أخبرك ليلة أمس، لكنني كنت مرعوباً أكثر
مما يجب." أمال بيلتشر رأسه جانباً. "وجدت لقطات لما فعلته أنت
وبام بابنتك".

للحظة، كان الصمت مؤملاً في مسكن تيد.

قال بيلتشر: لأن المأمور بيرك طلب منك مساعدته؟

- جلست هنا طوال الليل، محاولاً أن أفكر فيما يجب أن أفعله.

مدّ تيد يده في جيبه، وأخرج قطعة إلكترونية تشبه رقاقة من السليكون.

سأله بيلتشر: هل صنعت نسخة من اللقطات؟

- نعم.

أطرق بيلتشر ناظرًا إلى البلاط، ثم رفع عينيه إلى تيد مرة أخرى.

قال: أنت تعرف ما فعلته من أجل مشروعنا.. من أجلنا كي نكون جالسين هنا الآن، بعد ألفي عام في المستقبل، آخر البشرية. أنقذت...

- هناك نهاية لكل شيء يا ديفيد.

- أعتقد هذا؟

- قتلت ابنتك.

- كانت تساعد جماعة سرية...

- لا يوجد سيناريو يبدو فيه قتل أيسًا مقبولًا.. كيف لك ألا تعرف ذلك؟

- لقد قممتُ باختيار يا تيد في تلك الحياة السابقة، وهو أنه لا شيء، لا شيء، أهم من واينورد باينز.

- ولا حتى ابنتك؟

- ولا حتى ابنتي. أعتقد...

وسالت الدموع على وجهه، وهو يتابع:

- أي أردت هذه النتيجة؟

- لم أعد أعرف ما تريد.. لقد قتلت بلدة بأكملها. وابنتك. ومنذ سنوات طويلة قتلت زوجتك. أين سينتهي هذا؟ أين النهاية؟

مرّر تيد أصابعه على رقاقة الذاكرة في يده. قال: ما زال في إمكانك أن ترجع عن هذا.

- عم تتحدث؟

- ادعُ الجميع، تطهر، قل لهم ما فعلته باليسّا، قل لهم ما فعلته بأهل وايوارد...

- لن يفهم أحد منهم يا تيد، أنت لا تفهم.

- لا يتعلق الأمر بفهمهم، يتعلق بأن تفعل أنت الشيء الصحيح.

- ولماذا أفعل ذلك؟

- من أجل روحك يا ديفيد.

- دعني أخبرك شيئًا. إنها قصة حياتي: لا يفهم الناس ما أنا

مستعد لفعله كي أنجح. لم تفهم زوجتي، لم تفهم ابنتي. وأنا

حزين، لكنني لست مصدومًا، لأنك لم تفهم أيضًا. انظر إلى

ما صنعته. انظر إلى ما أنجزته. لو كانت هناك كتب تاريخ

ما زالت تُكتب، لأدرجت فيها باعتباري أهم إنسان عاش

على الأرض. هذا ليس وهمًا، إنها حقيقة مجردة. لقد أنقذتُ

الجنس البشري يا تيد، لأنه لم يكن هناك شيء لست مستعدًا

لفعله كي أنجح. لم يفهم أحد ذلك قط. حسنًا، فعل ذلك

شخصان. لكن آرنولد بوب ميت، وبام مفقودة. أتعرف ما

يعنيه هذا؟

- لا.

- يعني أن العمل القدر الآن يقع على عاتقي.

وفجأة نهض بيلتشر من فوق المقعد وتحرك نحو الفراش، ولم

يفهم تيد ما يجري إلى أن التمع النصل القصير للسكين القتالي في يد

الزعيم.

إيثان

في النهاية، كان هيكتر وماجي هما المتطوعين الوحيدين اللذين شعر إيثان بالارتياح معهما. لا يوجد أحد في المجموعة، ولا حتى كيت، واجه المنحرفين كما فعل هذان الاثنان. تصوّر أن أكبر شجاعة ستدوي في مواجهة منحرف مهاجم. ستضيع مع غيرها من الخصال. سلّحوا أنفسهم.

لم تُطلق ماجي النار إلا مرة واحدة في حياتها من بندقية عيار 22، لذا حشا إيثان بندقية موسبرج 930 بالطلقات من أجلها، وملاً جيوب معطفها بالرصاصات الإضافية. أراها كيف تمسكها. كيف تعيد شحنها. وحدّرها من الارتداد الشديد.

ملاً بالخرطيش بندقية موسبرج، ثم مسدس سميث آند ويسون 357 من أجل هيكتر.

اختارت كيت البوشامستر إيه آر-15 ومعها مسدس جلوك عيار 40 كاحتياطي.

عندما وقفوا في الممر، ألقى إيثنان نظرة وراءه إلى الأشخاص الذين سلّحهم ليحرسوا باب المغارة.

سأله الضابط: وإذا لم تعودوا؟

قالت كيت: لديكم مؤن هنا تكفي بضعة أيام.

- وبعد ذلك؟

- أظن أنكم يجب أن تتوصلوا إلى ذلك بأنفسكم.

وقفت تيريزا وبن بالقرب من باب المغارة.

كانوا قد تبادلوا الوداع.

ثبّت إيثنان عينيه على عيني زوجته إلى أن انغلق الباب الخشبي الثقيل، وجلجل المزلج مستقرًا في مكانه.

كان الجو قارص البرودة.

من بعيد، تدفق نور النهار عبر الفتحة.

قال إيثنان: لا يطلق أحدكم النار إلا إذا لم يكن لدينا خيار.. أفضل سيناريو لنا أن نزل إلى البلدة دون أن نطلق رصاصة واحدة؛ لو كشفنا عن موقعنا، ربما ينتهي كل شيء بالنسبة إلينا.

قادت كيت الطريق نحو الضوء عند نهاية الممر.

استعاد إيثنان اللمحة الأخيرة من تيريزا وبن بينما الباب ينغلق بينه وبينهما.

مفكرًا: أكانت هذه آخر مرة أراكما فيها على الإطلاق؟

هل تعرفان كم أحبكما؟

وقفوا عند نهاية النتوء الصخري، يتطلعون في أنحاء الوادي.

كان الوقت صباحًا.

ولا صوت يرتفع من البلدة أسفلهم بألف قدم.

أحسَّ إيثنان بشعورٍ طيب عندما سقط نور الشمس على وجهه.

همست ماجي: يبدو كأنه صباح عادي لطيف، أليس كذلك؟

كانوا أبعد من أن يروا أي شيء واضح في الشوارع أسفلهم. تخيل إيثنان المنظر المكبَّر المستقر في الدرج السفلي من مكتبه في القسم، كان لطيفًا لو جلبه معه الآن.

خطا إلى الحافة، ونظر مباشرة إلى أسفل ثلاثمائة قدم من الحجر العمودي الذي التمع في نور الشمس.

شقُّوا طريقهم عبر اللوح الخشبي، واستقروا على الجانب الآخر عند قمة أعلى تعرُّج.

كان الحجر دافئًا في الشمس.

هبطوا.

متشبثين بالكابلات.

متتبعين الدرجات التي حُفرت في الصخر.

لم تكن هناك أي طيور.

ولا همسة ريح.

فقط أربعتهم، يتنفسون بسرعة.

أسفل قمم الأشجار، بعيدًا عن متناول الشمس، كانت الكابلات الفولاذية باردة كالثلج.

بعد ذلك فارقوا الصخر، ووقفوا على أرضية الغابة الناعمة.

قال إيثان: تعرفين الطريق إلى البلدة يا كيت؟

- أعتقد ذلك.. الأمر غريب؛ لم أكن هنا قط في نور النهار.

قادتهم إلى ما بين أشجار الصنوبر.

كانت ما زالت هناك بقعٌ من الجليد في بعض المواضع، وآثار
أقدام من ليلة أمس. تتبَّعوا المسارات الهابطة على جانب الجبل،
وإيثان يتفحص الأشجار، لكن لم يتحرك أي شيء. بدت الغابة ميتة
تمامًا.

بعد برهة، سمع صوت الشلال.

هبطوا أخذودًا منحدرًا في جانب التل.

وصلوا جدول الماء وفتحة نفق الصرف. رقد المنحرفون الذين
أرداهم إيثان ليلة أمس موتى في الماء وعلى الضفة.

أحسَّ برذاذ الماء على وجهه.

رفع رأسه محدقًا إلى مسقط ماء واحد ينسكب على نتوء صخري
أعلاه بمائتي قدم. صنع نور الشمس قوس قزح حيث مرَّ عبر الماء
الساقط.

تساءلت كيت: هل نأخذ النفق إلى داخل البلدة؟

قال إيثان: لا، يجب أن نترك لأنفسنا حيزًا كبيرًا للجري.

بعد ربع ميل، استوت الأرض، وخرجوا من الغابة وراء منزل قديم
متداعٍ على الحافة الشرقية من البلدة. أدرك إيثان أنه نفس المنزل
الذي وجد فيه جثة العميل إيفانز المشوهة عندما وصل أول مرة إلى
وايوارد باينز.

توقفوا وسط الحشائش إلى جانب المنزل.

حتى هذه اللحظة، وجد إيثان راحة في الصمت. لكن الآن صار مقلِّقًا؛ كأن العالم يحبس أنفاسه ترقبًا لشيء ما.

قال: كنت أفكر في أثناء سيرنا. لو أمكننا أن نعثر على سيارة ما زالت تعمل، سيمكننا أن نطلق إلى الطرف الجنوبي من البلدة، ولا يكون علينا أن نقلق من أي كمين طوال الوقت. كيت، هل تعمل السيارة القديمة الموجودة أمام منزلك؟

- لم أشغلها طوال سنوات، ولا أريد أن أخطر بذلك لو كنت مكانك.

قالت ماجي: السيارة الواقفة أمام منزلي تعمل..

تساءل إيثان: متى كانت آخر مرة قمتِ بجولة بها؟

- منذ أسبوعين.. تلقيتُ اتصالًا هاتفيًا ذات صباح، أحدهم يأمرني بالقيادة حول البلدة لمدة بضع ساعات.

قال هيكت: لطالما تساءلتُ لماذا يفعلون هذا..

قال إيثان: لأن الطرق لا تكون خالية تمامًا قط في البلدات العادية، مجرد حيلة أخرى لجعل وايوارد باينز تبدو حقيقية. أين بيتك يا ماجي؟

- الشارع الثامن، بين الجادتين السادسة والسابعة.

- هذا على مبعدة ستة مربعات سكنية فقط. أين المفاتيح؟

- درج طاولة السرير الجانبية.

- متأكدة؟

- مائة في المائة.

استرق إيثان النظر حول زاوية البيت، ورأى أجسادًا من بعيدٍ في الشارع، لكنه لم يرَ منحرفين.

قال: فلنجلس لمدة دقيقة، نلتقط أنفاسنا.

جلسوا جميعًا مستندين إلى ألواح البيت المتعفنة.

قال إيثان: ماجي، هيكتر، لا خبرة عسكرية لديكما، صحيح؟
هزًا رأسيهما.

تابع إيثان: كنت طيار مروحية بلاك هوك، رأيت بعض الاشتباكات المجنونة في الفالوجة، لدينا ستة مربعات سكنية يجب أن نغطيها عبر أرض عدائية للغاية، والطريقة الصحيحة للتحرك في هذه المواقف هي تقليل فرصة التعرض للانكشاف. من موقعنا الحالي، لا يمكننا أن نرى إلا المربع السكني المحيط بنا، لكن عندما نعبّر الشارع، سيتغيّر منظورنا؛ ستكون لدينا معلومات جديدة. رغم أن لدينا ستة مربعات سكنية لتتعامل معها، سننظر إلى هذه المسافة تدريجيًا. سنعبّر أنا وماجي الشارع أولاً ونؤمّن موقعًا، سأقيّم المنطقة من نقطة رؤيتنا الجديدة، وعندما أعطي الإشارة، سينضم إلينا هيكتر وكيت. مفهوم؟
أوماً الجميع برؤوسهم.

استطرد إيثان: أريد أن أقول شيئًا أخيرًا عن الطريقة التي سنتحرك بها. اسمها العمود التكتيكي. سنحافظ على قربنا من بعض بينما نجري، لكن يجب أن تكون سرعة السير محكمة بما يكفي لكم كي تظلُّوا منتبهين. لو بدا الساحل خاليًا، سيكون الإغواء هو التركيز على المناطق البعيدة لرؤية ما هو قادم، لكن هذا خطأ. لو رأينا المنحرفين قادمين من مسافة مائة أو مائتي ياردة، سيكون لدينا وقت للقيام برد فعل. أسوأ ما يمكن أن يحدث هو كمين مفاجئ. أن يخرج واحد من هذه الأشياء من شجيرة، أو من وراء ناصية، وعندئذٍ

لا يكون لديك وقتٌ كي ترفع سلاحك. لذا راقبوا مناطقكم الخطرة؛
هذه أولوية عليا. لو مررتم بشجيرة ولا تستطيعون أن تروا ما خلفها،
صوبوا سلاحكم على تلك الشجيرة. مفهوم؟

كانت البندقية قد بدأت ترتعد في قبضة ماجي.

لمس إيثنان يدها وقال: ستبلين بلاءً حسنًا..

أشاحت بوجهها فجأة، وتقيأت وسط العشب.

ربتت كيت على ظهرها، وهمست: لا بأس يا حبيبتي.. لا بأس من
الخوف.. من الصحي أن نخاف.. سيجعلك هذا حادة التركيز.

فكر إيثنان كم كانت هذه المرأة غير مجهزة تمامًا. لم تتعرض
ماجى قط لأي شيء يقارب هذا المستوى من الرعب والضغط ورغم
ذلك كانت تشق طريقها ببطء عبره.

مسحت ماجي فمها، وأخذت بضعة أنفاس عميقة.

تساءل إيثنان: هل أنت بخير؟

- لا يمكنني أن أفعل هذا. اعتقدت أنني أستطيع لكن...

- أعرف أنك تستطيعين.

- لا، ينبغي لي فقط أن أعود.

- نحتاج إليك يا ماجي. الناس في المغارة يحتاجون إليك.

أومأت برأسها.

قال إيثنان: سأكون معك، وسنقطع خطوة واحدة في كل مرة.

- طيب.

- يمكنك أن تفعلي هذا.

- أحتاج فقط إلى لحظة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

لقد رأى هذا في الحرب، شلل الاشتباكات. عندما يتغلب الرعب الكلي من العنف وخطر الموت المستمر على الجندي. خلال فترته في العراق، كان السيناريو الكابوسي رصاصة قنّاص أو عبوة ناسفة. لكن حتى في أسوأ الأيام في شوارع الفالوجة، لم يكن هناك أي شيء يريد أن يأكلك حيًّا.

مدّ يده إلى ماجي ليُنهضها.

تساءل: هل أنت مستعدة؟

- أعتقد ذلك.

أشار إلى الناحية الأخرى من الشارع، وقال: سنعبّر إلى ذلك المنزل عند الناصية.. لا تفكري في أي شيء آخر.

- حسناً.

- سترين بعض الجثث في الشارع. أريد فقط أن أحذرك. تجاهليها. لا تنظري إليها حتى.

حاولت أن تبتسم وهي تقول: مناطق خطيرة.

- فهمت الأمر، والآن ابقى قريبة.

رفع إيثان بندقيته.

اضطراب في معدته.

ذلك الخوف القديم المألوف.

بعد خمس خطوات من مكنهم بجوار البيت، صارت الجثث في الشارع في مجال النظر تمامًا، ولم يكن بمقدور أحد ألا ينظر إليها. عدّ سبعة أشخاص، من بينهم طفلان، متفسخين حرفياً.

كانت ماجي صامدة.

استطاع إيثان أن يسمع وقع خطواتها خلفه ببضعة أقدام.
قطعاً الشارع، ولا شيء غير وقع خطواتهما على الأسفلت.
ولهاثهما.

لا شيء في الجادة الأولى من الناحيتين.
هدوء شديد.

عبرا إلى الفناء، وسارعا خطواتهما القليلة الأخيرة إلى المنزل
الفيكتوري ذي الطابقين.

جلسا القرفصاء تحت نافذة.

ألقى إيثان نظرة من وراء الناصية.

ومسح الجادة الأولى مرة أخرى من الناحيتين.

نظيفة تماماً.

نظر إلى كيت وهيكت ورفع ذراعه اليمنى.

نهضا وبدأ يهرولان، كيت في المقدمة تتحرك بثقة، كأنها تعرف
ما تفعله، وهيكت وراها ببضع خطوات مضطربة. استطاع إيثان أن
يحدد اللحظة التي رأيا فيها الجثث؛ تهدّل وجه هيكت، وتصلّب فك
كيت، ولم يستطيعا أن يبعدا أعينهما.

نظر إيثان إلى ماجي، وقال: قمت بعمل عظيم.

ثم التم شمل أربعتهم معاً من جديد.

قال إيثان: الشارع خالٍ. لا أعرف السبب في هدوئه الشديد، لكن
دعونا نستغل هذا. هذه المرة سنتحرك نحن الأربعة. سنتوجه إلى
الشارع ونسير في منتصفه.

تساءل هيكتر: لماذا؟ أليس الأمان أن تبقى قرب المنازل، وليس مكشوفين هكذا في العراء؟

قال إيثنان: الزوايا ليست أصدقاء لنا.

أعطى هيكتر وكيت دقيقة كي يلتقطا أنفاسهما.

ثم وقف.

تساءلت كيت: ما هي الوجهة التالية؟

- يوجد منزل فيكتورى أخضر بعد مربعين سكنيين على الجانب الآخر من الشارع.. هناك صف من شجيرات العرعر أمامه، سنكمن وراءها. هل الجميع مستعدون؟

تساءلت كيت: هل تريدني في آخر الصف؟

- نعم. غطي كل شيء على يميننا، وألقي نظرة وراءك بين لحظة وأخرى لتتأكدي أننا لن نُطوّق.

كان صباحًا مسالمًا بطريقة خادعة في الشارع الثامن.

هرولوا في منتصف الشارع، على الجانب المنازل الفيكتورية العجيبة وكل هذه السياجات البيضاء الخشبية زاهية ومثالية في نور شمس الصباح الباكر. أنت معدة إيثنان من الجوع، لم يستطع أن يتذكر آخر مرة أكل فيها.

نقل بصره بين تفحص المنازل على يسارهم والطريق أمامهم.

أثارت الأفنية الجانبية أعصابه أكثر من أي شيء آخر. تلك الأودية الضيقة بين المنازل التي تؤدي إلى أفنية خلفية لم يستطع رؤيتها. وصلوا إلى أول تقاطع.

غريبة جدًا! لقد توقع أن يجد البلدة تغطى بالمنحرفين، تساءل إن كانوا قد رحلوا. أغاروا على البلدة ليلة، وعادوا إلى البرية التي أتوا

منها؛ عبر بوابة بيلتشر. سيُسَهَّل ذلك الأمور لو استطاع أن يتحكَّم في
السور ويغلقه ليُبقِيهم خارجًا.

كان المنزل الأخضر قريبًا الآن، على مبعده منزلين.

سارع خطوه، وانحرف نحو الفناء الأمامي.

فجأة كانت كيت تجري إلى جواره.

سألها بأنفاسٍ متقطعة: ما الخطب؟

لهتت، وهي تقول: فلنجرِ فقط، أسرع.

قفز إيثنان فوق الرصيف، وركض عبر العشب.

ألقى نظرة وراءه .. لا شيء.

وصلوا شجيرات العرعر.

اندفعوا عبر الأغصان.

غطسوا في الظل بين الشجيرات والمنزل.

كلهم مقطوعو الأنفاس.

قال إيثنان: ماذا حدث يا كيت؟

- رأيت أحدهم.

- أين؟

- داخل أحد المنازل في الشارع.

- داخل؟

- كان يقف في النافذة، مطلاً منها.

- هل تعتقدان أنه رأنا؟

- لا أعرف.

نهض إيثان ببطء على ركبتيه، استرق النظر عبر الأغصان.

همست كيت: انزل!

- يجب أن أتأكد.. أي منزل كان؟

- البُني ذو الإطار الزخرفي الأصفر. ثمة أرجوحة في الشرفة
الأمامية، وممثالا قزمين من الأقزام السبعة⁽¹⁾ في الفناء.
رآه.

رأى الباب الحاجز يتأرجح منغلَقًا، وسمع الصفقة البعيدة للخشب
وهو يصفع الإطار.

لكنه لم يرَ المنحرف.

انحنى إيثان مرة أخرى وراء الشجيرات.

قال: إنه في الخارج.. انغلق الباب السلكي للتو.. لا أعرف أين هو.

قالت كيت: لعله يدور حول المنزل، يتسلل بمحاذاته. ما هو
مقدار ذكاء هذه الأشياء؟

- مقدار مخيف.

- هل تعرف كيف يصيدون؟ إلى أي حدّ حواسهم مضبوطة
بدقة؟

- لا فكرة لديّ.

قالت ماجي: أسمع شيئًا.

سكت الجميع.

كان صوت احتكاك وطققة.

(1) إشارة إلى قصة سنو وايت والأقزام السبعة. (المترجم)

اعتدل إيثان بما يكفي فقط لاستراق النظر عبر الغصون من جديد.

كان المنحرف يتحرك منتصبًا على الرصيف نحو المنزل.

كانت الطقطقة صوت مخالبه على الخرسانة.

ذكر ضخم.

مائتان وخمسون رطلًا على الأقل.

لقد تغدَّى قبل قليل. بالكاد كان في مقدور إيثان أن يرى نبض قلبه الضخم عبر الدماء الجافة والأحشاء التي تعلقَت ب صدره مثل مئزر طفل.

عند طرف الشرفة الأمامية، توقف.

أدار رأسه.

غاص إيثان.

رفع إصبعه على شفثيه، ومال حتى يتمكّن من الهمس في أذن كيت: إنه عند الشرفة الأمامية، على مبعدة عشرين قدمًا.. قد نضطر إلى الاشتباك.

أومات برأسها.

نهض على ركبتيه، ورفع بندقيته، ورفع رأسه أعلى شجيرة العرعر.

هل وضعت قذيفة في الماسورة؟

بالطبع وضعت قذيفة في الماسورة.. لقد حشوت هذه البندقية ليلة أمس.

اختفى المنحرف، لكن رائحته كانت طاغية.

قريبة.

اندفع صارخًا على الناحية الأخرى من الشجيرة، كاشفًا عن أنيابه،
بعينين مثل حجرين مبتلين أسودين.

كان الدوي يصم الآذان، ورغم حجمه الضخم، ألقاه الخرطوش على
العشب. سقط على ظهره بجرح دامٍ في صدره، والدم الأسود ينبثق
مثل نبعٍ حارٍ عبر جلده الشفاف.

نهضت كيت على قدميها بالفعل.

تجمّد هيكتر وماجي خلف الشجيرة.

قال إيثنان: علينا أن نتحرك.

شقّ طريقه خارجًا.

كان المنحرف ما زال حيًا، يتأوّه، ويحاول أن يسد الثقب المستدير،
وينظر إليه وهو ينزف غير مصدق.

مدّ يده نحو إيثنان عندما مرّ به، وأمسك مخلبٌ بحاشية بنطاله
الجينز، ليمزق بسهولة القماش الثقيل.

كانت كيت وراءه مباشرة، وتباطأ هيكتر وماجي قليلًا في القدوم.

صاح: تحركوا!!

ركضوا إلى الشارع.

تجمّعت حبات العرق على جبين إيثنان، وسالت على عينيه
ليلسعه الماء المالح.

عبروا التقاطع التالي.

لم يكن هناك شيء قادم.

نظر إيثنان وراءه نحو الشارع الثامن.

كان هيكترو وماجي يجريان بكامل طاقتهما، وأذرعتهما تتصادم، ولا شيء خلفهما على قدر ما استطاع أن يرى.

شغلت المدرسة المربع السكني التالي كله على يمين إيثنان.

معدات الملعب تقف وحيدة خلف سياج مغلق بالسلاسل.

أرجوحات توازن، أراجيح معلقة، زلاقات، أراجيح دوّارة.

عمود كرة طائرة معلقة.

حلقة كرة سلة.

وخلف كل ذلك طوب المدرسة الأحمر.

قالت ماجي: آه يا ربي!

نظر إيثنان وراءه.

كانت قد توقفت في منتصف الشارع وهي تحدق إلى المدرسة.

جرى عائداً إليها.

- يجب أن نستمر في الحركة.

أشارت.

انفتح باب في جانب المبنى، ووقف رجل على العتبة يشير بذراعٍ واحدة.

قالت ماجي: ماذا سنفعل؟

ماذا سنفعل؟

واحد من هذه القرارات التي يمكن أن تقرر كل شيء.

تسلق إيثنان السياج ذا الأربعة أقدام ارتفاعاً، وجرى عبر فناء المدرسة، ماراً بصندوق رمل وقضبان تعلّق أفقية في ظل شجرة قطن غطّت أوراقها الصفراء الأسفلت.

كان الرجل الممسك بالباب المفتوح هو سبيتز، ساعي بريد وايوارد باينز، وظيفة مبتدعة بالنسبة إلى بلدة لا حاجة لها على الإطلاق إلى البريد. ومع ذلك، كان يقطع الشوارع عدة مرات في الأسبوع، يحشو صناديق البريد برسائل صورية غير مهمة، إشعارات ضرائب هرائية، وما شابه ذلك. كان رجلاً مفتول العضلات ذا لحية مسرفة الطول، خصره أكبر مما يظنه المرء مناسباً لرجل يعمل طوال الوقت سائراً على قدميه. حالياً، كان يقف مرتدياً فانلة سوداء ممزقة وتنورة اسكتلندية -زيه التنكري من أجل المهرجان- وذراعه اليسرى ملفوفة بقطعة من القماش الملوث بالدماء. حمل جرحاً قطعياً بشعاً بعرض وجنته، وبرزت قطعة لحم من ساقه اليمنى.

عندما وصل إليه إيثن قال: أهلاً سيادة المأمور.. لم أتوقع أن أراك.

- ولا أنا يا سبيتز. تبدو في حالة يرثى لها.

ابتسم الرجل ابتسامة عريضة، وقال: مجرد جرح في اللحم. ظننا أن المجموعات الأخرى مُحييت من الوجود.

- نجحت مجموعتنا في عبور الأنفاق والصعود إلى المغارة.

- كم عددكم؟

- ستة وتسعون.

- لديّ ثلاثة وثمانون هنا في قبو المدرسة.

سألته كيت: هارولد معكم؟

هزّ رأسه وقال: أنا آسف.

قال هيكت: ظننا أن كل الباقيين قُتلوا.

- هوجمنا في الطريق إلى الأنفاق.. فقدنا نحو ثلاثين قرب النهر. شيء وحشي. كما ترون، دخلت في شجار صغير مع واحد من

أبناء العاهرة هؤلاء. تطلب الأمر خمسة رجال كي يجندلوه، ولولا أن أحدهم كان يحمل ساطورًا لقتلنا جميعًا. سمعت الطلقة منذ دقيقة.. هي ما دعاني إلى الخروج.

قال إيثان: جاء أحدهم في أثرنا قريبًا من هنا، ظننا أنهم ربما عادوا جميعًا إلى الغابة.

- أوه.. لا.. ما زالت البلدة تعج بهم. قمتُ بغارات على المنازل المحيطة. ما زال هناك أشخاص مختبئين في بيوتهم. أنقذتُ جراسي وجيسيكا تيرنر قبل الفجر بالضبط. كان جيم قد أغلق عليهما الخزانة بالمسامير، هو ليس موجودًا في مجموعتكم، أليس كذلك؟

قال إيثان: رأيتُه ليلة أمس.. لم ينجح في النجاة.

- هذا مؤسف للغاية.

سألته ماجي: كيف حال مجموعتك؟

- مات ثلاثة من أثر جروحهم في الليل، ويوجد اثنان في حالة سيئة، ربما لن يصمدا هذا النهار. زمرة منا تعاني جروحًا وسحجات في كل مكان. الجميع في حالة فزع بالغ.. لا يوجد طعام، وهناك القليل فقط من الماء من النوافير.. لدينا معلم في مجموعتنا، ولولا أنه اقترح أن نأتي إلى هنا، لَمُتْنَا جميعًا. لا شك لديّ أننا كنا نخوض حربًا ليلة أمس.

سأله إيثان: إلى أي حد يبدو القبو آمنًا؟

- ليس جيدًا لكنه أفضل من سواه. نحن محبوسون خلف بابين في قاعة الموسيقى.. بلا نوافذ.. لا يوجد إلا طريق واحد للخروج والدخول.. أقمنا متاريس. لا أقول إن المكان لا يمكن اختراقه، لكننا صامدون.

انفجرت صرخة على مبعدة عدة مربعات سكنية.

قال سبيتز: من الأفضل أن تدخلوا.. يبدو أن ما قتلتم، أيًا كان، له صاحب.

نظر إيثان إلى كيت، ثم عاد بناظره إلى سبيتز.

قال: أنا متوجه إلى الجبل، من أجل بيلتشر.

قالت ماجي: لو هناك جرحى، قد أكون قادرة على المساعدة؛ كنت أدرس التمريض في حياتي القديمة.

قال سبيتز: نحب أن تكوني معنا طبعًا..

جاوبت صرخة ثانية على الأولى.

قال إيثان: هل معكم أي أسلحة؟

- ساطور.

اللعنة. سيتوجب عليه أن يترك معهم شخصًا يستطيع إطلاق النار. تحتاج هذه المجموعة إلى شكل من الحماية أكبر من سكنين كبير.

قال: ابق معي معهم أيضًا يا كيت.

- أنت بحاجة إليّ.

- فعلاً، لكن ماذا لو ذهبنا نحن الاثنان وقُتلنا؟ على الأقل بهذه الطريقة تكونين أنت الخطة الاحتياطية لو لم أفلح في العودة. وفي نفس الوقت، يمكنك حماية هؤلاء الناس.

قال هيكتز، كأنه غير متقبل تمامًا للفكرة: حسناً يا إيثان، أظن أنه لن يكون هناك غيري معك.

تساءل سبيتز: هل سأراك مرة أخرى أيها المأمور؟

قال إيثان: "أتمنى هذا.." ثم قبض على يد ماجي، وسألها: درج
طاولة السرير الجانبية؟

- نعم، اصعد إلى الطابق العلوي، انعطف يمينا بعد أن تنتهي
من السلم، الباب في نهاية الردهة.

- منزلك مغلق بالمفتاح؟

- لا.

- أي منزل هو؟

- الوردى ذو الإطار الزخرفي الأبيض.. ثمّة إكليل من الزهر على
الباب الأمامي.

توجهت ماجي مع سبيتز إلى داخل المدرسة.

شرع إيثان في الالتفات مبتعداً، لكن كيت أمسكت به، ويدها
باردتان على قفاه.. جذبته نحوها وظلّت تجذبه إلى أن التقت
شفاهما، قبّلته قبله طويلاً، وتركها إيثان تُقبّله.

قالت: "كن حذراً.." واختفت وراء الباب.

نظر إيثان إلى هيكتر.

كان المنحرفون يطلقون عواءهم.

قال إيثان: مربعان سكنيان، يمكننا أن ننجز هذا.

ركضا عبر فناء المدرسة، بين طاولات الأكل الخلوية، إلى ملعب
مفتوح، متوجهين نحو السياج مباشرة.

ألقي إيثان نظرة وراه، ورأى حركة في الشارع خلفهما: هياكل
شاحبة تجري على أربع.

علّق البنديقية بالعرض على كتفيه، ووضع يديه على السياج، وقفز من فوقه، ونزل على الأرض ليتابع الركض على الناحية الأخرى.

وصل إلى تقاطع.

إلى اليمين: خالٍ.

إلى اليسار: أربعة منحرفين في الطريق، ما زالوا على مبعدة عدة مربعات سكنية.

في منتصف المسافة الموازية للمربع السكني، اخترق منحرف زجاج نافذة أمامية وهجم على إيثان.

صاح في هيكتر: استمر في الجري! ثم توقف، وثنى ركبتيه في وضع الاستعداد، وجذب قذيفة جديدة.

مرق هيكتر إلى جواره، وأسقط إيثان الوحش بطلقة في الرأس.

جرى في أثر هيكتر، وعندما وصلا إلى آخر تقاطع قبل منزل ماجي، خطر له أنه لم يسألها قط عن شكل السيارة. كانت هناك أرتال من السيارات عند هذا المربع السكني، وسيارتان منهم مصفوفتان على حاجز الرصيف أمام مسكن ماجي.

ظهر منحرفون أمامهم مباشرة، قادمين نحوهم من الشارع الرئيسي، على مبعدة مربع سكني واحد، ونظر إيثان وراءه في الوقت المناسب ليرى نصف دسته منهم عند ناصية مربعين سكنيين خلفهما بالقرب من المدرسة.

قطع هو وهيكتر الثلاثين قدمًا الأخيرة عبر فناء بيت ماجي.

صعدا الدرجات إلى الشرفة الأمامية المسقوفة.

فتحا الباب السلكي بقوة.

المنحرفون يصرخون.

يتجمعون.

بدأ هيكتّر يفقد قدرته في السيطرة على قبضته.

أدار إيثنان مقبض الباب، ودفع بكتفه الباب، واندفع إلى الداخل.

"أغلق الباب بالمزلاج!" صاح به إيثنان بينما يتعثر هيكتّر داخلاً.
"قف في منتصف المسافة من السلم وأطلق النار على أي شيء قذر يدخل".

- إلى أين ستذهب؟

- مفاتيح السيارة.

صعد إيثنان السلم درجتين درجتين.

الصرخات مسموعة عبر الجدران.

في أعلى السلم انعطف يمينًا، وأسرع نحو الباب المغلق عند نهاية
الردهة.

دفعه بعنفٍ، ودخل دون إبطاء.

جدران صفراء، وإفريز سقف أبيض.

ستائر ناعمة مسدلة.

روب من القطن الوبري معلق على ظهر مقعد.

سرير كبير وثير، مرتب بعناية.

كومة من روايات جين أوستين ومبخرة على طاولة السرير الجانبية.

ما زال الهواء البارد يفوح بالدخان المعطر.

ملاذ ماجي.

هرع إيثنان إلى طاولة السرير الجانبية، وفتح الدرج.

في الطابق الأرضي: صوت زجاج يتكسر.

خشب يتشظى.

زنجرة.

صرخ هيكتر بشيء ما بينما دفع إيثان ذراعه نحو آخر الدرج،
وأحس بأصابعه تلمس المفاتيح.

تبع ذلك دوي طلقة رصاص.

صراخ منحرفين.

هيكتر يصيح: آه يا إلهي!

صوت الشكشكة وهو يجذب خرطوشًا آخر.

طاخ.

شَك-شَك.

القذيفة الفارغة تسقط على السلام.

دَسَّ إيثان مفاتيح ماجي في جيب بنطاله الجينز الأمامي وانطلق
يقطع الردهة.

صرخ هيكتر.

لا مزيد من الطلقات.

انزلق نعلا حذاء إيثان الثقيل على أرضية الخشب الصلب عندما
وصل قمة الدَرَج وحاول أن يكبح اندفاعه إلى الأمام.

دماء.

في كل مكان.

ثلاثة منحرفين على هيكتر؛ واحد يمزق ذراعه اليمنى، والآخر ينتزع عضلات ذراعه، والثالث ينهش لفافات الأنسجة شاقاً طريقه إلى معدته.

هيكتر يصرخ، ويدق بقبضته الحرة على جمجمة المنحرف الذي يبقر بطنه.
رفع إيثنان بندقيته.

أطاح الخرطوش الأول برأس المنحرف الذي كان يحفر في بطن هيكتر، وأصاب الثاني عندما رفع رأسه متطلعاً إليه وهو يزمجر، لكن الثالث كانت له الأسبقية وطار في الهواء مشرعاً مخالبه الطويلة، على مبعدة ثوانٍ من الاصطدام بإيثنان قبل أن يشد أجزاء بندقيته ويطلق النار.

تعثر ساقطاً على السلام، واصطدم بمنحرفين اندفعا عبر الباب للتو.

جذب إيثنان قذيفة، وثبت مكانه على قمة الدرج، محاولاً أن يتعامل مع الحركة التالية، ويقاوم الذعر، والفكرة التي لا مفرّ منها بأن كل شيء يخرج عن مساره الآن. كانت ذراعه اليسرى قد تخدّلت كثيراً من ارتداد البندقية حتى إنه كان من المؤلم أن يسند مؤخرتها إلى كتفه بطريقة كاملة.

زحف المنحرفان من تحت زميلهما الميت، وانطلقا نحوه، وأرداهما إيثنان وهما يصعدان الدرج.

صار المنزل ضبابياً من دخان البندقية، وللحظة لم يكن هناك صوت إلا الفحيح الهوائي من الشريان الفخذي في ساق هيكتر، وهو يطلق أقواساً حمراء عند الباب الأمامي.

بدت السلام غادرة، منقوعة في الدماء.

كان هيكتر يتوجع ويرتج وهو يمسك أحشاءه بيديه في نوع من التعجب المذعور.

كان ينزف سريعًا وبشكلٍ رحيمٍ، شاحبًا من الصدمة، وشعره متلبد بعرقٍ باردٍ، ما منح وجهه هيئة جثة أنبأت بما هو قادم.

رفع عينيه محدقًا إلى إيثنان بنظرة لا يمكن أن يمنحها إلا جندي يحتضر لزميله الذي أخطأته الرصاصة.

خوف.

عدم تصديق.

أرجوك بالله عليك قل لي إن هذا لن يحدث.

كان الباب الأمامي قد انتزع من مفصلاته، وعبر الفتحة شاهد إيثنان مزيدًا من المنحرفين يتدفقون إلى داخل الفناء.

سيأكلون هيكتر وهو يلتقط أنفاسه الأخيرة.

جذب إيثنان مسدسه، ورفع صمام الأمان.

لم تكن لديه فكرة إن كان هذا صحيحًا، لكنه قال: ستذهب إلى مكان أفضل.

اكتفى هيكتر بالتحديق.

كان يجب أن أدعك تذهب للبحث عن المفاتيح.

أطلق إيثنان النار على ما بين عيني عازف البيانو.. عندما اندفع المنحرفون عبر الباب الأمامي، كان يجري بالفعل قاطعًا الرواق بعيدًا عن غرفة نوم ماجي.

دخل من ثاني باب على يمينه.

أغلقه بهدوء وراءه، وجذب ترابًا لن يصمد أمام أي شيء.

كان هناك حوض استحمام بساق مخرية تحت نافذة من الزجاج المغبش .

بينما كان يتحرك نحوها، استطاع أن يسمع المنحرفين عبر الباب.
يأكلون.

وضع إيثن البندقية على الحوض ذي القاعدة الرخامية، وخطا إلى داخل حوض الاستحمام.

رفع شكل النافذة.

رفعها قدمين عن القاعدة.

منفذ ضيق.

صعد على حافة حوض الاستحمام، وأطلّ من النافذة على فناء خلفي صغير، مُسَيِّج وفارغ.

تعالى صرير السلام، المنحرفون قادمون.

في الردهة بالخارج، تعالى صوت ارتطام هائل، كأن شيئاً اصطدم في كامل سرعته بأحد الأبواب.

خطا إيثن مرة أخرى داخل الحمام، وقبض على البندقية.

صرخ منحرف على الجانب الآخر من الباب.

ارتطم شيء ما بباب الحمام.

بدأ الخشب ينشق في المنتصف.

جذب إيثن قذيفة، وأطلق خرطوشاً عبر منتصف الباب، وسمع شيئاً يرتطم بالحائط على الناحية الأخرى.

صار هناك الآن ثقب بحجم خرطوش في الباب، وبركة من الدماء تتسرب من تحته، وتبدأ في الانتشار عبر البلاط الشطرنجي.

صعد إيثان على حافة حوض الاستحمام.

أسقط البندقية على السقف، وضغط جسده عبر النافذة في الوقت الذي اصطدم منحرف آخر فيه بالباب من خلفه.

جثا تحت إطار النافذة، وألقم إيثان ثماني قذائف في الماسورة ثم علّق حزام البندقية على كتفه.

كان المنحرف ما زال يحاول إسقاط باب الحمام.

أغلق إيثان النافذة، وخطا بالجنب في حذرٍ إلى حافة السقف.

كان على ارتفاع اثني عشر قدمًا من الفناء الخلفي.

نزل على يديه وركبتيه، وأدنى جسده فوق الحافة، قابضًا على المزراب إلى أن تمكّن من شد جسده تمامًا وتقليل مسافة السقوط إلى خمسة أقدام.

من خلال ألواح الزجاج في الباب الخلفي، تمكّن من رؤية أشياء تجري داخل المنزل.

هرول إيثان حول الباحة الحجرية، وعضلاته وعظامه وكل بوصة مربعة في جسده عالقة في مسار من الوجود المتنامي.

كان السياج مشيدًا من ألواح خشبية بالية مقاسها بوصة في ست بوصات، بارتفاع خمسة أقدام، وله بوابة تؤدي إلى الفناء الجانبي.

أطلّ من فوقه.. لا يوجد منحرفون في مجال رؤيته.

رفع السقاية، وجذب البوابة ليفتحها بما يكفي فقط لأن ينزلق عبرها.

بالأعلى في الطابق الثاني، سمع الزجاج ينفجر.

هرول بمحاذاة المنزل، وتباطأ عندما وصل إلى الساحة الأمامية.

للحظة.. فارغة.

حرق إلى السيارتين المصنوفتين بمحاذاة الرصيف أمام منزل ماجي.

سيارة جيب سي جي 5، لها سقف لدن.

وسيارة بويك بيضاء ذات صالون واسع طويل تبدو من عصور ما قبل التاريخ.

أخرج المفاتيح من جيبه.

ثلاثة في الحلقة.

كلها مستوية دون شرشرة.

في مكان ما أعلاه، سمع خدشًا قد يكون صادرًا عن مخالاب طويلة تزحف على السقف الصفيح.

ركض خارجًا إلى الفناء.

في منتصف الطريق إلى حافة الرصيف، نظر وراه في الوقت المناسب ليرى منحرفًا يقفز من فوق السقف إلى الشرفة الأمامية.

وصل إلى الأرض وانطلق.

توقف إيثنان عند الرصيف، ودار ورفع بندقيته، وأطلق خرطوشًا اخترق عظام قفصه الصدري.

ارتفع الصراخ داخل المنزل.

كانت السيارة البويك هي الأقرب.

الاحتمالات خمسون مقابل خمسين في المائة أنها سيارة ماجي.

فتح إيثنان باب الراكب الأمامي، وقفز داخلًا وأغلق الباب وراه.

انتقل وراه عجلة القيادة، ودسَّ أول مفتاح في فتحة الإشعال.

لا شيء.

- هيا!

المفتاح الثاني.

انزلق بسهولة داخلاً.

لكنه لا يدور.

اندفع منحرف من الباب الأمامي لمنزل ماجي.

المفتاح الثالث.

ظهر أربعة منحرفين خلف الأول، وبينما اندفع اثنان منهم على العشب إلى صديقهما المحتضر، فشل آخر المفاتيح الثلاثة حتى في دخول الثقب.

اللعنة! اللعنة! اللعنة! اللعنة!

غاص إيثنان في مقعده وحشر نفسه على لوح الأرضية.

لم يستطع أن يرى شيئاً، لكنه استطاع أن يسمع المنحرفين في الفناء.

سوف ينظرون في السيارة ويرونك وماذا عندئذٍ؟ انطلق الآن.

رفع يده وأمسك بمقبض الباب وجذبه بهدوء.

انفتح الباب مصدراً صريراً خافتاً.

انزلق خارجاً على الأسفلت، وظل منحنيًا وراء السيارة، مختبئًا عن منظور رؤية المنزل.

لا يوجد منحرفون في الشارع.

رفع جسده حتى تمكّن من الرؤية عبر النوافذ.

أحصى ستة منهم في الفناء الأمامي، وعبر الباب المفتوح تمكّن من رؤية المزيد يأكلون ما تبقى من هيكت.

كانت السيارة الجيب مصفوفة على بُعد أقدام قليلة من ممتص صدمات البويك.

أمسك بالبندقية من فوق المقعد الأمامي، وزحف عبر الأسفلت. مرَّ بين البويك والجيب مخاطراً بانكشافه أمام العين لعدة ثوانٍ، لكنهم لم يروه.

نهض إيثنان، وحدث عبر النوافذ البلاستيكية للسقف اللدن.

كان بعض المنحرفين قد عادوا إلى الداخل.

وكان أحدهم ما زال منحنيًا ينتحب على جثة المنحرف الذي أرداه إيثنان للتو.

باب مقعد السائق غير موصل.

دخل إيثنان منه، ووضع البندقية بين المقاعد.

أدخل المفتاح الأول عندما صرخ منحرف.

لقد رأوه.

كانوا يتحركون في اتجاهه.

أدار المفتاح.

لا شيء.

بدأ يتحسس مرتبًا بحثًا عن المفتاح الثاني، وعندئذٍ أدرك أنه لا يوجد وقت. قبض على البندقية وقفز خارجًا من الجيب، وجرى إلى منتصف الشارع.

كان خمسة منهم يجرون بالفعل نحوه.

لا أخطاء وإلا ستموت.

أطلق النار على المنحرف الذي في المقدمة، ثم الاثنان على اليسار، وهو يجري بظهره في الشارع بينما الاثنان الأخيران يقتربان. تطلّب الأمر طلقتين لإسقاط الرابع.

لا توجد إلا طلقة واحدة لإسقاط الخامس، بينما تقترب المسافة بينهما إلى عشرة أقدام.

جرى ثلاثة منحرفين آخرين خارجين من المنزل. في محيط رؤيته، لاحظ حركة في الشوارع من حوله؛ حشود من المنحرفين قادمة من كل اتجاه.

زمجرة من ورائه أدارت رأسه.

منحرفان يندفعان نحوه مباشرة على أربع كأنهما قذيفتان؛ أنثى ضخمة ومنحرف أصغر لا يمكن أن يزيد وزنه عن خمسة وسبعين رطلاً.

صوّب إلى الأصغر.

إصابة دقيقة للهدف.

سقط يتدحرج على الأسفلت.

انزلقت أمه ذات العينين البيضاوين كالقشدة متوقفة، وجثت على صغيرها الساقط.

أطلقت عواءً طويلاً مأساوياً.

ألقي إيثنان القذيفة الفارغة.

صوّب.

نظرت الأم إليه، ولم يكن هناك مجال لأن يخطئ تفسير الكراهية الذكية الحارقة التي ضيقت عينيها.

نهضت على ساقها الخلفتين، وجرت إليه صارخة.

تك.

فارغة.

ألقى البندقية، وجذب مسدسه وهو يتراجع نحو السيارة الجيب،
وأسقط الأم بطلقتين عيار 50 اخترقتا حلقتها.

كانوا في كل مكان.

تحرك نحو الجيب.

قفز على غطاء المحرك منحرف طوله سبعة أقدام.

أسكن إيثان طلقتين أخريين عن طريق الخطأ -ضغطة مزدوجة
على الزناد بدافع من الذاكرة العضلية- في نصف جسده العلوي.

وصل إلى باب السائق عندما ظهر منحرف عند ظهر السيارة.

أسقطه إيثان بطلقة في الرأس من مسافة قريبة، قبل نصف ثانية
من وصول مخلب المنحرف إلى قصبته الهوائية.

دخل السيارة.

لم يستطع أن يتذكر أي مفتاح جرّبه في المرة الأخيرة، واكتفى بدفع
أول مفتاح تمكّن من وضعه بين أصابعه.

ظهر منحرف خلف النافذة البلاستيكية عند مقعد الراكب الأمامي.

شقّ مخلب البلاستيك، وامتدت ذراع طويلة مفتولة العضلات إلى
الداخل.

رفع إيثان المسدس من حجره، وأطلق النار على وجه المنحرف
وهو يحاول الصعود إلى الجيب.

لم يدُر المفتاح.

وبينما كان يحاول مع المفتاح التالي، خطرت له فكرة مرعبة: ماذا لو كانت سيارة ماجي مصفوفة في الحقيقة على الناحية الأخرى من الشارع، أو فوق الرصيف على مسافة صغيرة؟ لا يبدو أنها اضطرت أصلاً إلى قيادتها.

عندئذٍ سيأكلونني حياً في هذه السيارة.

صوت تمزق خلف إيثنان.

ألقي نظرة وراءه، بينما مخلب أسود يمزق نافذة المؤخرة البلاستيكية.

كانت الرؤية عبر البلاستيك القديم القذر مشوشة، لكنه رأى ما يكفي من الوحش كي يصبّ عليه.

أطلق النار عبر النافذة.

تناثر الدم عبر البلاستيك وارتدت شريحة المسدس منغلقة.

فارغة.

بخزينة واحدة فقط، سيستغرق الأمر منه ثلاثين ثانية على الأقل كي يُخرج عبلة الطلقات عيار 50 ويعيد حشوها...

مهلاً.

لا.

لم يُحضر ذخيرة إضافية من أجل المسدس.

فقط من أجل البندقية.

كان المنحرفون يقتربون. تمكّن من رؤية دسّته منهم عبر النافذة الأمامية، وسماع المزيد يتوجهون نحوه من منزل ماجي.

قبض على المفتاح الثاني مفكرًا: كم من الغريب أن مسألة إن كنت سآحيا أم أموت تتوقف على مسألة إن كان هذا المفتاح سيدور أم لا.

دخل ثقب وحدة الإشعال.

ضغط بقدمه في قوة على دواسة القابض.

أرجوك.

دار المحرك عدة مرات...

وانبعث إلى الحياة.

كانت ضجته المغرغرة هي الحياة.

رفع إيثان فرامل الطوارئ، وجذب ذراع نقل السرعات، الذي كان يعمل بنظام ناقل الحركة اليدوي على ثلاث سرعات.

نقل إلى الحركة الخلفية، وضغط بدال البنزين.

اندفعت السيارة إلى الخلف واصطدمت بالبويك، لتلصق منحرفًا صارخًا بهمتمص الصدمات. نقل إيثان إلى السرعة الأولى، ولف عجلة القيادة، وضغط على البدال.

خرج إلى الشارع.

المنحرفون في كل مكان.

لو كان يقود شيئًا متينًا، لم يكن ليتردد في حرثهم به، لكن السيارة الجيب كانت مكتنزة، ولها قاعدة عجلات ضيقة جعلتها قابلة للانقلاب.

شك في قدرتها على تحمّل اصطدام مباشر حتى بفحل متوسط الحجم.

أحسَّ بشعور رائع عندما انطلق مسرعًا.

انحرف إلى اليسار فجأة ليتفادى منحرفًا، ومالت الجيب على عجلتين.

أعادها إلى مسارها المضبوط، ليجد أربعة قادمين نحوه مباشرة، دون تهيب، بلا أي علامة انحراف عن مسارهم الانتحاري.

انحرف بشدة، وصعد على الرصيف، واقتلع سياجًا خشبيًا بسرعة ثلاثين ميلًا في الساعة، عبر الفناء الأمامي لقطعة أرض على ناصيتين، واندفع عبر السياج مرة أخرى على الجانب الآخر، وارتجبت الجيب في صدمة هادرة عندما عادت من فوق الرصيف لتشق الطريق، وإطاراتها تولول بينما يعدل إيثنان عجلة القيادة.

كان الطريق أمامه خاليًا.

وصل عدد اللفات في الدقيقة إلى حده الأقصى.

نقل إيثنان إلى السرعة الثانية.

أيًا كان الموجود تحت غطاء محرك هذا الشيء فهو يحمل بعض الملتانة.

ألقي إيثنان نظرة في المرأة الجانبية.

كان قطع من المنحرفين -قراصة ثلاثين أو أربعين- يطارده في منتصف الشارع، صرخاتهم مسموعة حتى مع هدير المحرك ذي الأسطوانات الثماني.

وصل إلى ستين ميلًا في الساعة وهو ينطلق عبر المربع السكني التالي.

مرَّ بحديقة أطفال حيث كان دسته من صغار المنحرفين يتغذون على كومة من الجثث في العشب.

لا بد أنها كانت أربعين أو خمسين جثة. واحدة من الجماعات المنكوبة.

كانت الجادة الثامنة تقترب من نهاية مباحثة.

لاحت غابة الصنوبر الشاهقة من بعيد.

قلَّ إيثان السرعة.

كان قد تجاوز المنحرفين بربع ميل على الأقل.

في الشارع الثالث عشر، انعطف إلى اليمين بحدة، وضغط البدَّال مرة أخرى.

قاد بمحاذاة الغابة مسافة مربع سكني، ثم مرَّ بالمستشفى.

قلَّ إيثان السرعة مرة أخرى، وانعطف إلى اليسار ببطء على المخرج الأساسي من البلدة.

انطلق فيه بأقصى سرعة ممكنة.

تضاءلت وايوارد باينز في مرآة الرؤية الخلفية.

مرَّ بلافتة الوداع، وتساءل إن كان أي أحد قد نجح في الوصول إلى هذه المسافة داخل الغابة عندما اندلعت الفوضى.

كأنها إجابة على سؤاله، مرَّ بسيارة أولدزموبيل مصفوفة على جانب الطريق. تحطمت فيها كل شظية زجاج تقريبًا، تغطى السطح الخارجي بالانبعاجات والخدوش. حاول أحدهم أن يفرَّ إلى ضواحي البلدة، فقط لتعثّر عليه جماعة من المنحرفين.

عند لافتة (منحنى حاد إلى الأمام)، انحرف خارجًا عن الطريق إلى داخل الغابة.

حافظ على سرعته وسط الأشجار.

ظهرت الجلاميد من بعيد.

كان يملك ملء جيبه من قذائف البندقية، لكنه بلا بندقية.

ومعه مسدس قوي لم تبق لديه طلقات.

ليس هذا بالاستعداد النموذجي لما هو على وشك أن يفعله.

لاح النتوء الكبير الذي يخفي مدخل المجمع على مبعده مائة ياردة أمامه.

نقل إيثنان إلى السرعة الثانية، وأحكم قبضته على عجلة القيادة.

خمسون ياردة.

كان قد ضغط على البدال حتى ألصقه بلوح الأرضية، وتصاعدت حرارة المحرك المنهك عبر فتحات التهوية.

خمس وعشرون ياردة، أعد نفسه متأهبًا.

ثبّت عداد السرعة.

كان يقود بسرعة أربعين ميلًا في الساعة متجهًا إلى حائط من الصخر.

تيريزا بيرك

كانت في سياتل، بيتهم القديم في كوين آن. أسرتها في الفناء الخلفي في واحدة من تلك الأمسيات الصيفية المثالية عندما يكون في مقدورك أن ترى كل شيء: جبل رينييه، لسان بيوجيت ساوند البحري، والجبال الأولمبية من وراء الماء، بحيرة يونيون وخط أفق المدينة. كل شيء لطيف وأخضر، والماء يلتمع بينما الشمس تغرب. كل هذه المعاناة من البرد القارس والأيام الرمادية ذات الرذاذ الذي لا ينقطع عُوضت بليالٍ مثل هذه.. المدينة تكاد تكون أجمل من المعتاد.

وقف إيثان وراء الشوآية، يشوي قطع السلمون المخلية على ألواحٍ من خشب الأرز المنقوع في النيذ. بن يداعب أوتار جيتار في أرجوحة معلقة. وهي موجودة. حتى إنها تشككت في واقعية الأمر، وهي تتحرك نحو زوجها، وتضع يديها على كتفيه، لكنها استطاعت أن تشم رائحة طهو السمك، استطاعت في الواقع أن تحس بنور الشمس

يضرب عينيها، وكان البوربون الجيد الذي تشربه له أثر فاتر لذيذ في رثتها.

قالت: "أعتقد أنها تبدو جاهزة.." وعندئذ بدأ العالم يهتز، ورغم أن عينيها كانتا مفتوحتين بالفعل، فإنها فتحتهما مرة أخرى بطريقة ما لتجد بن يهزها ليوفظها.

نهضت جالسة من رقدتها على أرضية المغارة الصخرية الباردة، مشوّشة فاقدة الاتجاهات. للحظة، لم تكن لديها فكرة أين كانت. كان الناس يجرون مارّين بها نحو باب ثقيل من كتل الخشب انفتح على مصراعيه الآن.

كان الحلم يتلاشى بسرعة، والعالم الحقيقي يعود إليها مندفعًا مثل دوار شراب طاحن. لم تستطع أن تتذكر آخر مرة حلمت فيها بحياتها السابقة، وبدا التوقيت الآن قاسيًا على نحوٍ خاصّ.

نظرت إلى بن، وقالت: لماذا فتحو الباب؟

- يجب أن نرحل يا ماما.

- لماذا؟

- المنحرفون عائدون؛ واحد من المراقبين رأى قطيعًا منهم يتسلقون الصخور.

أعادها هذا -بعنفٍ- إلى كامل وعيها.

تساءلت: كم عددهم؟

- لا أعرف.

- ولماذا يغادر الجميع المغارة؟

- لا يعتقدون أن الأبواب يمكنها أن تصمد أمام هجمة أخرى.. هيا.

أمسك بيديها وجذبها لتقوم واقفة.

تحركا نحو الباب المفتوح، والذعر يتزايد في المغارة، والناس يتدافعون عندما يقتربون من المخرج، الكيعان تلكز الضلوع، والجلد يحتك بالجلد في قسوة. مدت تيريزا يدها وأمسكت بيد بن، وجذبتة أمامها.

شققاً طريقيهما فوق عتبة الباب الضخم.

تردد صدى الأصوات في النفق، والجميع يتقاتلون للوصول إلى نور النهار عند الفتحة.

خرجت تيريزا وبين تحت سماء ظهيرة شديدة الزرقة حتى إنها بدت زائفة.. خطت إلى حافة الجرف، وألقت نظرة إلى أسفل مباشرة ارتجفت لها معدتها.

قالت: يا إلهي!

على الأقل كان عشرون منحرفاً قد بدؤوا تسلق الجرف.

وتجمّع خمسون آخرون عند السفح، أسفلهم بثلاثمئة قدم.

والمزيد ما زالوا يأتون من الغابة.

تحرك بن نحو الحافة، لكنها منعتة من التقدم قائلة: لا تفكر حتى في ذلك.

ما بدأ كفوضى داخل المغارة كان يتصاعد نحو الهستيريا خارجها في الهواء الطلق، لقد رأى الناس ما هو قادم. فرَّ بعضهم عائدين إلى النفق، وكان آخرون يحاولون تسلق الجبل إلى موضع أعلى. وقلة أصبحت متجمدة من الخوف، وجلست على الصخر، في محاولة لاستيعاب الدنيا.

أما من سَلَّحهم إِيثان فكانوا يتخذون مواضعهم بمحاذاة الحافة الأعلى، محاولين أن يصبوا على المنحرفين الذين كانوا يتسلقون الجدار بالفعل.

شاهدت تيريزا امرأة تُسقط بندقيتها.

رأت رجلاً يفقد موطأ قدميه، ويسقط صارخاً إلى داخل الغابة.

دَوَّت الطلقة الأولى من الحافة.

- ماما ماذا سنفعل؟

كرهت تيريزا الرعب الذي رآته يتراكم في عيني بن، نظرت خلفها إلى الممر الصخري المؤدي إلى داخل المغارة.

تساءل بن: هل كان ينبغي لنا أن نظل بالداخل؟

- ونُصَلِّي كي يصمد الباب؟ لا.

إلى يمين فتحة الكهف، امتدت حافة ضيقة حول الجبل. من هذه المسافة، لم تستطع تيريزا أن تحدد إن كانت هذه الحافة صالحة للاستكشاف، لكنها كانت حلاً ما.

قالت: "هيا"، وأمسكت بذراع بن، ودفعته عائدين إلى الممر نحو النفق، بينما المزيد من الطلقات يُدَوِّي خلفهما.

- ظننت أنك قلت...

- لن نعود إلى المغارة يا بن.

عندما وصلا فتحة النفق، تمكَّنت تيريزا من رؤية الحافة بشكل جيد لأول مرة. لا يمكن أن تكون أعرض من قدم. لا توجد بها ألواح ولا كابلات، بدت بالكاد معقولة.

واجهت ابنها بينما كان الناس يندفعون بجانبهما، عائدين إلى داخل النفق.

في مكان ما من الغابة بالأسفل، صرخ منحرف.

قالت: علينا أن نتبع هذه الحافة..

حدق بن إلى الدرب الطبيعي النحيل عبر سطح الجرف، وقال: إنه يبدو مخيفًا.

- هل تفضل أن تحاصر في المغارة عندما يحطم خمسون منحرفًا الباب؟

- وماذا عن الآخرين؟

- مهمتي حمايتك، مستعد؟

أومأ إليها برأسه إيماءة سريعة غير مقنعة.

أحسَّت تيريزا بمعدتها تنقبض. خطت على الحافة، وضغطت صدرها على الجدار، وراحتها تزحفان على الصخر. خطت خطوات صغيرة زاحفة، متشبثة بمواضع القبض حيثما استطاعت أن تجدها. بعد خمسة أقدام، التفتت إلى بن.

- أرايت كيف فعلتُ هذا؟

- نعم.

- دورك.

بقدر ما كانت مغادرة أمان ذلك الدرب الواسع إلى داخل الجبل صعبة، كانت مشاهدة ابنها يخطو إلى الحافة أشد إيلامًا بالقطع. كان أول ما فعله أن نظر إلى أسفل.

- لا، لا تفعل هذا.. انظر إليّ.

رفع بن عينيه وقال: الأمر أكثر رعبًا بكثير في نور النهار.

- رگز فقط على القيام بخطوات آمنة، وأبقِ يديك على الجدار
مثلي. أحيانًا ستكون هناك مواضع تتشبهت بها.
بدأ بن السير نحوها، خطوة خطوة.
- أنت تبلي بلاء حسنًا يا حبيبي.
وصل إليها.
استكملا طريقهما.

بعد عشرين قدمًا، انكشفت الهاوية أسفل الحافة على اتساعها
تحتها، لو سقطا سيهويان من ارتفاع أربعمائة قدم إلى أرض الغابة
مباشرة. مسقط عمودي للغاية، لو سقطت لن تصطدم بأي شيء إلى
أن تضرب الأرض.

سألته تيريزا: كيف حالنا يا صاحبي؟

- بخير.

- هل تنظر إلى أسفل؟

- لا.

التفتت تيريزا إليه.. كان ينظر إلى أسفل.

- اللعنة يا بن!

قال: لا أستطيع تفادي ذلك، أشعر بمعدتي في حالة وخز غريبة.

أرادت أن تمد يدها وتمسك بيده وتشد عليها.

قالت: نحتاج إلى الاستمرار في الحركة.

لم تكن تيريزا متأكدة، لكن بدا أن الدرب يضيق. قدمها اليسرى،
التي أبقته متعامدة على الحافة وموجهة إلى الجبل، كانت بارزة عن
الحافة بمقدار بوصة أو اثنتين.

عندما وصلا إلى التواء في الجبل، انفجر وابل من الطلقات عائداً نحو المغارة. نظرت تيريزا وبن. كان عدة عشرات من الناس ينسحبون عبر الممر إلى داخل النفق بسرعة وكثافة أشارتا إلى أنهم يفرّون بأرواحهم. اندلعت صرخة منحرف، وآخر، وآخر بعدما صعد هؤلاء الوحوش الشاحبون الشفافون على جانب الجدار الصخري. عندما وضعوا مخالبتهم على مستوى الأرض، اندفع المنحرفون على أربع عبر الممر نحو النفق.

تساءل بن: ماذا لو رأونا؟

همست تيريزا: لا تتحرك، ولا حتى عضلة.

عندما اختفى آخر المنحرفين -أحصى منهم أربعة وأربعين- داخل النفق، قالت تيريزا: هيا بنا.

بينما يتحركان حول الالتواء، تناهى إليهما من النفق صوت طرّق عميق .

تساءل بن: ما هذا؟

- المنحرفون. إنهم يدقون على باب المغارة.

احتضنت تيريزا الجرف، وخطت حول الزاوية على حافة عرضها ست بوصات، وقلبها في حلقها.

وفجأة، ارتفع صوت جوقة هائلة من الصراخ داخل النفق.

القسم السادس

هاسلر

متنزه جاز ووركس بارك

سياتل، واشنطن

قبل 1816 عام

يقلب هاسلر قطع البرجر على شواية في ظل أطلال شركة سياتل جاز لايت⁽¹⁾؛ مجموعة من الأسطوانات والهياكل الحديدية التي تلوح من بعيدٍ مثل أطلال مدينة في رواية من روايات الستيم بانك.⁽²⁾

(1) قام متنزه جاز ووركس بارك مكان أرض مصنع سياتل جاز لايت لصناعة الغاز المسال الذي عمل في الفترة من 1906 إلى 1956 وافتتح المتنزه للجمهور عام 1975. (المترجم)

(2) ستيم بانك Steampunk هو أحد الأنواع الفرعية من أدب الخيال العلمي، والذي يجمع بين المستقبلية السالفة (التي تقدم تصورات المستقبل من حقب ماضية) والجماليات المستلهمة من الماكينات الصناعية التي كانت تدار بالبخار في القرن التاسع عشر. (المترجم)

يمتد العشب الزمردى إلى حافة بحيرة يونيون، التي تلتصق تحت شمس الأصيل. شهر يونيو. الجو دافئ. تبدو المدينة بأكملها وقد خرجت لتتمتع بهذا اليوم المثالي النادر.

صواري المراكب الشراعية تضيف مثلثات من الألوان إلى البحيرة. الطائرات الورقية تنثر الألوان في السماء.

الأطباق الطائرة تشق الهواء، والضجة المشرقة لضحك الأطفال تتردد أصداؤها من مبنى ضاغط العوادم في المصنع القديم، الذي جرى تجديده وترميمه ليصبح "حظيرة لعب".

إنها الرحلة الخلوية السنوية لمكتب سيااتل الميداني التابع لجهاز الخدمة السريعة، ولا يستطيع هاسلر أن ينفذ عن عقله الاستغراب من رؤية أعضاء فريقه يعرضون كل هذه السيقان العارية والأقدام المنتعلة للضنادل بدلاً من البدلات الرجالي والحريمي السوداء.

يتمشى مساعده، مايك، حاملاً طبقين فارغين وعدة طلبات من النقانق.

عندما يرشق هاسلر الشوكة في قطعة من النقانق، يلمح تيريزا بيرك تتحرك مبتعدة عن المجموعة التي كانت واقفة معها، متوجهة نحو شط البحيرة بخطوة أسرع كثيراً من أن تكون تمشية هادئة البال.

يضع هاسلر الشوكة جانباً، وينظر إلى مساعده ويقول: هل ذكرت لك من قبل أني سأرقيقك؟

تتسع عينا مايك طمعاً. هذا الشاب يعمل مع هاسلر منذ ثمانية أشهر فقط، لكنه أظهر -في مناسبات عدة- افتقاراً كاملاً إلى الوعي بحقيقة أن هدفه الأساسي في الحياة هو الرد على الاتصالات الهاتفية وصبُّ القهوة وطباعة ما يمليه عليه العميل الخاص المسؤول.

يقول مايك: بجد؟

يرفع هاسلر المنزر ذا المربعات الشطرنجية باللونين الأبيض والأحمر، ويخلعه من فوق رأسه ويكلل به مساعده.

- تتضمن واجباتك الجديدة سؤال الناس إن كانوا يودون قطعة من الهامبرجر أم النقانق أم الاثنين. وكذلك، ألا تحرق شيئاً. يتهدل كتفا مايك ويقول: كنت سأخذ طبقاً إلى لاسي.

- تلك فتاتك الجديدة؟

- نعم.

- قل لها أن تأتي معك حتى يمكنك أن تنبئها بالخبر السعيد.

يضع هاسلر كتف مايك، ويترك الشواية، ويسير عبر العشب الذي تناثرت فيه أزهار الحوذان الصفراء. تيريزا تقف قرب الماء.

يسير هاسلر إلى الشاطئ، ويتوقف على مبعده عشرين قدمًا، متظاهراً بأنه مأخوذ بروعة المنظر.

أبراج اللاسلكي عند قمة تل كابيتول هيل.

منحدرات تل كوين آن المغطاة بالمنازل.

بعد لحظة يلقي نظرة نحوها.

تيريزا تحدق إلى الماء بقوة، وفكها مشدود، وعيناها حادتان.

يسألها: أكل شيء على ما يرام؟

تفزع وتنظر إليه وتمسح عينيها، وتستجمع قواها لتبتسم ابتسامة حزينة.

- آه، نعم. أستمتع فقط باليوم. ليتنا نقوم بمزيد من هذه الرحلات.

- فعلاً. يجعلني هذا أتمنى لو كنت أعرف كيف أبحر بمركب.

تلقي تيريزا نظرة ورائها نحو المتنزه حيث يختلط بقية أعضاء الحفل.

ينظر هاسلر أيضاً.

يحمل النسيم رائحة البيرة اللذيذة في الأكواب البلاستيكية.

يلمح إيثان بيرك وكيت هيوسون واقفين على جنب، هما الاثنان فقط، كيت تضحك بينما إيثان يكمل ما يبدو أنها قصة أو نكتة.

يقلص هاسلر المسافة بينه وبين تيريزا.

- أنت لا تستمتعين كثيراً، أليس كذلك؟

تهز رأسها.

يقول هاسلر: لا بد أن هذه الحفلات لزملاء العمل تبدو غريبة بالنسبة إلى العائلات.. عملائي يرون بعضهم بعضاً كل يوم تقريباً. ثم تأتين هنا وتشعرين أنك غريبة.

تبتسم تيريزا وتقول: لقد أصبت كبد الحقيقة إلى حد كبير.

تهم بقول شيء آخر، لكنها تتوقف.

يحثها هاسلر: "ماذا؟" مجازفاً بخطوة أقرب. بمقدوره أن يشم رائحة بلسم شعرها وصابون غسيل جسدها الذي استخدمته هذا الصباح أيضاً كان.

عينا تيريزا صافيتان وخضراوان. تنتقل منهما الكهرباء عبر عينيه وتسري إلى قرارة معدته. يشعر في نفس الوقت بالإعياء والبهجة والرعب والحيوية.

كلها مشعة للغاية.

تسأله: هل ينبغي لي أن أقلق؟

- تقلقي؟

تخفض صوتها: "بشأنهما. إيثنان و.." - كأنها لا تريد حتى أن تنطق الكلمة، كأنها تجلب مذاقاً سيئاً لفمها- " .. كيت."

- كيف تقلقين؟

هو يعلم. لكنه فقط يريد أن تقولها.

تسأله: هما شريكان طوال.. ماذا؟ شهور الآن؟

- نعم، شيء من هذا القبيل.

- هذه علاقة قوية، صح؟ شريك وشريكة؟

- من الممكن.. يعملان معاً على القضايا. غالباً لساعات طويلة.

يجب أن يثق أحدهما بالآخر بروحيهما.

- إذن كأنها زوجته في العمل.

يقول هاسلر: سيكون من الصعب عليّ أن أذكر اسم أي شريكين من العملاء الذين يعملون تحت إشرافي وليسا قريبين من أحدهما الآخر. طبيعة العمل تدفع الناس إلى الاقتراب.

تقول تيريزا: إنه صعب تماماً.

- لا يمكنني أن أتخيل.

- إذن أنت لا تعتقد...

- لم أر شخصياً أي شيء يجعلني أشك في كون إيثنان أي شيء بخلاف أنه زوج مخلص لك.. هو رجل محظوظ، أمل أن تعرفي هذا.

تطلق تيريزا تنهيدة، وتضع وجهها بين يديها.

يسألها: ما الخطب؟

- لم يكن ينبغي أن..

- لا، لا بأس. من فضلك.

تسأله تيريزا: هل تفعل معروفًا من أجلي؟

- أي شيء تريد.

- لا تخبر إيثان بهذه المحادثة. أنت لا تعرفني إلى هذا الحد

يا آدم، لكنني لست امرأة غيورة. الأمر فقط... لا أعرف ما خطبي.

يبتسم هاسلر ويقول: سرك في بئر. وينبغي لك أن تعرفي أنني أجد تمامًا التعامل مع الأمور السرية كلها. وإلا ما الذي يجعل كلمة "السرية" موجودة في منصبتي، بحق المسيح؟

تبتسم تيريزا الآن إليه، وبالكاد يمكنه تحمل ذلك، ويعرف أنه لن يفكر في أشياء كثيرة غير هذه الابتسامة لأيام قادمة.

تقول: "أشكرك..". وتضع يدها للحظة قصيرة على ذراعه.

يمكنه أن يعيش في هذه اللحظة عامًا.

يعرض عليها: يمكنني البقاء هنا، في صحبتك...

- أوه لا، لديك حفل يجب أن تعود إليه، ولديّ مهمة تمالك نفسي والعودة بشكل عادي. لكن عرضك لطيف طبعًا.

تبدأ تيريزا في العودة صاعدة المنحدر العشبي وهاسلر يراقبها وهي تمضي. ما الذي يوجد في هذه المرأة وينتزع قلبه انتزاعًا؟ لا يمكنه أن يفسر بالضبط. الحق يقال، هما مجرد شخصين على معرفة بأحدهما الآخر. لم يتكلما معًا إلا حفنة من المرات.

عندما جاءت إلى المكتب لتأتي لإيثان بشيء ما.

لقاء بالصدفة في حفلة موسيقية.

دعوة على الطعام في حديقة منزل آل بيرك.

لم يتزوج هاسلر قط، لم يقع في الحب منذ كان في المدرسة الثانوية، لكن في هذه اللحظة، وهو واقف على شاطئ بحيرة يونيون يراقب تيريزا تصل إلى جانب إيثان وتلف ذراعها حول خصره، يشعر برفة من غيرة عمياء، كأنه يراقب المرأة التي تخصه تقع في حب رجل آخر.

إيثان

حطَّم السيارة الجيب على باب الصخرة الزائفة. ضربت قطعة من المعدن الزجاج الأمامي لتحث شرخًا طويلًا متشعبًا في منتصف الزجاج.

توقَّع إيثان نصف توقُّع بأن تكون هناك فرقة من رجال بيلتشر في انتظاره، لكن النفق كان خاليًا.

نقل البدال إلى السرعة الثالثة.

كان أفضل ما يمكنه التحرك به خمسة وثلاثين ميلًا في الساعة على الدرب المنحدر.

تدفقت أضواء المصابيح المعلقة في النفق.

وتساقطت قطرات ماء من السقف الصخري على الزجاج الأمامي المشروخ.

كلما دار حول منحنى، توقع أن يرى حاجز طريق وصفاً من رجال بيلتشر ببنادق هجومية وأوامر بإطلاق النار لدى رؤيته.

لكن ربما لا يعرف أتباع بيلتشر شيئاً عما فعله.

لا يوجد في مجمع البنية الفوقية بثٌ للكاميرات إلا في مقر وحدة المراقبة ومكتب بيلتشر. يمكن إسكات فنيي المراقبة أو حبسهم أو رشوتهم أو قتلهم. لا شك أن دائرة بيلتشر الداخلية تحمل شعوراً وهمياً بالولاء نحو الرجل، لكن إيثن لم يستطع أن يتخيلهم جميعاً مكتفين بالوقوف جانباً بينما يقتل الرجل آخر البشرية. أرهف أذنيه.

كان يقترب، ورغم ذلك لا أثر للمقاومة.

لو كان عليه أن يراهن، فإن بيلتشر يخطط للتأكد من محو آخر مواطن من مواطني وايبورد باينز، وبعد ذلك يخبر ناسه أن حادثاً فظيماً قد وقع: عُطل في السور.. لا شيء يمكن القيام به.

خُفَّ إيثن من وطئه على بدال البنزين عندما لاح أمامه مدخل المجمع وراء منحنى طويل هين.

تهادى إلى داخل المغارة الهائلة وأوقف الجيب.

وضع ذراع نقل السرعات على السرعة الأولى.

وأطفاً المحرك.

رفع المسدس من الدواسة، وجذب الماسورة المتحركة إلى الورا، وتركها تعود إلى وضعها الأصلي بحيث يبدو المسدس محشواً. بحث في جيوبه مرة أخرى، ولم يجد إلا غلبتين من الخرطوش عيار اثني عشر ومطواته.

فتح الباب، وخطا على الحجر. كان الفُلك هادئًا، لا صوت إلا فحيح ناعم -من اندفاع الهواء المضغوط- يصدر عن مركز الإرجاء ذي الإضاءة الزرقاء.

خلع إيثان معطفه الفرائي، وألقاه داخل السيارة، ودسَّ مسدسه العنّين في مقدمة بنطاله الرانجلر الملطخ بالطين والدماء.

عندما اقترب من الأبواب الزجاجية السميكة التي تؤدي إلى المستوى الأول من المجمع، خطر له أنه لا يملك بطاقة مفاتيحية. ثمّة كاميرا موجهة نحوه من أعلى الأبواب.

هل تشاهدي الآن؟

لا بد أن تعرف أني هنا.

قال صوت من خلفه: ضع يديك على رأسك. وشبّك أصابعك.

رفع إيثان يديه واستدار ببطء.

وقف فتى في أوائل عشرينياته يضع عصا به حول رأسه على مبعدة خمسين قدمًا بجوار أقرب الخزانات الأسطوانية الضخمة في الفُلك، مصوبًا بندقيته إليه آر 15 إلى إيثان.

قال إيثان: أهلاً ماركوس..

تحرك ماركوس نحوه، وفي الإضاءة المصفرّة للمصابيح الكروية المعلقة، بدا في حالة غضب مجنون.. إحقاقًا للحق، كان لديه عذره.. خلال لقائهما الأخير، ضربه إيثان بالمسدس على رأسه فأصابه بارتجاج في المخ.

قال ماركوس: كان مستر بيلتشر يعلم أنك قادم..

- أخبرك بهذا، هه؟

- أخبرني بكل ما فعلت.

- بكل ما فعلت؟

- وطلب مني أيضًا أن أطلق النار عليك، حتى...

- الناس يموتون في وايوارد باينز يا ماركوس. النساء. الأطفال.

كان ماركوس قد قطع نصف المسافة بينهما، وصار بمقدور إيثان أن يقرأ في عينيه ما يكفي من الغضب لترجيح أنه قد يجذب الزناد بالفعل.

انفتحت الأبواب الزجاجية.. ألقى إيثان نظرة خلفه، ورأى رجلًا أشقر ضخماً يدخل، مصوبًا مسدسًا إلى قلبه. تذكره إيثان من ذلك اليوم في المشرحة.. إنه آلان، صديق أليسا، ورئيس الأمن لدى بيلتشر. نظر إيثان إلى ماركوس، كان الفتى الآن قد أسند البندقية إلى كتفه، مستعدًا لإطلاق النار.

قال إيثان لآلان: أديك أوامر كذلك بإطلاق النار عليّ لدى رؤيتي؟

- بالتأكيد.

- أين تيد؟

- لا فكرة لديّ.

قال إيثان: قد ترغب في سماعي أولًا.

كان ماركوس يقترب. وبينما كان آلان يصوب مسدسه إلى وجه إيثان، مدّ ماركوس يده وجذب المسدس من خصر إيثان، وألقاه على الأرض الحجرية.

قال إيثان: لا فكرة لديكما عما يحدث في الخارج.. لا أحد منكما. ليلة أمس، قطع بيلتشر الكهرباء عن السور، وفتح البوابة، ترك حشدًا من المنحرفين يدخلون الوادي؛ دُبح أغلب من في البلدة.

قال آلان: هراء..

قال ماركوس: إنه يكذب. لماذا حتى نستمع...

قال إيثان: أريد أن أريكما شيئًا، سأمد يدي ببطء في جيبي...

قال آلان: أقسم بالله إنها ستكون آخر حركة تقوم بها.

- لقد أخذتُما سلاحِي للتوّ.

قال ماركوس: لدينا أوامر يا آلان، أنا...

قال إيثان: "اخرس يا أحمق! الكبار يتحدثون..". وعاد ينظر إلى

آلان: "هل تذكر عندما التقينا في المشرحة؟ هل تذكر ما طلبتَ مني

أن أفعله؟" مكتبة سُر من قرأ

- أن تجد من قتل أليسا.

- هذا صحيح.

ثبَّت آلان عينيه على إيثان.

قال إيثان: وجدت من قتلها..

توتّر فك آلان.

- كان زعيمك.. وبام.

قال آلان: تأتي إلى هنا باتهام كهذا، من الأفضل أن تكون قادرًا على...

"إثباته؟" وأشار إيثان إلى جيبه: "هل تسمح لي؟"

- ببطء.

وضع إيثان يده في جيبه، وتحسس بأصابعه إلى أن أحس بها.

أخرج رقاقة الذاكرة، ورفع قطعة المعدن المربعة، وقال: "بيلتشر وبام

قتلا أليسا.. لكنهما عدّباها أولًا. أعطاني رئيس وحدة المراقبة هذه.

وهي تُبيّن كل شيء." أبقى آلان المسدس مصوبًا نحو إيثان، وبقي

تعبير وجهه عصيًا على القراءة. قال إيثان: "لديّ سؤال من أجلك يا آلان.. لو كان ما أخبرك به صحيحًا، أين يكمن ولاؤك؟"
زمجر ماركوس: إنه يتلاعب بك.

قال إيثان: هناك طريقة لاكتشاف ذلك.. ماذا يكلفك النظر إلى هذه يا آلان؟ إلا إذا كان الثأر لأليسا لم يعد يهمك.
خلف الأبواب الزجاجية، رأى إيثان رجلًا آخر مسلحًا يركض في الممر.

كان يرتدي ملابس سوداء، مسلحًا بصاعق كهربائي ومسدس وبنادقية آلية وهرمون التستوستيرون. عندما اقترب من الأبواب الزجاجية، لمح إيثان ورفع سلاحه. فجأة لفَّ آلان ذراعه اليمنى حول رقبة إيثان، ووضع مسدسه على صدغه.

انفتحت الأبواب مهسهسة.

قال آلان: أمسكت به. قف.

صرخ ماركوس: اقتله! لديك أوامر!

قال الواصل الجديد: ماذا تفعل بحق الجحيم يا آلان؟

- أنت لا تريد أن تطلق النار على هذا الرجل يا موستين. ليس بعد .

- ما أريده وما لا أريده لا علاقة له البتة بالأمر. أنت تعرف ذلك أكثر منا جميعًا.

أحكم آلان قبضته على إيثان.

- يقول المأمور إن البلدة اجتاحتها المنحرفون، وإن الزعيم فتح البوابة. يقول أيضًا إن مستر بيلتشر وبام مسؤولان عن موت أليسا.

قال موستين: الكلام شيء، والإثبات شيء آخر.

رفع إيثان رقاقة الذاكرة.

- يزعم أن بها لقطات لموت أليسا.

قال ماركوس: ماذا إذن؟

صوّب آلان نظرة غضب هائلة نحو الشاب: ماذا تقول يا بني؟
على فرض أن أيًا من هذا صحيح، هل ستتقبل بسهولة قتل مستر
بيلتشر لواحدة منا، ابنته، ومحاولة إخفاء ذلك؟ ستماشي مع ذلك؟

قال ماركوس: هو الزعيم.. لو فعل شيئًا كهذا، أراهن أن لديه...

- هو ليس إلهًا، أليس كذلك؟

جلجلت صرخة في النفق، وتردد صداها عبر الفلك.

أطلق آلان سراح إيثان، وقال: ما كان هذا؟

قال إيثان: يبدو أن بعض المنحرفين وجدوا طريقهم إلى داخل
الجبيل.. لقد اقتحمت بالسيارة مدخل النفق.

نظر آلان إلى سلاح موستين: ماذا يوجد لدينا أقوى من الإيه آر 15؟

- رشاش إم 230 بسلسلة على حامل متحرك.

- موستين، ماركوس، استعدّوا وراء هذا الرشاش.. اتصلا بالجميع..
بالفريق كله.

تساءل ماركوس: "وماذا ستفعل به؟" وهو يرفع ذقنه نحو إيثان.

- سنتوجه أنا وهو إلى وحدة المراقبة لألقي نظرة على ما لديه.

قال ماركوس رافعًا بندقيته: أمرنا بقتله..

خطأ آلان نحو ماركوس، وانغرزت ماسورة بندقية الأخير في عظام
قفص الأول الصدري.

- هل يمكنك ألا تصوب سلاحك نحوي يا بني؟

أنزل ماركوس بندقيته.

- بينما تحرص أنت وموستين على منع التهامنا جميعًا، سأنظر

إلى ما يقول المأمور إنه دليل يتعلق بما حدث لصديقتي.. وإذا

كان أقل بأي شكل مما أعلنه، سأعدمه فورًا. أهذا مناسب

لك؟

تيريزا

همست تيريزا: كدت تصل!

أنزل بنِ حذاء نحو موطنِ القدم التالي.

كانت الصيحات والصرخات من داخل مغارة الجوّالين ما زالت مسموعة. وكانت تلك الحافة الضيقة قد انتهت، وهما الآن يهبطان امتداداً صخرياً منحدرًا بزاوية خمسين درجة. حتى الآن، كانت وفرة مواضع القبض ومواطئ القدم في الجرانيت الصلب الممتاسك قد أنقذت حياتهما، لكن، لم يكن بمقدور تيريزا أن تتجاهل الهاوية بارتفاع مائتي قدم التي تنتظر أقل خطوة خاطئة. وحقيقة أن ابنها معها على هذا الجدار الصخري كادت تكون أكثر مما يمكنه أن تتحمّله.

لو وقع بنِ، ستقفز وراءه على الفور.

لكن حتى الآن، كان يصغي متبعًا تعليماتها، وهو يبلي بلاء حسنًا للغاية بالنسبة إلى فتى في الثانية عشرة من عمره.

نزل بن إلى الحافة التي كانت تيريزا تربض فيها طوال الدقائق القليلة الماضية. لم تكن تؤدي إلى أي مكان، لكن على الأقل كان بها ما يكفي من السطح بحيث لا يضطران إلى التثبيت - في يأسٍ - ببروز خشن.

كان ما زال أمامهما طريق طويل يقطعانه، لكنهما قطعاً شوطاً، وكانت قمم أشجار الصنوبر أدناهما بعشرين قدماً فقط.

انفجرت صرخة أخرى من النفق في الأعلى.

قالت تيريزا: لا تفكر في هذا.. لا تتخيل ما يمرُّون به، ركز فقط على موضعك يا بن، على القيام بتحركات ذكية آمنة.

قال: سيموت كل من في المغارة.

- بن..

- لو لم نجد الحافة...

- لكننا وجدناها. وبعد قليل سننزل من فوق هذا الجرف ونجد أباك.

سألها: هل أنت خائفة؟

- طبعاً.

- وأنا أيضاً.

مدت تيريزا يدها ولمست وجه ابنها. كان زلماً وبارداً من العرق ومتورداً من المجهود وبدايات الإصابة بضربة شمس.

سألها بن: هل تعتقدين أن بابا بخير؟

قالت: "أعتقد أنه بخير.. لكن عينيها امتلأتا بالدموع عند تذكر إيثان. "أبوك رجل قوي.. أأمل أن تعرف هذا."

أوماً بن برأسه، وألقى نظرة أسفل سطح الجرف إلى الظلمة
المرحبة لغابة الصنوبر الكثيفة.

قال: لا أريد أن نوكل..

- لن نوكل، نحن قويان أيضاً.. نحن عائلة من الأقوياء.

- لست من الأقوياء.

- عذراً؟

- أنت من القويّات.

دارت تيريزا بحدقتها في عينيها، وقالت: هيا يا عفريت.. من
الأفضل أن نتابع التحرك.

عند الأصيل نزلا من الصخر إلى أرضية الغابة الناعمة.

لبثا على الجرف ساعات، تحت حرارة نور الشمس المباشر. تقاطر
منهما العرق بينما أعينهما تعاود التأقلم في ظل الأشجار البارد.

تساءل بن: ماذا الآن؟

لم تكن تيريزا على ثقة مما يجب أن يفعلاه بالضبط. بحسب
تقديرها، كانا على مبعده ميل تقريباً من البلدة، لكنها لم تكن واثقة
إن كان التوجه إلى واوارد باينز هو آمن تصرف. يريد المنحرفون
الطعام. وسيبقون حيثما يكون الناس، أو على الأقل حيثما كانوا.
لكن من ناحية أخرى، لو نجحت هي وبن في الوصول إلى البلدة،
سيمكنهما الاختباء داخل أحد المنازل.. يغلقان على نفسيهما داخل
قبو. لو وجدهما المنحرفون في الغابة، لن يكون هناك مكان للاختباء.

كان الوقت يمضي بالفعل، وهي لا تروقها فكرة النوم هنا في الغابة، في الظلام.

قالت تيريزا: أعتقد أننا يجب أن نعود إلى البلدة.

- لكن المنحرفين هناك.

- أعرف مكانًا يمكننا الاختباء فيه، ومنتظر هناك حتى يصلح أبوك الأمر.

انطلقت تيريزا وسط الأشجار، وبن يتبعها كظلها.

تساءل: لماذا تسيرين ببطء هكذا؟

- لأننا لا نريد أن نطأ أي غصن، لا نريد أن نصدر أي صوت، لو أتى شيء في طريقنا، يجب أن نكون قادرين على سماعه قبلها بوقتٍ كافٍ كي نختبئ.

تابع سيرهما، وهما يشقان طريقهما الملتوي عبر الأشجار.

لم يسمعا أي صرخات أخرى، بشرية كانت أو منحرفة.

لا شيء غير خطواتهما في نصال الصنوبر، وزفيرهما الثقيل، ووشيش الريح وهي تندفع عبر قمم الشجر.

إيثان

تبع آلان عبر الأبواب الزجاجية. صعدا السلم إلى الطابق الثاني، وخرجا من فوق البسطة، وتوجَّها عبر الممر إلى المستوى الثاني. عندما اقتربا من وحدة المراقبة، أخرج آلان بطاقة مفاتيحية من جيبه.

ما إن دفعها في الفتحة عند الباب، حتى أضاءت نقطة حمراء أعلى مؤشر القراءة.

حاول آلان مرة أخرى، نفس النتيجة.

دقَّ على الباب بقوة.

- أنا آلان سير، افتح.

ولا من مجيب.

مكتبة
t.me/soramnqraa

تراجع آلان، وأطلق أربع رصاصات على جهاز قراءة البطاقات، ثم ركل -بحذائه- الباب في مركزه.

انفتح على مصراعيه.

دخل آلان أولاً.

كانت القاعة مظلمة، لا يضيئها إلا وهج صف الشاشات.

لا أحد عند وحدة التحكم.

انتظر إيثنان على العتبة، بينما اقترب آلان من الباب الداخلي.

جرَّب بطاقته المفتاحية مرة أخرى: ضوء أخضر.

انفتح الترباس.

صوّب آلان بندقيته داخل الحجرة الجانبية.

قال: لا أحد!

دخل إيثنان وسأله: هل يمكنك تشغيل هذا النظام؟

- يمكنني معرفة طريقة لتشغيل هذه الرقاقة، أعطها لي.

جلسا إلى وحدة التحكم.

عندما وضع آلان الرقاقة داخل فتحة جهاز، تطلَّع إيثنان إلى

الشاشات.

كانت كلها مظلمة ما عدا واحدة.

بتُّ من كاميرا يُظهر قبو المدرسة؛ حشد ضخم محشور في أحد الفصول. في قلب الحجرة، رقد الجرحى على أسرة مؤقتة بينما يعتني بهم جيرانهم، ويطبَّبون جراحهم. بحث عن كيت لكنه لم يستطع أن يجدها.

ظهرت صورة على شاشة أخرى.

لقطة طويلة عبر حقل؛ المتنزه بجوار النهر. أظهرت اللقطة رجلًا يعرج بجوار النهر.

قال إيثان: انظر يا آلان.

تطلع آلان.

بدأ الرجل على الشاشة يجري، بتلك الطريقة الخرقاء المتعثرة التي تليق بشخصٍ جريحٍ.

ظهر في المشهد ثلاثة منحرفين يركضون على الجانب الأيسر من الشاشة، بينما اختفى الرجل في اليمين.

بُعثت شاشة جديدة إلى الحياة؛ بتُّ يُظهر الشارع السادس، شارع إيثان. جرى الرجل خارجًا من المتنزه إلى الطريق، والمنحرفون في أثره، منتصبون، والأربعة جميعهم يقتربون أكثر وأكثر من الكاميرا.

أسقطوه أمام منزل إيثان، وقتلوه في الشارع.

أحس إيثان بموجة من الغثيان.. من الغضب.

قال آلان: تساءلتُ هذا الصباح إن كان هناك شيء ما يجري..

- وما الذي دعاك إلى هذا؟

- موستين، ذلك الحارس الذي كان معنا؟ إنه قناص. كل يوم، طوال اليوم، يجلس أعلى جبل يطل على البلدة والوادي الضيق، ويطلق النار على أي منحرفين يحاولون الدخول. رأيتُه في قاعة الطعام هذا الصباح عندما كان ينبغي له أن يكون في موقعه. قال إن بيلتشر استدعاه من فوق القمة، ومنحه راحة اليوم، بلا سببٍ، واليوم صحو أيضًا.

- حتى لا يرى موستين ما فعله زعيمه بكل هؤلاء الناس الأبرياء.

تساءل آلان: متى اخترقوا السور؟

- ليلة أمس. ألم يتم إبلاغك؟

- ولا كلمة.

توهجت شاشة أخرى.

تساءل إيثان: أهذا هو ملف رقاقة الذاكرة؟

- نعم، هل شاهدته من قبل؟

- نعم.

- و...؟

- لا يمكنك أن تمحوه من ذاكرتك بعد مشاهدته.

شغل آلان الملف.

من أعلى في ركن سقف ما، أطلقت كاميرا على داخل المشرحة. كان هناك بيلتشر وبام وأليسا. قُيدت الشابة بقيود جلدية سميكة إلى طاولة التشريح.

تساءل آلان: لا يوجد صوت؟

- هذا حسن.

كانت أليسا تصرخ، ورأسها مرفوع عن الطاولة، وكل عضلة فيها مشدودة.

ظهرت بام، وأمسكت بحفنة من شعر أليسا، وضربت رأسها في الطاولة المعدنية بشدة.

عندما دخل ديفيد بيلتشر في الكادر، ووضع سكينًا صغيرًا على سطح الطاولة المعدنية وصعد فوق أليسا؛ أشاح إيثان بنظره بعيدًا.

لقد رأى هذا مرة من قبل، ولم يكن في حاجة إلى ترسيخه داخل عقله أكثر من ذلك.

قال آلان: يا إلهي!

أوقف الفيديو، ودفَع مقعده إلى الوراء، ونهض.

سأله إيثان: إلى أين أنت ذاهب؟

قال وهو يتحرك نحو الباب: إلى أين في رأيك؟

- انتظر.

- ماذا؟

التفت إليه آلان. لن تعرف ما شاهده للتو من النظر إلى وجهه. هذا الجليد النوردي محايد كأنه سماء شتوية.

قال إيثان: يحتاج إليك الناس في البلدة الآن..

- سأقتله أولاً لو سمحت.

- أنت لا تفكر.

- ابنته!

قال إيثان: لقد فعلها وانتهى، لكن لديه معلومات سنحتاج إليها. اذهب واحشد رجالك، أرسل فريقاً لإغلاق البوابة وإعادة الكهرباء إلى السور، سأذهب إلى بيلتشر.

- يجب أن تفعل ذلك.

نهض إيثان: حقاً.

أخرج آلان بطاقته المفتاحية من جيبيه، وألقى بها على الأرض وقال: ستحتاج إلى هذه.

سقط مفتاح بجوار البطاقة.

- وهذا أيضًا.. مفتاح المصعد. وبينما نحن في غمار هذا..."
جذب مسدس جلوك صغير الحجم من جراب معلق بكتفه،
وأمسكه من ماسورته، وقدمه لإيثان. عندما تناوله إيثان،
قال آلان: لو رأيتك في المرة القادمة، واعترفت بأنك في حمية
اللحظة وضعت طلقة في أحشاء قطعة الخراء ذاك، وشاهدته
وهو ينزف دمائه ببطء، سأنفهم تمامًا.

- أنا آسف بشأن أليسا.

غادر آلان القاعة.

انحنى إيثان، والتقط المفتاح والبطاقة البلاستيكية من فوق البلاط.
كان الممر خاليًا.

في منتصف السلم، سمعها.

ضجة يعرفها جيدًا من الفترة التي قضاها في الحرب.

كانوا يطلقون الرشاش الآلي، وبدا كأن الموت يجلس وراء آلة الدرامز
ويقرع طبولها.

قبل أن يصل إلى المستوى الأول، كانت الضجة هائلة. الناس
يغادرون أماكن عملهم ومقار سُكناهم.

عند البابين غير المميزين، دفع البطاقة في جهاز القراءة.
انفتح البابان.

خطا إلى داخل كابينة مصعد صغيرة، ودفع المفتاح داخل القفل
في لوحة التحكم، وأداره.

بدأ الزر الوحيد يومض.

ضغطه، وانغلق البابان، وبدأت ضجة الرشاش في التلاشي تدريجيًا.

أخذ نفسًا عميقًا وفكر في أسرته، وخوفه عليها يزهر في معدته مثل وردة من زجاج مكسور.

انفتح البابان.

خطا إلى جناح بيلتشر.

مرّ بالمطبخ، وسمع طشيش طهي اللحم. رائحة ثوم وبصل وزيت زيتون تعطر الهواء، الطاهي تيم يعمل غافلاً، بينما المنحرفون يقومون باجتياح المكان، يُعدُّ -باهتمامٍ- إفطار بيلتشر، مضيئاً قطرات دقيقة من صلصة حمراء زاهية من كيس معجنات على طبق صيني. وبينما كان إيثان يقطع الردهة نحو مكتب بيلتشر، راجع حشو المسدس الجلوك الذي أعطاه له آلان، سعيداً برؤية رصاصة موجودة بالفعل في الماسورة.

فتح باب مكتب بيلتشر دون أن يكلف نفسه عناء الطرُق، وخطا إلى الداخل.

جلس بيلتشر على إحدى الأرائك الجلدية التي تواجه جدار الشاشات، وقدماه مرفوعتان على طاولة قهوة من خشب السنط، ممسكاً في يدٍ بجهاز تحكم عن بُعد، وفي اليد الأخرى بزجاجة بها سائل بُني قديم.

أظهر الجانب الأيسر من الجدار لقطات مبنوثة من وايبورد باينز.

أما الأيمن؛ مراقبة من داخل المجمع.

مضى إيثان إلى الأريكة، وجلس بجواره. كان بمقدوره أن يكسر عنق بيلتشر، يضربه حتى الموت، يخنقه. الشيء الوحيد الذي يمنعه في الحقيقة هو الشعور بأن موت هذا الرجل يرجع في الأغلب إلى أهل وايبورد باينز. لا يمكنه أن يسرق هذا الحق منهم، ليس بعد كل ما جعلهم بيلتشر يمرون به.

التفت بيلتشر إليه، وعلى وجهه خطوط من آثار خدوش عميقة
ما زالت تنزُّ دَمًا.

تساءل إيثان: من تعارك معك؟

- كان يجب أن أودع تيد هذا الصباح.

وقف شعر إيثان.

فاح بيلتشر برائحة الخمر. كان يرتدي روبًا من الساتان الأسود،
وبدا أشعث كأنه خارج من الجحيم، بينما يقدم الزجاجاة لإيثان.

- لا.. شكرًا.

على إحدى الشاشات، رأى إيثان وميض فوهة الرشاش الآلي المبهر
وهو يحصد المنحرفين في النفق.

على شاشة أخرى؛ المنحرفون في الشارع الرئيسي، يتغذون -بتكاسلٍ-
على قتلى الليلة الماضية، وقد برزت بطونهم.

قال بيلتشر: يا لها من نهاية لكل شيء..

- لا شيء ينتهي إلّاك.

قال بيلتشر: أنا لا ألومك..

- تلومني؟ علامًا؟

- على حسدك.

- وما الذي تعتقد بالضبط أني أحسده؟

- أنا بالطبع، الشعور الذي يمنحه الجلوس وراء هذا المكتب. أن
تقوم... بخلق كل هذا.

- أعتقد أن هذا كل ما في الأمر؟ أني أريد منصبك؟

- أعلم أنك تعتقد في داخلك أن الأمر يتعلق بمنح الناس الحرية والحقيقة، لكن الحقيقة، يا إيثان أنه لا يوجد شيء في هذا العالم مثل السلطة، سلطة أن تقتل.. وأن ترحم.

أشار إلى الشاشات وتابع: "أن تتحكم في الأرواح، أن تجعلها في حال أفضل، أو أسوأ. لو كان هناك إله أصلاً فأعتقد أنني أعلم كيف يشعر بالتأكيد. والناس يطلبون إجابات لا يمكنهم التعامل معها أبداً. الناس يكرهونه حتى وهم ينعمون بالأمن الذي أمدهم به. أعتقد أنني أفهم أخيراً لماذا رحل الرب، وترك العالم يدمر نفسه." وابتسم بيلتشر، ثم أكمل: "وستفعل ذلك أيضاً ذات يوم يا إيثان. بعد أن تجلس خلف ذلك المكتب لفترة. ستفهم أن الناس في ذلك الوادي ليسوا مثلك ومثلي، لا يمكنهم التعامل مع ما أخبرتهم به ليلة أمس.. سترى."

- ربما، وربما لا. في الحالتين هم يستحقون أن يعرفوا الحقيقة.

- لا أقول إن الأمر كان مثاليًا. أو حتى عادلاً. لكن قبل أن تأتي يا إيثان، كان يسير بطريقة جيدة. حيث هؤلاء الناس وعاشوا حياة هي الأقرب إلى الحياة الطبيعية التي يمكنهم أن يطمحوا إليها أصلاً. منحتهم بلدة جميلة وفرصة الإيمان بأن كل شيء كما ينبغي له أن يكون.

شرب بيلتشر من الزجاجاة مباشرة.

- خطوك القاتل يا إيثان أنك واقع تحت تأثير الانطباع الخاطئ بأن الناس يشبهونك، أن لديهم شجاعتك، وجسارتك، وإرادتك. أنا وأنت استثناءان، مقصودان من نفس القماشة. حتى أتباعي في الجبل يتصارعون مع الخوف. لكن أنا وأنت لسنا كذلك، نحن نعرف الحقيقة، ولا نخشى النظر إليها في عينيها. الفارق الوحيد أنني مدرك لهذه الحقيقة، وهي شيء ستتعلمه ببطء وبألم، وبتكلفة كبيرة من الحياة البشرية. لكنك ستتذكر

هذه المحادثة ذات يوم يا إيثان؛ ستفهم لماذا فعلت ما فعلته.

- لن أفهم أبدًا لماذا قطعت الكهرباء عن السور، لماذا قتلت ابنتك.

- احكم لفترة كافية، وستعرف.

- أنا لا أخطط للحكم.

ضحك بيلتشر: لا؟ ماذا تعتقد أن لديك هنا؟ صخرة بليموث؟⁽¹⁾ هل ستكتب دستورًا؟ تبدأ ديمقراطية؟ العالم وراء السور قاسٍ للغاية، عدائي للغاية. هذه البلدة في حاجة إلى رجل قوي واحد يحكمها.

- لماذا قطعت الكهرباء عن السور يا ديفيد؟

رشف الرجل العجوز من زجاجة الويسكي.

- من دوني، سيكون هذا عالمًا خاليًا من نوعنا البشري، نحن هنا بسببي أنا فقط، بسبب مالي، بسبب عبقريتي، بسبب رؤيتي، لقد أعطيتهم كل شيء.

- لماذا فعلت ذلك؟

- يمكنك أن تقول أيضًا إني خلقتهم، وأنت كذلك. ولديك الجرأة كي تسأل...

- لماذا؟

اشتعلت عينا بيلتشر فجأة بغضب مجنون.

- أين كانوا عندما اكتشفت أن الجينوم البشري يتعرض للفساد؟ أن البشرية ستنقرض في غضون أجيال؟ عندما بنيت ألف وحدة

(1) قطعة من حجر الجرانيت الصلد يقال إن الآباء المؤسسين لأمريكا خطوا عليها عام 1620 ليؤسسوا مستعمرة نيوبليموث؛ أول مستوطنة أوروبية دائمة في نيو إنجلاند. (المترجم)

حياة مرجأة؟ عندما حفرت نفقًا إلى قلب جبل وملأت فُلقًا
اتساعه خمسة مليون قدم مربع بالإمدادات الكافية لإعادة
بناء البلدة الأخيرة على وجه الأرض؟ وبالمناسبة يا إيثان: أين
كنت أنت بحق اللعنة؟

ارتجّ جسد بيلتشر كله من الغضب.

- هل كنتَ موجودًا يوم خرجتُ من حالة الإرجاء، وأخذت
فريقي إلى الخارج لأجد المنحرفين قد استولوا على العالم؟ هل
كنتَ موجودًا وأنا أسير في الشارع الرئيسي مشاهدًا عمالي
يشيدون هيكل كل بناية؟ يهدون كل طريق؟ في الصباح الذي
استدعيتُ فيه رئيس وحدة الإرجاء إلى هذا المكتب وأمرته
بإيقاظك كي تكون مع زوجتك وابنك مرة أخرى؟ لقد منحتك
هذه الحياة يا إيثان، أنت وكل من في الوادي، كل من في هذا
الجبل.

- لماذا؟

قال مزمرًا: لأني استطعت، لأني خالقهم اللعين، والخلائق ليس لها
أن تسائل من خلقها. من منحها القدرة على التنفس، ومن يستطيع
-في أي لحظة- أن ينتزعها منهم.

تطلع إيثان إلى الشاشات. أظهرت حالة من الفوضى في المغارة.
فرغ الرشاش الآلي وكان الحراس يتراجعون ببنادقهم بينما الوحوش
يتقدمون.

قال بيلتشر بهدوء: لم أكن مضطرًا حتى لتركك تصعد إلى هنا، كان
يمكنني أن أوصد المصعد، ماذا ستفعل بي؟

- هذا قرار الناس الذين حاولتَ قتلهم.

غامت عينا بيلتشر.

كأنه -للحظة عابرة- رأى نفسه بوضوح.

نظر وراءه إلى مكتبه.

إلى صف الشاشات.

صار صوته أجش من أثر ما انتابه من عاطفة.

قال: "غاب هذا عني.." ثم رمش، وعادت صلابة ما إلى تلكما العينين السوداوين الصغيرتين، مثل ماء يكتسي بالجليد.

هجم بيلتشر على إيثنان بسكين قتال قصير النصل، بطعنة مفاجئة مندفعة وموجهة مباشرةً إلى أحشاء إيثنان.

لوى إيثنان رسغ بيلتشر، ولم يحتك النصل إلا بجنبه.

نهض واقفًا، وهوى بخطافية يسارية وحشية أدارت رأس بيلتشر وشرخت عظم وجنته، ودفعته قوة الضربة من فوق الأريكة، لترتطم رأسه بحافة طاولة القهوة.

ارتعش بيلتشر بعدما تمدد على ظهره، وانفلت السكين من قبضته، مجلجلاً على أرضية الخشب الصلب.

القسم السابع

هاسلر

مقر جهاز الخدمة السرية

سياتل، واشنطن

منذ 1814 عام

يدخل هاسلر مكتبه في زاوية مبنى كولومبيا سنتر، سعيداً برؤية إيثان جالساً بالفعل أمام مكتبه. على ساعته، تأخر خمس دقائق. لعل بيرك وصل مبكراً عن الموعد خمس دقائق، وهو ما يعني أنه منتظر منذ عشر دقائق على الأقل.
حلو.

يقول هاسلر وهو سائر ماراً بعميله: آسف على إبقائك منتظراً..

- ليست مشكلة.

- أتخيل أنك تتساءل لماذا استدعيتك فجأة من تلك المهمة في إيفريت.

- نحن قريبون من القبض على المتهمين.

- هذا خبر جيد، لكن لديّ شيء أكثر إلحاحًا بالنسبة إليك.

يجلس هاسلر، ويتفحص إثبان من وراء المكتب. هو لا يرتدي بدلته الرسمية السوداء وقميصه الأبيض اليوم. زي المراقبة الخاص به عبارة عن أفرول رمادي، ما زالت كتفاه رطبتين من رذاذ الصباح. يمكنه فقط أن يرى على جانب إثبان الأيسر الخطوط العامة لجراب كتفه المخفي.

يخطر ببال هاسلر أنه ما زال في مقدوره أن يمنع هذا. هو لم يرتكب جريمة، إلى أن تغادر الكلمات فمه.

في سنوات عمله منفذًا للقانون ومحققًا مع المجرمين، لطالما سمع عن الخط الغائم بين الحق والباطل. هم لا يسرقون إلا من أجل عائلاتهم، لم ينتووا أن يفعلوها إلا مرة واحدة، وعذرهم المفضل لديه: هم لم يدركوا حتى إنهم تجاوزوا الخط إلا بعد أن توغلوا في أرض العدو على الجانب الآخر، ولم يعد لديهم أمل في العودة أصلًا.

لكن بينما يجلس هاسلر على هذه الجهة من المكتب، يبدو كل ذلك التأمل حول الطبيعة الغامضة للحق والباطل هراءً.

هو يرى اختياره بوضوح تامّ.

لو أرسل إثبان في هذه المهمة، فقد عبر الخط إلى الأبد.

لا مجال للعودة.

أما لو نبذ هذا المشروع بأكمله، وترك إثبان يعود إلى قضيته في إيفريت؛ سيبقى رجلًا صالحًا كاد يفعل شيئًا سيئًا جدًا.

لا شيء محير هنا، لا توجد منطقة رمادية من منظوره.

يقول إيثان: سيدي؟

تمر تيريزا في خيال هاسلر، منذ عامين أو ثلاثة في رحلة فريق العمل الخلوية. يتذكر إيثان وهو يغازل كيت بينما زوجته تبكي وحدها على شاطئ بحيرة يونيون.

ثبتت صحة مخاوف تيريزا بشأن كيت وإيثان عندما قدمت كيت في العام الماضي طلب نقل مفاجئًا إلى بويسي بولاية آيداهو. لقد قام إيثان بخيانة تيريزا مع زميلته، وعرف الكل بذلك. أذل زوجته، وامرأة مثل تيريزا تستحق ما هو أفضل من ذلك بكثير.

يقول إيثان: آدم؟

يطلق هاسلر زفيرًا، بينما المطر يدق على النافذة خلفه.

يقول: كيت هيوسون مفقودة.

يميل إيثان إلى الأمام في مقعده: منذ متى؟

- أربعة أيام.

- فقدت في أثناء العمل؟

- زميلها مفقود أيضًا. شخص اسمه إيفانز. كانت لديك أنت وكيت... علاقة خاصة، صحيح؟

لا ينطق إيثان بكلمة، يحدق فقط في حدة.

- طيب، تصورت فقط أنك قد تريد تولي مهمة البحث عن زميلتك القديمة.

ينهض إيثان.

يقول هاسلر: مكتب بويسي سيرسل بالبريد الإلكتروني ملف القضية، سنحجز لك رحلة طيران من مطار سيتاك في أسرع وقت. غدًا في الصباح ستلتقي مع العميل ستولينجز في مكتب بويسي الميداني وستتوجهان معًا شمالًا إلى آخر مكان سمع فيه أي مخلوق شيئًا عن كيت.

- وأين هذا؟

- بلدة صغيرة اسمها وايوارد باينز.

يراقب هاسلر عميله إيثان وهو ينصرف.

لقد فعلها.

أطلق صافرة السباق.

والغريب أنه لا يشعر بأي فرق، لا ندم، ولا خوف، ولا قلق.

لو أن هناك شعورًا واحدًا مهمينًا؛ فهو الارتياح.

يدور حول نفسه في مقعده، ويحرق من النافذة إلى العتمة الرمادية المطيرة لوسط مدينة سياتل، وقطرات المطر تتجمع وتسيل على الزجاج.

من مكتبه في الطابق الواحد والثلاثين، يمكنه أن يرى المبنى الذي تعمل فيه تيريزا مساعدة قانونية. يتخيلها جالسة في مكتبها المكعب البائس، تنقر ما يُملونه عليها.

لا يعرف كيف بالتحديد، لكنه سينالها يومًا ما، سيحبها كما تستحق أن تُحب، بطريقة ما - وهذا هو اللغز الأكبر في وجوده بأكمله - صارت تيريزا هي الشيء الوحيد المهم في عالمه.

يفتح هاتفه الخلوي ذا الخط المدفوع مسبقًا ويتصل.

يرد ديفيد بيلتشر: آلو؟

يقول هاسلر: إنه أنا..

- كنت قد بدأت أتساءل إن كنت سأسمع شيئاً منك أصلاً.

- هو قادم إليك غداً.

- سنكون مستعدين.

يغلق هاسلر الهاتف، ويُخرج البطارية، ويكسر الهاتف نصفين. يضع القطعتين في العلبة الفوم التي تضم بقايا غداء الأمس، ويلقي بها في قاع سلة مهملاته.

تيريزا

وصلت تيريزا وبن إلى حافة الغابة، بينما الشمس تغوص وراء
الذرى البعيدة.

همست لابنها: انتظر هنا.

تابعت تيريزا تحركها زاحفة عبر غيضة من شجيرات البلوط،
والأوراق الميتة تنسحق في ضجة بالغة تحت ركبتها.

حيث انتهت شجيرات البلوط، أطلت من بين الأغصان.

كانا قد وصلا إلى ضواحي وايوارد باينز لكنهما -بطريقة ما- اجتازا
الغابة بأكملها إلى الناحية الشمالية من البلدة. بدت الشوارع التي
استطاعت تيريزا رؤيتها فارغة.. المنازل مظلمة، ولا همهمة يمكن
سماعها.

ألقت نظرة وراءها إلى بن، وأشارت إليه كي يلحق بها.

زحف في ضجة عبر الأوراق، وجلس القرفصاء إلى جوارها.
وضعت فمها على أذنه وهمست: علينا أن نقطع عشرة مربعات
سكنية.

- إلى أين سنذهب؟

- قسم المأمور.

- سيراً أم عدواً؟

همست تيريزا: عدواً. لكن التقط بضعة أنفاس أولاً، املاً هاتين
الرئتين بالهواء.

جذب الاثنان جرعات عميقة من الأكسجين.

سألته: مستعد؟

- مستعد.

زحفت تيريزا خارجة من الدغل، ونهضت على قدميها، ثم التفتت
وساعدت بن على النهوض. وقفوا في الفناء الخلفي لمنزل فيكتوري
تعرفت عليه فوراً - لقد باعت هذا المنزل إلى زوجين شابين متطلعين
إلى الحياة منذ ثلاثة أشهر، بعد أن كوفئ سلوكهما الجيد في البلدة
بترقية إلى بيت أكبر وأجمل.

تُرى ماذا كان مصيرهما خلال تلك الساعات الأربع والعشرين
الماضية من الجحيم؟

أغلب الأفنية الأمامية في وايوارد باينز مطوقة بسيارات خشبية
بيضاء، لذا هرولت هي وبن على الممشى الجانبي.

كان الظلام يحل على الوادي.

لظالما بدا أن الليل يخيم بسرعة بالغة بعض الشيء ما إن تختفي الشمس خلف الجبال، وباعتبار أنه لا توجد كهرباء في الوادي كله، سيكون هذا مساءً معتمًا.

اقتربا من أول جثة في الشارع.

التفتت تيريزا إلى بن، وقالت: لا تنظر يا حبيبي.

لكنها لم تتبع نصيحتها هي نفسها.

الجانب الإيجابي في الأمر أن أحشاء الجثة منتزعة تمامًا إلى درجة أنها بدت أقرب إلى كومة من الأحشاء والعظام منها إلى كائن بشري. وقف صقر باز على القفص الصدري يُتخم حوصلته منها.

وصلا تقاطع الجادة الأولى والشارع الحادي عشر.

كان بمقدور تيريزا أن ترى -من بعيد- أشجار الصنوبر السامقة التي ترتفع من المرحج الأمامي لمكتب المأمور.

قالت: كدنا نصل.. أمامنا مربع سكني ونصف.

- أنا متعب.

- وأنا أيضًا، لكن دعنا ننهي المشوار بقوة.

عند تقاطع الجادة الأولى والشارع الثالث عشر، همس بن: ماما!

- ماذا؟

- انظري!

التفتت تيريزا وراءها.

على مبعدة ثلاثة مربعات سكنية في الشارع الثالث عشر، كانت ثلاثة هياكل شاحبة تجري على أربع في اتجاههما.

صرخت تيريزا: اجر!

ركضا، موجة من الأدرينالين تدفع فيهما الطاقة والسرعة. قفزت فوق حاجز الرصيف وأسرعت عبر العشب المقلّم نحو مدخل مكتب المأمور.

ما إن دخلا، حتى توقفت تيريزا، ونظرت وراءها عبر الأبواب الزجاجية نحو الشارع.

تساءل بن: هل رأونا ونحن ندخل إلى هنا؟

وصل المنحرف الأول إلى التقاطع بكامل سرعته، ودون أن يتردد غير مساره، وصار الآن متوجهاً رأساً إلى مكتب المأمور.

استدارت تيريزا، وانطلقت عبر البهو صائحة: هيا!

كلما ابتعدا عن المدخل أكثر، كلما زادت العتمة.

عبرا العتبة، وانعطفت تيريزا وراء الزاوية إلى مكتب إيثان، ورأت خزانة السلاح مفتوحة على مصراعيتها، وقد انسكبت الذخيرة على الأرض، وتُركت عدة بنادق على المكتب.

كانت خزانات السلاح السفلية مفتوحة أيضاً.

بحثت داخلها، وأخرجت مسدساً كبيراً، صوبته نحو الجدار، وضغطت الزناد؛ لم يحدث شيء. كان صمام الأمان مغلقاً أو لم يكن المسدس محشوّاً أو كلا الأمرين.

- بسرعة يا ماما!

أخرجت مسدساً بساقية دوّارة من الخزانة لكنه كان فارغاً، ولم تكن تعرف حتى كيف تفتح الأسطوانة لتحشوه بافتراض أنها يمكن حتى أن تميز الذخيرة المناسبة له. من مكانها حيث جثت بجوار خزانة السلاح، كان هناك ما لا يقل عن نصف دسنة من الأحجام المختلفة للخراطيش متناثرة على البلاط أسفل قدميها.

تساءل بن: ماما، ماذا تفعلين؟

لن يفلح هذا. لا وقت لديهما، ورغم أنها متزوجة من عميل خدمة سرية، فإنها لا تعرف أبسط الأشياء عن الأسلحة النارية.

قالت: خطة جديدة..

- ماذا؟

فتحت مكتب إيثنان بقوة. في أسبوعه الأول في هذه الوظيفة، قادها إيثنان في جولة داخل هذا المكان، تضمنت حبسها في الزنزانة الوحيدة وهو يؤرجح المفتاح على إصبعه من حلقتة المعلق بها، وهو يبتسم ابتسامة عريضة ويمط كلامه قائلاً: إذا لم يكن في مقدورك التفكير في طريقة ما لرشوة المأمور، يبدو أنك ستقضي ليلة في الحبس يا مسز بيرك.

لقد رأته يعيد ذلك المفتاح إلى درج مكتبه الأوسط، وها هي الآن تمد يدها إلى عمق الدرج، وأصابعها تبحث في لهفة. ها هو.

أحسّت بالحلقة، وأخرجت المفتاح، واندفعت من وراء المكتب إلى بن.

تساءل: ماذا سنفعل؟

- اتبعني فقط.

انطلقا عائدين عبر الردهة.

صرخ منحرف في الخارج.

- إنهم هنا يا ماما!

عندما عبرا قاعة الاستقبال، ألقت تيريزا نظرة نحو المدخل، ورأت زوجًا من المنحرفين يركضان في الممشى الذي اصطفت على جانبيه أشجار صنوبر صغيرة، على مبعده ثوانٍ من الدخول.

صاحت: أسرع يا بن!

انعطفا في ردهة أخرى مظلمة.

في نهايتها رأت تيريزا القضبان السوداء لزنزانة واوارد باينز الوحيدة.

أول مرة رأتها فيها، ذكَّرتها بتلك الزنازين في مسلسل آندي جريفيث شو⁽¹⁾. ثمّة شيء يكاد يكون ظريفًا في هذه القضبان العمودية. السرير المفرد والمكتب بالداخل. ذلك النوع من الأماكن التي يحجز فيها سكارى ليلة السبت مكانًا دائمًا.

بدت الزنزانة الآن أشبه بقارب نجاه.

اتسعت الردهة في نهايتها، وسقط ضوء المساء الواهي مائلًا عبر نافذة عالية.

اندفعت تيريزا نحو قضبان الزنزانة بقوة عندما حطم المنحرفون الأبواب الزجاجية في اندفاعهم إلى داخل القسم.

قبضت على المفتاح، وأعملته في القفل.

دقَّت المخالب الطويلة على أرضية الردهة المظلمة خلفهما.

صاح أحد المنحرفين.

دار لسان القفل.

فتحت تيريزا الباب وصرخت: ادخل!

(1) مسلسل تلفزيوني كوميدي أمريكي بثته شبكة سي بي إس في الفترة من 3 أكتوبر 1960 إلى 1 أبريل 1968، بإجمالي 249 حلقة، مدتها نصف ساعة تمتد على ثمانية مواسم. (المترجم)

اندفع بن إلى داخل الزنزانة في اللحظة التي انطلق فيها أول منحرف قادمًا من الممر.

دخلت تيريزا، وأوصدت الباب في عنف، وأغلقتة بالمفتاح قبل نصف ثانية من ارتطام المنحرف بالقضبان.
صرخ بن.

عندما نهض المنحرف الأول من فوق البلاط، كان زميله يزحف قادمًا من الردهة.

تلك كانت المرة الأولى التي ترى فيها تيريزا منحرفًا من هذا القرب.

كان المنحرف الذي ارتطم بالزنزانة ضخماً ومغطى بالدماء الجافة.
فاح الموت من جلده المنقوع في الدماء.

التصق ظهر بن بالحائط، واتسعت عيناه، وتكوّنت بركة من الماء تحت قدميه.

سألها: هل يمكنهم النيل منا هنا؟

- لا أعتقد هذا.

- متأكدة؟

- لا.

عندما اصطدم المنحرف الثاني بالقضبان، ارتجّت الزنزانة كلها.

أحاطت تيريزا ابنها بذراعيها عندما وقف المنحرف الأول بكامل طوله البالغ خمسة أقدام ونصف.

أمال رأسه وراقبهما من بين القضبان، بعينين حليبيتين تطرفان وتستوعبان وتحلان المشكلة.

همست تيريزا: ما هذا الشيء الذي يتحرك داخل صدره؟

- إنه قلبه يا ماما.

- كيف لك أن...

آه صحيح. لقد تعلم عنهم في المدرسة.

نبض القلب بسرعة، غائماً ومشوشاً عبر طبقات الجلد، كأن تيريزا تشاهده من وراء عدة بوصات من الجليد.

ساقاً هذا المنحرف قصيرتان، وعندما وقف منتصباً، بلغت ذراعه البلاط. دفع ذراعه اليمنى ما بين القضبان - ذراع نحيلة لكنها مفتولة العضلات. طولها أكثر من أربعة أقدام، وشاهدت تيريزا في رعب تلك المخالب الطويلة السوداء وهي تمتد عبر بلاط الزنزانة.

صرخت: ابتعد عن هنا!

جاء المنحرف الآخر من الجهة الأخرى إلى باب الزنزانة، وفعل مثل الأول. كان طول ذراعه خمسة أقدام، وعندما احتك أحد مخالبه بحذاء بن، داست تيريزا بقوة على برثنه.

زأر المنحرف.

جذبت تيريزا ابنها نحو الركن في أبعد نقطة عن القضبان، حيث صعدا فوق هيكل السريير المعدني.

- هل سنموت يا ماما؟

- لا.

ظهر ثلاثة منحرفين جدد من الممر، واندفعوا نحو الزنزانة، مطلقين الصراخ والفحيح. كان هناك المزيد منهم خلفهم، وتعالى الضجة في الحجرة وتنامت.

سرعان ما صار هناك خمس عشرة ذراعًا ممتدة عبر القضبان، وألقى مزيد من المنحرفين أنفسهم نحو الزنزانة.

غاصت تيريزا هابطة على الحشية العارية وضمت بن بقوة في أحضانها.

كان الضوء القادم من النافذة قد تغير من اللون الأزرق إلى الأرجواني، وازدادت الحجرة عتمة باطراد.

وضعت شفيتها على أذن بن، وقالت بصوت أعلى من ضجة الوحوش: فكّر في مكان آخر، في زمن آخر.

ارتعد بن بين ذراعيها، وما زال مزيد من المنحرفين يتدفقون نحو الحجرة.

تطلعت تيريزا محدقة إلى تلك النافذة العالية بينما يرجّ المنحرفون القضبان ويرتطمون بها ويمدون أذرعهم الطويلة البشعة داخل الزنزانة.

آخر ما رآته بينما يتلاشى الضوء كان الردهة وراء القضبان محشورة من الحائط إلى الحائط بالمنحرفين، وقد ركع أحدهم أمام القفل، محاولاً أن يدخل مخلبه في ثقب الباب.

فجأة لم يعد هناك شيء تراه، هبط الليل على وايبورد باينز.

وصارا في الظلام مع الوحوش.

إيثان

استقل إيثان المصعد من جناح بيلتشر إلى ممر المستوى الأول. عندما انفتح المصعد، كان ما زال في مقدوره سماع صوت الطلقات، لكنها صارت بعيدة الآن.

توجه نحو الأبواب الزجاجية عند نهاية الرواق، وجذب المسدس الذي أعطاه إياه آلان عندما عبر فوق العتبة إلى الفُلك.

بدا كأن أغلبية أفراد الحلقة الداخلية التابعين لبيلتشر قد هبطوا ليروا مصدر كل هذه الضجة، على الأقل مئة شخص يدور بعضهم حول بعض حائرين ومذعورين.

كان صوت الطلقات أعلى هنا، حيث يأتي الدويُّ من مكان ما في عمق النفق الممتد عبر الجبل إلى واوارد باينز.

تناثرت جثث المنحرفين في كل مكان.

أكوام منهم في النفق.

أربعون أو خمسون في المغارة.
الدماء تجري في قنوات على الحجر.
رقدت خمس جثث، مغطاة بملاءات، في صفٍّ قرب مدخل قاعة الإرجاء.
كانت رائحة الذخيرة الفارغة طاغية.
جاء آلان يجري خارجًا من النفق.
اندفع إيثنان نحوه عبر الزحام، ورأى وجه آلان مبقعًا بالدم، وذراعه
اليمنى مشقوقة مما حدس إيثنان أنها ضربة مخلب.
تعالى صوت بندقية إيه آر 15 آلية في النفق.
تبعته صرخة.

قال آلان: أجبرناهم على التراجع، لكن لا بد أن هناك مائتين منهم.
فقدتُ رجالًا. نفذت ذخيرة الرشاش إم230. لو لم يكن لدينا الرشاش
الدوّار، لكان الموقف أسوأ من هذا بكثير. أين بيلتشر؟
- فاقد الوعي ومقيد في مكتبه.
- سأرسل أحدهم إليه.

تقطع جهاز اللاسلكي الخاص بآلان الذي أجابه: آلان. حوّل.
جاء صوت موسيتين متقطعًا عبر السماعة، صائحًا بصوتٍ أعلى
من ضرب النار: أخرجنا آخر مجموعة منهم من النفق، لكن الباب
محطم! حوّل.
قال آلان: أرسلت إليك بالفعل شاحنة بها ألواح من الفولاذ
المبطن، وفريقًا من الحدادين به ثلاثة رجال؛ سيلحمون الباب
ويسدونه، حوّل.

- عُلّم، سنبقى على وضعنا! انتهى!
قال إيثنان: لا يمكنك أن تسد ذلك المخرج، يجب أن نصل إلى الناس
في الوادي، زوجتي وابني هناك.

- سنفعل، لكن يجب أن نلم شتاتنا، ونعيد تعبئة قوانا. فقدتُ
ثمانية رجال على حد علمي. إذا كنا سنخرج بكامل قوانا
إلى وايوارد باينز، من الأفضل أن نأخذ كل قطعة سلاح باقية
في ترسانتنا. علينا أن نجد مزيدًا من الذخيرة من أجل هذا
الرشاش الدوّار.

وغامت عيناه وهو يقول: ولا نستطيع أن نخرج إلى هناك في الليل.

- ماذا تقول؟

- لقد حلّ المساء بالفعل، ستظلم قبل وقت طويل من
استعدادنا للذهاب، سنتوجه إلى البلدة مع أول ضوء.

- غدًا؟

- لسنا مجهزين لخوض معارك في الليل.

- وهل تعتقد أن الناس العُرّل في ذلك الوادي مجهزون؟ أعتقد
أن زوجتي وابني...

- سنُذبح في الظلام، وأنت تعرف هذا. كل ما سيحدث أننا
سنفقد الفرصة الوحيدة لدينا في إنقاذ هؤلاء الناس.

- اللعنة!

- هل تعتقد أنني لا أريد أن أندفع إلى البلدة الآن وأشعلها رصاصًا
بينادقنا؟

تحرك إيثنان نحو النفق.

ناداه آلان: إلى أين تظن أنك ذاهب؟

- لأجد أسرتي.

- لو خرجت إلى هناك في الليل، لن يحدث شيء إلا أنك ستؤكل،
توجد مئات من هذه الأشياء هناك.

بعد خطوتين داخل النفق، توقّف إيثنان.

قال آلان: أستطيع أن أتخيل تمامًا كيف تشعر. لو كانت أسرتي هي الموجودة هناك، لم تكن لتستطيع منعي من الذهاب. لكنك أذكي مني يا إيثنان، وأنت تفهم بالتأكيد أن موتك الليلة في مهمة انتحارية لن ينقذ أسرتك أو أسرة أي شخص آخر.

اللعنة.

كان محقًا.

التفت إيثنان، وأطلق تنهيدة قاسية محبطة.

قال: إذن على سكان وايوارد باينز أن يقضوا ليلة أخرى في الظلام، في البرد، بلا طعام ولا ماء، يشاركون هذا الوادي مع قطيع من المنحرفين.

سار آلان نحوه.

كان في مقدور إيثنان أن يسمع بعيدًا في عمق النفق مزيدًا من الطلقات. قال آلان: الأمل أن يكون من نجوا من الاجتياح الأول قد وجدوا أماكن آمنة يختبئون فيها. أين أسرتك؟

- تركتهما في مغارة خلف باب موصل في قلب جبل.

- إذن هما آمنان.

- لا سبيل لديّ لمعرفة ذلك. هناك مجموعة في المدرسة، في القبو، ثمانون أو تسعون شخصًا، ماذا لو أننا فقط...

- مجازفة بالغة، وأنت تعرف ذلك.

أومأ إيثا برأسه، وقال: ماذا عن البوابة في السور؟ أما زالت مفتوحة على مصراعيها؟ أيمكن أن يدخل ألف أو ثلاثون ألف منحرف آخرون عبرها إلى وادينا لو أرادوا؟

- جعلت رئيس فريق التقنيين يفحص الأمر، يقول إننا لا نستطيع تشغيل السور من داخل المجمع.
- لماذا؟
- من الواضح أن بيلتشر خرَّب النظام الداخلي. الطريقة الوحيدة لتشغيل السور من جديد وإغلاق البوابة بالتعامل اليدوي.
- ودعني أظن...
- هي عند السور، لن يكون الأمر ممتعًا لو كان سهلًا، أليس كذلك؟
- قال إيثان: أظن أننا في حاجة إلى إرسال أحدهم الآن فورًا.
- يوجد مخرج سري في الجانب الجنوبي من الجبل، المسافة بينه وبين السور ربع ميل فقط.
- أرسل ذلك التقني ومعه بضعة حراس.
- طيب. لكن بينما أفعل ذلك...
- ألقى آلان نظرة من فوق كتفه نحو الحشد السائر إلى داخل القلعة وأكمل: هم لا يعرفون شيئًا.. سمعوا فقط صوت الطلقات ونزلوا إلى هنا كي يروا ماذا يجري.
- قال إيثان: سأحدث إليهم..
- انطلق نحو الحشد.
- هتف آلان وراءه: كن رفيقًا!
- ولماذا ينبغي لي ذلك؟
- لأن هذه هي الحياة الوحيدة التي يعرفونها، وأنت على وشك أن تفجرها أشلاء.

تيريزا

انتفضت مستيقظة، وانفتحت عيناها على ظلمة تامة.

كان بن يتحرك ويتمتم: "لا، لا، لا.." في نومه.

هزّته لتوقظه، وهمست: أنت بخير يا صاحبي.. ماما معك.

لقد مرّت سنوات منذ نطقت كلمات كهذه لابنها. منذ كانت أمًا شابة، تهدد صغيرها كي ينام، والنافذة مواربة في حجرة نومه، وهما الاثنان ناعسان مع همس أمطار سيائل الناعمة.

تساءل بن: ماذا يحدث؟

- ما زلنا في الزنزانة، لكننا بخير.

- أين الوحوش؟

كان الهدوء مثيرًا للقلق، ولا صوت حركة وراء القضبان.

- أعتقد أنهم رحلوا حاليًا.

- أنا عطشان فعلاً.
- أعرف يا صاحبي، وأنا أيضًا.
- ألا يوجد مُبرّد مياه وراء مكتب الاستقبال؟
- أعتقد هذا.
- ربما يمكننا أن نتسلل إلى هناك ونحاول أن نحصل...
- أوه، لا أعتقد أنها فكرة جيدة..
- قالتها امرأة في الظلام على الناحية الأخرى من القضبان.
- جفلت تيريزا وقالت: من هناك؟
- ألا تميزين صوتي يا حبيبتني؟ كيف لا يمكنك ذلك؟ كنتِ تسكين ما في جوفك لي كل رابع خميس من الشهر طوال آخر...
- بام؟ يا إلهي، ماذا...
- سمعتكما تصرخان منذ بضعة ساعات، ورأيت هؤلاء المنحرفين يطاردونكما إلى قسم المأمور. انتظرت حتى رحلوا. أنا في غاية الارتياح إذ أجدكما سالمين، لا فكرة لديكما. كان هذا تفكيرًا سريعًا يا تيريزا، أن تحبسي نفسك هنا.
- توقعت تيريزا أن تجد أي مستوى من الرؤية كي ترد، لكنها كانت ما زالت لا تستطيع أن ترى يدها أمام وجهها.
- قالت بام: لستُ على بينة جيدة بما حدث هنا ليلة أمس.. هل عرض زوجك منحرفًا على البلدة؟
- أخبرهم بكل شيء. عن المنحرفين، ونظام المراقبة. أننا قفزنا ألفي عام إلى المستقبل. أننا كل من بقي.

- إذن فقد فعلها حقًا، ذلك الوغد ابن الحرام.. مرحى! لا تنظري إليَّ هكذا.

أحسَّت تيريزا بقشعريرة باردة تسري في أسفل ظهرها.
قالت تيريزا: الظلمة دامسة هنا..

- نعم. لكنني أستطيع أن أراكِ تحتضنين بنجامين بين ذراعيك،
وتحملقين في الظلام نحو موضع جلوسي، وأنا لا يعجبني..
- كيف؟

- اسمها نظارات الرؤية الليلية يا تيريزا، وليست هذه المرة
الأولى التي أراقبك فيها بها.
- عم تتحدث يا ماما؟
- بن، لا..

- أتحدث يا بنجامين عن المرة التي ضبطت فيها أمك وأباك
يتسللان من بيتكم في الشارع السادس، بعد أن ساد الظلام.
وهذا محظور تمامًا كما تعرف.
- لا تتحدثي بهذه الطريقة مع ابني...

- لا تتحدثي بهذه الطريقة مع المرأة التي تصوب بندقية عيار
اثنى عشر نحوك.

للحظة، ساد صمت تام، وتيريزا تحاول أن تُجمِّع الصورة: بام
جالسة أمام زنزانتهما ترتدي نظارات رؤية ليلية وتصوب بندقية
نحوها هي وبن في الظلام.

- تصوبين سلاحًا نحو ابني؟

حاولت تيريزا أن تطرح هذا السؤال بهدوء، لكن صوتها ارتعد،
فاضحًا الغضب والخوف اللذين يستفحلان بداخلها.

- وسأطلق النار عليه أيضاً.

غادرتها كل قواها.

جلست تيريذا على ركبتها، وحاولت أن تحمي بن بجسدها.

قالت بام: "أوه من فضلك، كل ما يجب عليّ أن أفعله..." وتحركت. تحرك صوتها: "هو أن أنهض وأسير إلى هذا الجانب من الزنزانة، عندئذٍ تتضح أمامي مساحة التصويب مرة أخرى."

- لماذا تفعلين هذا؟ أنت معالجتى النفسية.

- لم أكن معالجتك النفسية قط.

- عم تتحدثين؟

- إنه لشيء مخزٍ فعلاً يا تيريذا. أحببتك، استمتعت بجلساتنا معاً. أريدك أن تعلمي أن ما يوشك أن يحدث لك ولابنك ليس شخصياً. حظك السيئ فقط أنك متزوجة بالرجل الذي دمر هذه البلدة.

- لم يدمر إيثان شيئاً.. أخبر الجميع فقط بالحقيقة.

- لم يكن هذا مكانه، يمكن أن تكون الحقيقة شيئاً خطيراً بالنسبة إلى ضعاف العقول.

سألته تيريذا: كنتِ تعلمين، أليس كذلك؟ كنت تعلمين طوال هذا الوقت.

- ماذا؟ حقيقة وايوارد باينز؟ بالطبع كنت أعلم. لقد ساعدتُ في بناء هذه البلدة يا تيريذا. كنت هنا منذ البداية، منذ اليوم الأول، هذا المكان هو البيت الوحيد الذي امتلكته أصلاً، وزوجك دمّره.. دمّر كل شيء.

- لم يفتح إيثان البوابة، لم يقطع الكهرباء عن السور، ويدع كل هؤلاء الوحوش يدخلون. رئيسك هو من فعل هذا.
- رئيسي، ديفيد بيلتشر، هو من خلق هذه البلدة، كل منزل، كل طريق، اختار كل مواطن بعناية، كل عضو في فريق. من دونه، كنتم لتغدوا ميتين منذ قرون؛ كيف تجرؤون على مساءلة الرجل الذي منحكم هذه الحياة؟
- بام، من فضلك، ابني ليس مسؤولاً عن أي من هذا، وأنت تعلمين ذلك.
- أنت لا تفهمين يا حبيبتى، لا يتعلق هذا بتحميلك أنت وبن المسؤولية عن أفعال إيثان، لقد تجاوزنا هذا بمسافة.
- إذن ماذا تريدان؟
- أحسّت تيريزا بالدموع تتصاعد داخلها، وبالهلح ينحدر كصخرة. كان بن يبكي بالفعل، ويرتج بين ذراعيها.
- قالت بام: كل ما يهمني الآن أن أسبب الألم لزوجك، لا مزيد. لو كان ما زال حيًا، سيأتي إلى هنا في النهاية لبحث عنكما، وهل تعرفين ماذا سيجد؟
- ليس عليك أن تفعلي هذا يا بام.
- كلاكما ميت وأنا جالسة هنا.. أنتظر. أريده أن يعلم أني فعلت هذا قبل أن أقتله.
- استمعي فقط..
- أنا مستمعة، لكن قبل أن تبدي في الكلام، اسألي نفسك إن كنت تعتقدين حقًا أنك ستغيرين رأيي.
- وراء الردهة، في مكان ما في البهو، سمعت تيريزا صوتًا واهنًا للغاية.

كانها شظية زجاج تتهشم.

قالت في عقلها: من فضلك كن منحرفًا، من فضلك.

قالت تيريزا: قُتل أغلب من في هذه البلدة ليلة أمس، لا أعرف كم بقي منا حتى.

انسحقت قطعة زجاج أخرى.

رفعت تيريزا صوتها درجة: لكن مهما كان شعورك نحو زوجي، كيف يمكنك أن تتصورى أن قتل اثنين ممن صادف أن نجوا منا هو الحل الأفضل لنوعنا؟ نحن على شفا الانقراض!

- ياه! نقطة عظيمة يا تيريزا.. لم أفكر في ذلك.

- حقًا؟

- لا، أنا أمزح فقط. لا يهمني قدر خردلة.

دفعت بام خرطوشًا في الماسورة، وقالت: أعدك ألا أجعلكما تتعذبان. وبأمانة؟ خذي لحظة كي تنظري إلى الجانب المشرق، على الأقل لم تموتا على يدي منحرف، بهذه الطريقة، لن تشعرا بشيء. حسنًا، ربما ستشعران بشيء ما، لكن كل شيء سينتهي قبل أن تعرفانه.

بكت تيريزا: إنه طفل!

- أوه، هل تمانعين في مناولتي مفتاح الزنانة قبل...

أضاء وميض فوهة البندقية الحجرية كلها.

كان الصوت يصم الآذان.

فكرت تيريزا: نحن ميتان.. فعلتها.

لكنها ما زالت تستطيع أن تفكر.

ما زالت تستطيع أن تحس بابنها بين ذراعيها.

تأهبت لضربة الألم، لكنها لم تأت.

كان شخص ما يردد اسمها، ومن وراء الطنين في أذنيها، بدا كما لو أن الصرخات صادرة من قاع حفرة عميقة.

لمع شيء ما، نقطة ضوء توهجت في مجال رؤيتها، وتساءلت تيريزا: أهذا هو الضوء في نهاية النفق؟ هل أنا ميتة الآن، وأسرع نحوه؟ هل ابني معي؟

لمع مرة أخرى، غير أن الضوء هذه المرة لم يمت.

ازداد سطوعاً أكثر وأكثر إلى أن أشعل لهب وحيد حزمة صغيرة من الطحالب المجففة.

كان الدخان يتصاعد منه الآن، واستطاعت أن تشم رائحة الدخان بينما تراقب يدين ترفعان الصوفان المشتعل من الأرض. أضاءت ألسنة اللهب أقذر وجه رأتَه في حياتها، وقد ابتلعتَه لحيَة شعْثاء لا بد أنها تطلّبت سنين كي تنمو. لكن هاتين العينين...

حتى في نور النار المتضائلة، وعبر كل القذارة والبرية في ذلك الوجه، عرفتهما. ولا يمكن حتى لصدمة الاقتراب من الموت أن تباري صدمة رؤيتهما مرة أخرى فعلياً.

قال الرجل بصوت أجش: تيريزا! حبي!

تركت تيريزا ابنها، واندفعت إلى الأمام.

عندما انطفأ الضوء، كانت قد بلغت القضبان، ودفعت يديها بينها. أمسكت به، جذبته إلى القضبان.

فاح آدم هاسلر برائحة نتنة لرجل قضى سنوات في البرية، وعندما انزلت يداها داخل معطفه الطويل وأحاطتا بخصره، استطاعت أن تحس بأنه جلد على عظم.

- آدم؟

- إنه أنا يا تيريزا.

- آه يا إلهي!

- لا أستطيع أن أصدق أنني أملكك بالفعل.

قبّلها من خلال القضبان.

نزل بن من فوق السرير، واقترب قائلاً: ظننتك مت.

- كان ينبغي لي أن أكون ميتًا أيها الرجل الصغير، كان ينبغي لي أن أكون ميتًا ألف مرة.

إيثان

وقف على غطاء محرك سيارة ماجي الجيب، يحدق إلى المائة وخمسين وجهاً التي تجمعت حوله في الفلّك. بدا من الغريب أن يتطلع إلى هذه المجموعة بأكملها، هؤلاء الأشخاص الذين عملوا معاً طوال أربعة عشر عاماً كي يُبقوا إخوتهم البشر، سكان وايوارد باينز، يعيشون في الظلام.

قال إيثان: ليلة أمس، قمتُ بخيارٍ صعب. أخبرتُ سكان وايوارد باينز بالحقيقة، أخبرتهم في أي عام نحن، وجعلتهم يرون واحداً من المنحرفين.

صاح صوت وسط الحشد: لم يكن لديك الحق!

تجاهل إيثان هذا، وتابع:

- أظن أن لا أحد منكم يتفق مع هذا القرار، وهذا لا يمثل مفاجأة كبيرة لي. لكن دعونا نرى إن كنتم تتفقون مع القرار

الذي اتخذه ديفيد بيلتشر ردًا على ذلك. قطع الكهرباء عن السور وفتح البوابة؛ دخل خمسمائة منحرف على الأقل إلى الوادي في منتصف الليل، ذُبح أكثر من نصف البلدة، وهؤلاء الذين تمكنوا من الفرار تقطعت بهم السبل بلا طعام أو ماء، وبلا تدفئة بما أن بيلتشر قطع الكهرباء عن البلدة أيضًا.

انتشر عدم التصديق بسرعة في الوجوه.

زعق أحدهم: كاذب!

- أتفهم أنه في لحظة ما من حياتكم السابقة، اقتنع كل واحد منكم اقتناعًا قويًا بما يقوله ديفيد بيلتشر. وللأمانة، هو رجل بارع، لا يمكن لأحد أن ينكر ذلك. لا يمكن لأحد أن يقول إنه ليس رجلًا صاحب رؤية، وربما هو أكثر شخص طموح عاش على وجه الأرض. أتفهم ما جذبكم إليه. لا بد أن البقاء في صحبة شخص يمارس مثل هذه السلطة شيء يبعث على النشوة، يجعلكم تشعررون أنكم ذوات أفضل.

مما علمته أن كثيرًا منكم كانوا في أسوأ لحظاتهم عندما دخل ديفيد بيلتشر حياتكم، منحكم الهدف والمعنى، وأنا أتفهم ذلك تمامًا. لكنه وَحْشٌ بنفس القدر الذي ترون به المنحرفين الذين يعيشون وراء السور، بل ربما أكثر. كانت فكرة وايبورد باينز دائمًا أهم بالنسبة إليه من الناس الذين سمّوا تلك البلدة وطنًا، وآسف إذ أقول إنها كانت أهم من أي واحد منكم.

كلكم عرفتم أليسا، كل ما سمعته يؤكد أنها كانت محبوبة من الجميع داخل هذا الجبل. لم تتفق في الرأي مع أبيها، آمنت أن أهل وايبورد باينز يستحقون ما هو أفضل من المراقبة أربعًا وعشرين ساعة لمدة سبعة أيام في الأسبوع، من

إجبارهم على قتل بعضهم لبعض، من عدم معرفة الحقيقة قَطُّ. ما سأعرضه عليكم مزعج، وأعتذر عن ذلك، لكنكم في حاجة إلى معرفة أي نوع من الرجال كنتم تعملون في خدمته حتى يمكنكم أن تبدووا في تجاوز الأمر.

أشار إيثان خلف الحشد إلى شاشة مقاسها مائة بوصة مرفوعة على صخرة بجوار الأبواب الزجاجية.

في أغلب الأيام، كانت هذه الشاشة تعرض جداول العمل، ومن يقوم بنوبة عمله في وحدات المراقبة والأمن والإرجاء، ومواعيد الوصول والرحيل بالنسبة إلى وسائل النقل المتحركة جيئة وذهابًا من وإلى وايوارد باينز.. نظام رسائل داخل الجبل بالنسبة إلى دائرة بيلتشر الداخلية.

أما الليلة، فستعرض ديفيد بيلتشر، خالق وايوارد باينز، وهو يقتل ابنته الوحيدة.

صاح إيثان في واحد من فنيي المراقبة التابعين لتيد والواقف أسفل الشاشة: شغّلها!

تيريزا

تصاعد الدخان، وتسرب من خلال النافذة ذات القضبان قرب السقف. أكلت ألسنة اللهب سيقان كرسي مكتب بليندا، بعد أن تغدّت على رزمة ورق طباعة. تمدد بن على حشية تتسع لفرد واحد، سحبتها تيريزا من فوق الهيكل المعدني للفرش، ووضعتها بالقرب من النار. جلست في مواجهة هاسلر، رافعة يديها قرب الحرارة.

على الجانب الآخر من القضبان، استلقى جسد بام منظرًا على الخرسانة، وبركة الدماء ما زالت تتسع حول رأسها.

قال هاسلر: رأيت السور خامدًا، فدخلت البلدة مسرعًا. ذهبت إلى منزلنا، لكنك لم تكوني موجودة، بحثت في كل مكان، ظننت أنك وبين ميطان. وبينما كنت أبحث عن ذخيرة في مكتب المأمور، سمعت صوتك، تتوسلين لبام كي تُبقيكما على قيد الحياة، ليست هذه ما تخيلتها بالضبط من عودة للديار.

قالت تيريزا: لم أتخيل أنك ستعود أصلاً، قيل لي إنك لن تعود.

- ماذا حدث هنا؟

- البلدة تعرف الحقيقة الآن.

- كل شيء؟

- كل شيء، فقدنا كثيراً من الناس، أظن أن الرجل الذي بنى كل هذا قرَّر أن يلقي بمجموعة لعبه في الزباله، ويعود إلى بيته.

- من أخبر الجميع بالحقيقة؟

- دُعي إلى مهرجان من أجل كيت وهارولد بالينجر، لكن بدلاً من إعدامهما، استغل المأمور الفرصة كي يرفع الستار.

- بوب؟

- بوب مات يا آدم..

ثم قالت تيريزا في تردد: لقد حدث الكثير منذ رحلت، إيثنان هو المأمور الآن.

- إيثنان هنا؟

- أدخلوه البلدة منذ شهر أو نحو ذلك. قلب هذا المكان رأساً على عقب؛ لم يعد شيء كما كان من وقتها.

حدِّق هاسلر إلى ألسنة اللهب، وقال: لم أعرف أنه هنا..

- وكيف لك أن تعرف؟

- لا، أنا فقط... هل يعرف إيثنان؟

- بأمرونا؟

- نعم.

- لا، لم أخبره. أقصد.. كنت سأخبره في النهاية، لكنني تحدثت مع بن عن الأمر، وقررنا ألا نتعجل. لم نعتقد أننا سنراك مرة أخرى أبدًا.

تساقطت الدموع من زوايا عيني هاسلر، وحفرت دروبًا نظيفة عبر السخام المنغرز في وجهه.

راقبه بن من فوق الحشية.

قال هاسلر: هذا أشبه بكابوس..

- ماذا؟

- العودة إلى الديار لأجد هذا. كل يوم قضيته وراء السور، أواجه الموت والجوع والعطش، كنتِ أنتِ، وأنتِ فقط، ما أبقاني لأواصل العيش، فكرة كيف ستكون حياتنا عندما أعود.

- آدم.

- ذلك العام الذي عشناه معًا...

- من فضلك.

- كان أسعد أعوام حياتي.. أحبك، ولم أتوقف عن حبك قط.

زحف هاسلر حول فَرشة الفحم، ووضع ذراعه حول تيريزا. نظر إلى بن، وقال: "كنتُ أبًا لك، ألم أكن كذلك؟" ونظر إلى تيريزا، وقال: "وكنتُ رجلك، حارسك."

- لم أكن لأبقى على قيد الحياة في واوارد باينز لولاك يا آدم، لكنني اعتقدت أنك لن تعود أبدًا. وعندئذٍ، فجأةً ومن العدم، وجدت زوجي هنا.

في مكان ما بالخارج، عوى منحرف.

جذب هاسلر حقيبة ظهره نحوه، ونبش فيها إلى أن خرج بدفتر يوميات ذي غلاف جلدي. مزق الكيس البلاستيكي الذي كان يحفظه فيه، وفتح الدفتر المهترئ على أول صفحة. في نور النار، أشار إلى الكتابة: عندما تعود -وستعود- سأضاجعك أيها الجندي، كأنك عدت لتوَّك من الحرب.

انفطر قلبها عندما رأت هذه الكلمات.

أطاحت بها تمامًا.

لقد كتبتها قبل أن يرحل هاسلر مباشرةً.

قال: كنت أقرؤها كل يوم، لا فكرة لديكِ عن الأوقات الصعبة التي جعلتني هذه الكلمات أجتازها.

لم يعد في مقدورها أن ترى أي شيء الآن، وقد سالت دموعها، وتدفقت المشاعر داخلها مثل نزيف دموي أسرع من أن يُحقن. قال: أنا لا أطلب منك أن تتنبئي بالمستقبل، أنا أحدثك عن الآن.. هذه اللحظة. أما زلتِ تحبينني يا تيريزا؟

تطلَّعت إلى اللحية الملبدة، والوجه الممتلئ بالندوب، وعينيه المَجُوفَتَيْنِ.

يا إلهي! إنها ما زالت..

همست: لم أتوقف قط..

بدا الارتياح في عينيه أشبه بشعور من يسمع قرار وقف تنفيذ إعدامه.

قالت تيريزا: أريد أن أعرف شيئاً.. عندما كنا نعيش معاً، هل كنت تعرف؟

- ما الذي كنت أعرفه؟

- عن هذه البلدة، عمّا تكون، كل الأسرار التي كانت مخفية.

حدق إلى عينيها، وقال: حتى اليوم الذي جاء فيه ديفيد بيلتشر إليّ، وقال إنه تم اختياري للقيام بمهمة استكشافية خارج السور، لم أعرف إلا ما كنت تعرفين.

- لماذا أرسلك إلى الخارج؟

- لأقوم بمهمة استكشافية، لأبحث عن آثار لحياة بشرية خارج وادينا.

- وهل وجدت شيئاً؟

- آخر ما سجلته هناك...

فرّ هاسلر إلى نهاية دفتره، وقال:

- كتبتُ: "وحدى أملك مفتاح ما سينقذنا جميعاً، أنا حرفياً الرجل الوحيد في العالم الذي يمكنه إنقاذ العالم."

سألته تيريزا: وما هو إذن؟ ما هو المفتاح؟

- أن نعقد سلاماً.

- مع أي شيء؟

- مع حقيقة أن هذه هي النهاية حقاً، العالم ملك المنحرفين الآن.

حتى وسط حزنها وصدمتها، انطبعت هذه العبارة في ذهنها.

أحسّت تيريزا فجأة أنها وحيدة تماماً.

قال هاسلر: لن يكون هناك اكتشاف ما ينقذنا، اكتشاف يعيدنا على قمة السلسلة الغذائية. هذا الوادي هو المكان الوحيد الذي يمكننا البقاء فيه على قيد الحياة. سوف نقرض.. هذه ببساطة حقيقة.. وربما نفعل ذلك بأناقة.. نتذوق كل يوم، كل لحظة.

موستين

نفض موستين الجليد عن الصخور، وربض في مكمنه. استغرق الأمر منه ساعة إضافية كي يصل إلى القمة؛ بسبب كمية الذخيرة الضخمة التي جلبها معه هذه المرة.

لقد صوّب منظاره نحو البلدة من قبل، لكنه بالطبع لم يستهدف شيئاً في الوادي قط.

ضبط وضع منظاره على ما تبقى من سيارة المأمور بيرك.

تطلّب الأمر منه ثلاث طلاقات، تبعثها ثلاثة تعديلات صغرى لاختلاف المنظر قبل أن يُسكن طلقة حيثما أراد بالضبط: عبر الإطار الأمامي من جهة السائق.

كانت البلدة متراسة في مربعات سكنية منتظمة، بطول ثلاثمائة قدم على كل ناحية، وهو ما يعني أن التعديلات الأخرى ستكون يسيرة الآن بعد أن أصبحت لديه نقطة مرجعية.

اشرباً بعنقه.

قبض على الترباس، وفتح الشق وحشا أول طلقة من الخزينة التي تتسع لخمس.

استقر خلف البؤرة، وشغلَّ سماعة رأسه وهو يفحص بمنظاره الشارع الرئيسي. قال:

- موستين معك، في الموقع، حوّل.

أجابه إيثنان بريك: نحن عند باب النفق. حوّل.

- علم، سأبدأ تمهيدي الأول الآن، استعدوا. انتهى.

كانت هناك جث متناثرة في طول الشارع الرئيسي وعرضه.

خمسة منحرفين يتغذون في منتصف الشارع أمام مقهى ستيمينج بين.

تجاهل حالياً الغابة والمرتفعات الصخرية المحيطة بالبلدة، وأخذ وقته في تفحص الجادات الممتدة من الشرق إلى الغرب والشوارع الممتدة من الشمال إلى الجنوب.

خطَّ علامة على لوحه بعد كل مشاهدة.

بعد إحدى عشرة دقيقة، نقر زر الكلام في سماعة رأسه.

- موستين مرة أخرى. حوّل.

قال إيثنان: هات ما لديك..

- لديّ رؤية لمائة وخمسة من المنحرفين. نصفهم تقريباً يتحركون في مجموعات ما بين خمسة عشر وعشرين فرداً. الباقون يتجولون فرادى في أنحاء البلدة. لا أثر لناجين حتى الآن.

قال إيثان: لديك عشرون دقيقة وبعد ذلك سنتقدم. حوّل.

ابتسم موستين. موعد نهائي! أعجبه ذلك.

تساءل: هل نراهن؟ حوّل.

- عمّ تتحدث؟

- عن عدد القتلى. حوّل.

- فقط ابدأ في الأمر.

بدأ موستين من الطرف الجنوبي للشارع الرئيسي وعمل ببطء صاعدًا إلى الشمال.

خمس عشرة إصابة.

خمسة أخطاء.

اثنا عشر قتيلاً.

بقي ثلاثة يتمنون الموت، وهم يجرجرون أجسادهم على الرصيف.

انتقل إلى الشارع السابع، وضبط تعديلاته، ومضى في عمله. قرب المدرسة، لمح مجموعة من ثمانية عشر منحرفًا ينامون في الشارع. أصاب أربعة منهم قبل أن يستيقظ الآخرون، ويدركوا أنهم عرضة للهجوم. أسقط خمسة آخرين عندما تفرقوا راكضين.

مضى الأمر على هذه الشاكلة، وكان عليه أن يعترف أنها كانت أكبر متعة حظي بها على الإطلاق بيندقية القناص الخاصة به.

عندما تبقى أمامه خمس دقائق، أصاب ثلاثة منحرفين على الطريق جنوبي البلدة، وقتل اثنين آخرين في المنطقة المجاورة للحدائق. وعندما عاد صوت المأمور عبر السماعة، أطلق رصاصة على رأس منحرف يجري بأقصى سرعة من أمام المستشفى.

قال إيثان: انتهى الوقت. حوّل.

قال موستين: أربعة وأربعون. حوّل.

- معذرةً؟

- لديكم أربعة وأربعون منحرفاً خارج المعركة. حوّل.

- رائع. هل السور صامد؟

دار موستين ببندقيته جنوباً، وتفحص بمنظاره الغابة بالقرب من السور.

قال: ما زالت البوابة مغلقة. يمكنني أن أقدم لكم تغطية ما عندما تدخلون البلدة، لكن إطلاق النار داخل الغابة لن يكون دقيقاً في أفضل الأحوال. حوّل.

- مفهوم. ستكون عيننا، اقتل قدر ما تستطيع. أخبرنا بما هو آتٍ.. حوّل.

أعاد موستين تعمیر الخزانة، ودفع الطلقة التالية في الماسورة.

راقب بمنظاره ما أمكنه رؤيته من الغابة والجلاميد التي أحاطت بمدخل مجمع البنية الفوقية. وقال:

- يمكنكم التقدم.

إيثان

ركب في المقعد الأمامي لسيارة هامفي مصفحة، وجلس آلان خلف عجلة القيادة.

في مرآته الجانبية، استطاع أن يرى اللّحامين وهم يغلقون المدخل المؤدي إلى مجمع البنية الفوقية.

على سطح السيارة، قبض أحد الحراس على مدفع رشاش عيار 50.

خلفهم كانت هناك شاحنتان صغيرتان ماركة دودج رام، وقف رجلان في مؤخرة الأولى ببندقيتين آليتين.

وحملت الشاحنة الثانية المدفع الآلي.

وراء الشاحنتين سيارتا نقل، وشاحنة صغيرة ثالثة لتحمي المؤخرة حاملة ستة حراس في مقطورتها مدججين بالسلاح.

في سماعه إيثنان تردد صوت موسيتين: أنصح بالابتعاد عن الطريق الرئيسي. ما هو مسارك؟ حوّل.

خرج آلان من الغابة، وصعد على الطريق المؤدي إلى البلدة.

قال إيثنان: من الشارع الثالث عشر إلى الشارع الخامس، ثم ثلاثة مربعات سكنية إلى المدرسة. هل توجد صحبة؟

- هل ترى ذلك الشخص أمامك بمسافة؟

ضيق إيثنان عينيه، ونظر عبر الزجاج الأمامي.

على مبعدة مائة ياردة أمامه في الطريق، جلس منحرف القرفصاء على الخط الأصفر المزدوج في منتصف الطريق. لفت صوت المحركات المقتربة انتباهه، وعندما وقف؛ انفجرت لفحة من رذاذ أحمر من جانب رأسه.

قال موسيتين: لديك بضعة متشردين آخرين في طريقك، سأبدأ إخلاء الطريق. حوّل.

لم تكن الشمس قد صعدت بعد أعلى المرتفعات الصخرية، وما زال الوادي أمامهم متسربلاً بنور الصباح الباكر.

سأله آلان: هل حصلت على قسط من النوم؟

- ماذا تعتقد؟

كيت

مكتبة

t.me/soramnqraa

سمعت تتابع إطلاق نار آلي.

سمعه كل من الفصل.

شرعت هي وسبيتز في العمل فوراً حيث سحب قطع الأثاث بعيداً
عن الباب وجذبها المسامير من الإطار.

فتحا الباب، وطلبنا من الجميع الانتظار.

اندفعنا خارجين إلى الرواق.

صعدا السلام.

تعالى صوت إطلاق النار، وفي الفراغ ما بين الطلقات صار صوت
آخر مسموعاً؛ هدير المحركات.

عند المخرج، رفعت كيت بندقيتها، وطلبت من سبيتز أن يتعامل
مع الباب.

جذبه ليفتحه.

خطت حُطوتين متجاوزة العتبة.

كان هناك منحرفون في فناء المدرسة يركضون نحو قافلة من المركبات في تقاطع الشارعين العاشر والخامس: سيارة هامفي، وثلاث شاحنات صغيرة، وسيارتا نقل.

انفصل منحرف عن السرب واندفع نحوها.

قال سبيتز: هل ترينه؟

تركته يقترب أكثر، حتى صار على مسافة أقل من عشرين قدمًا.

- كيت؟

ضغطت الزناد.. ووضعت ثلاث رصاصات في نسق لطيف في صدره، وأسقطته على مبعدة خمسة أقدام من الباب.

والآن تعالت ضجة كأنها الرعد، ومعها -من الشاحنة الثانية- ومضُّ برتقالي ساطع من فوهة بندقية كبيرة حتى إنها كان ينبغي لها أن توضع في مروحية هجومية.

شقت صفاً كاملاً من المنحرفين نصفين.

انفتح باب الراكب الأمامي في السيارة الهامفي.

عندما خطا إيثنان خارجًا، ابتهج قلبها.

شاهدته يدور حول مقدمة المدرعة، ويعدو نحو السياج.

عندما تسلقه قافزًا، هجم عليه أربعة منحرفين من الملعب.

صوّبت كيت بندقيتها نحوهم، وأفرغت بقية خزانها فيهم لتسقطهم جميعًا.

تطلع إيثنان نحوها رافعًا حاجبيه في دهشة.

للحظة، كان إطلاق النار قد توقف.

ثمة منحرفون راقدون في كل مكان، ورجال يهبطون من مؤخرات الشاحنات، ويبدوون في تطويق المكان.

جرت كيت نحو إيثان الذي كان يعرج حاملاً بندقية، وبنطاله الجينز ممزق على نحو بئس، وقميصه أسمال متدلّية، ووجهه مخطط بالدماء.

غيّمت الدموع رؤيتها فمسحتها عن عينيها.

التقيا وألقت بذراعيها حوله.

سألها: كيف حال المصابين؟

- مات واحد، وما زال آخر معلقاً.. بارلي.

- أحضرتُ شاحنات، سُخرج الجميع من هنا إلى الجبل.

- هل وجدتَ هارولد؟

- ليس بعد.

- ماذا عن تيريزا وبن؟

هزَّ رأسه.

كانت الدموع تسيل على وجهها، وقد أغلقت عينيها بشدة، وظل إيثان يردد اسمها، ظل يقول بن كل شيء سيكون بخير، لكنها لم تتمكن من التوقف عن البكاء، ولم تفله من بين ذراعيها.

إيثان

بينما كان يحتضن كيت، لمح رجلاً يسير في الشارع العاشر مرتدياً معطف مطر طويلاً أسود يصل إلى كاحليه، ووجهه مختفٍ تحت قبعة راعي بقر سوداء ولحية طويلة شعثاء.

قال إيثان: من يكون هذا بحق الجحيم؟

التفتت كيت وقالت: لم أره من قبل قط.

غدَّ إيثان السير عبر فناء المدرسة، وقفز من فوق السياج، وتحرك إلى منتصف الشارع.

حمل الرجل المتسربل بالسواد بندقية ونشستر، أراحها على كتفه، واحتك حذاؤه الطويل في مشيته المتثاقلة بأسفلت الطريق. توقف على مبعدة عدة أقدام من إيثان.. شخص هزيل كرية الرائحة. كان يبدو أشبه بمتشرد غريب الأطوار لولا عينيه.. لم يكن بهما أثر للجنون؛ بل حدة صافية واضحة.

قال الرجل: حسناً.. اللعنة يا إيثنان!

- معذرةً، هل يعرف أحدنا الآخر؟

لمح إيثنان ابتسامة الرجل فقط وسط لحيته الكثّة.

ضحك الرجل وكرر عبارة إيثنان: "هل يعرف أحدنا الآخر؟" بصوت مبجوح، كأن حنجرتَه ملفوفة في ورق صنفرة، وتابع: "سأعطيك أمانة.. في آخر مرة تحدثنا فيها، أرسلتك إلى هنا."

توقّد الإدراك في مخ إيثنان.

وصّلت المشابك العصبية ما بين النقط.

مال برأسه وقال: آدم؟

- إذن مما سمعته فقد بدأت أنت هذه الفوضى.

- هل كنتَ في البلدة طوال هذا الوقت؟

- لا، لا. لقد عدتُ للتوّ.

- عدتَ من أين؟

- من هناك.. وراء السور.

- هل أنت رَحَّال؟

- أمضيْتُ ثلاث سنوات ونصفًا، عدتُ عبر السور أمس فجرًا.

- آدم...

- أعرف أن لديك أسئلة، لكن إذا كنتَ تبحث عن أسرتك فقد وجدتَها ليلة الأمس.

- أين؟

- حبست تيريزا نفسها هي وبن في الزنزانة الموجودة داخل قسم المأمور.

- هل هما هناك الآن؟

- نعم، و...

انطلق إيثنان يعدو قاطعًا الشارع العاشر، محافظًا على أقصى سرعة لديه طوال ستة مربعات سكنية إلى أن اندفع داخل مكتب المأمور لاهثًا متقطع الأنفاس.

صاح: تيريزا!

- إيثنان؟

انطلق كالرصاصة قاطعًا الرواق نحو الزنزانة في الطرف الشمالي من المبنى، وعندما رأى زوجته وابنه حيين خلف القضبان، امتلأت عيناه بالدموع.

تلَّمست تيريزا طريقها بالمفتاح إلى أن فتحت القفل.

دفع إيثنان الباب ليفتحه ويحتضنها، مُقبلاً وجهها ويديها كأنها أول مرة يلمسها فيها.

قال: ظننتُ أنني فقدتكما..

- كدت تفقدنا.

صدّه بن تقريبًا.

- هل أنت بخير يا صاحبي؟

- نعم يا بابا، لكننا كدنا نموت.

تعالّت أصوات الرصاص مرة أخرى، على مبعدة عدة مربعات سكنية.

قالت تيريزا: يبدو أنك أحضرتَ فرقة المدرعات..

- فعلاً.

- هل أنقذتم كثيرًا من الناس؟

- توجد مجموعة في قبو المدرسة ستكون بخير. ثمة فريق أمني

ينتشر في جنبات البلدة حاليًا، يقتل كل ما هو غير بشري،
وينقذ كل من يمكنه إنقاذه. لماذا لم تظلاً أنتِ وبن في المغارة؟

قال بن: عاد المنحرفون. بقي كثير من الناس، لكنني وماما وجدنا
طريقًا آخر للنزول من فوق الجرف.

قالت تيريزا: لا أعتقد أن من بقوا نجوا..

عبر القضبان، لاحظ إيثان وجود بام؛ ميتة على البلاط.

قالت تيريزا: وجدتنا هنا ليلة أمس. كنا محبوسين في الزنزانة، بلا
أسلحة. كانت ستقتلنا.

- لماذا؟

- لتلحق بك الأذى.

بدا أن تيريزا ترتجف للذكرى. قالت: أنقذنا آدم هاسلر..

سألها إيثان: هل كنتِ تعلمين أنه هنا؟

- لا.

تعالى صوت المدفع الآلي.

أخرج إيثان جهاز اللاسلكي، وقال: بيرك معك، حوّل.

أجابه صوت آلان: نعم، هات ما لديك، حوّل.

- هل يمكنك أن ترسل شاحنة إلى قسم المأمور؟ وجدت أسرتي..

أريد أن أوصلهما إلى مكان آمن.

القسم الثامن

تيريزا

وايوارد باينز

منذ خمسة أعوام

تقف في المطر، حافيةً، ورداء المستشفى الخفيف ملتصق من
البلل بجلدها، تتطلع محدقةً إلى سور ارتفاعه خمسة وعشرون قدمًا
تطقطق شرارات الكهرباء في أسلاكه الشائكة.

ثمة لافتتان في الجوار تحذران:

فولت عالٍ

خطر الموت

و:

عُد إلى وايوارد باينز

بعد هذه النقطة ستموت

تتداعى على التراب القدر.

بردانة.

ترتعد.

إنه وقت الغسق، على وشك أن يصبح الظلام أكبر من قدرتها
على الرؤية في هذه الغابة.

هي عند النهاية. عند نهايتها.

لا أحد تلجأ إليه.

لم يبق مكان للهروب.

تصطمم بالأرض.

في عنفٍ.

تنشج بشكل لا إرادي، بينما ينهمر عليها المطر القارص البرودة.

تقبض يدان على كتفيها.

يندُّ عنها رد فعل يليق بحيوان جريح؛ تنتفض مبتعدة وتزحف
مسرعةً على أربع، بينما يهتف صوت خلفها: تيريزا!

لكنها لا تتوقف.

تجاهد كي تنهض على قدميها، وتهتم بالركض، لكن قدميها تنزلقان
في نصال الصنوبر المبتلة.

تثبَّتْها اليدان في الأرض، ووجهها منسحق في الطين، تضغطها اليدان،
وتحاولان أن تقلباها على ظهرها. تقاوم بكل ما في وسعها، وتفكر بما
أن ذراعيها مقيدتان إلى جانبيها لو اقتربت هاتان اليدان من فمها
سيفقد هذا الوغد أصابعه.

لكنه يتمكن من قلبها على ظهرها وإبقاء ذراعيها إلى جانبيها،
مثنياً ساقها تحت ركبتيه.

تصرخ: دعني!

- توقف عن القتال.

ذلك الصوت.

تتطلع إلى مهاجمها. تكاد الظلمة الآن تمنعها عن الرؤية، لكنها
تميز وجهه.

من حياة أخرى.

من زمن أفضل.

تتوقف عن المصارعة.

- آدم؟

- نعم.

يفلت ذراعيها، ويساعدها على الاعتدال في جلستها.

- ماذا أنت...؟ لماذا...؟

أسئلة كثيرة تصرخ في عقلها، حتى إنها لا تستطيع أن تركز على
التعبير عن أي واحد منها. وأخيراً تستقر على واحد: ماذا يحدث لي؟

- أنت في وايوارد باينز، أيدهو.

- أعرف ذلك. لماذا لا يوجد طريق للخروج من هنا؟ لماذا
يوجد سور؟ لماذا لا يخبرني أحد بما يجري؟

- أعرف أن لديك أسئلة...

- أين ابني؟

- قد أمكن من مساعدتك في العثور على بن.

- أتعرف أين هو؟

- لا، لكني...

تصرخ: أين هو؟ يجب أن...

- تيريزا.. أنت تُعرضين نفسك للخطر حاليًا، تعرضين حياتنا للخطر.. أريدك أن تأتي معي.

- إلى أين؟

- إلى منزلي.

- منزلك؟

يخلع سترة المطر التي كان يرتديها، ويحيط بها كتفيها، ويجذبها لتنهض واقفة.

- لماذا تملك منزلًا هنا يا آدم؟

- لأني أعيش هنا.

- منذ متى؟

- عام ونصف.

- هذا مستحيل.

- أعرف أن هذا قد يبدو لك مستحيلًا الآن. أنا واثق أن كل شيء يبدو غريبًا وخاطئًا في هذه اللحظة. أين حذاؤك؟

- لا أعرف.

- سأحملك.

يرفعها هاسلر بين ذراعيه، كأنها لا تزن شيئًا.

ترنو تيريزا إلى عينيه، ورغم رعب أيامها الخمسة الأخيرة هنا؛ لا يمكنها إنكار الراحة التي تحس بها وهي تحدد إلى عينين مألوفتين.

- لماذا أنت هنا يا آدم؟
- أعرف أن لديك الكثير من الأسئلة. دعيني آخذك إلى البيت أولاً، تمام؟ جسدك فعلياً في حالة انخفاض حرارة بالغة.
- هل فقدت عقلي؟ لم أعد أعرف شيئاً. استيقظت في المستشفى هنا، وكانت تلك الأيام القليلة الماضية...
- انظري إليّ، أنت لست مجنونة يا تيريزا.
- إذن ماذا؟
- أنت فقط في مكان من نوع مختلف الآن.
- لا أعرف ما يعنيه هذا.
- أعرف، لكن لو وثقت بي، أقسم إني سأعني بك. سأضمن ألا يحدث شيء لك، وسأساعدك في العثور على ابنك.
- رغم الحماية الجديدة التي كفلتها سترته، ترتعد تيريزا بعنفٍ بين ذراعي هاسلر.
- يحملها عبر الغابة المظلمة والمطر المنهمر.
- آخر ذكرياتها قبل الاستيقاظ في هذه البلدة هي الجلوس في بيتها في كوين آن أمام رجل اسمه ديفيد بيلتشر. كان هذا في الليلة التي أقامت فيها حفلاً للاحتفاء بحياة زوجها المفقود، وبعد أن غادر كل الضيوف، ظهر بيلتشر على بابها في ساعات الصباح الأولى بعرض غريب: الذهاب معه، وسيمكنها هي وبن أن يجتمع شملهما بإيثان من جديد.
- من الواضح أن هذا الوعد لم يوفَ به.

ترقد تيريزا على أريكة مشدودة بالقرب من موقد حطب مفتوح، تراقب آدم هاسلر وهو يضيف قطعًا من خشب الصنوبر إلى النار. يبدأ البرد المتغلغل في الانسحاب من عظامها. لم تنم طوال ثمان وأربعين ساعة؛ منذ استيقظت مرة ثانية - في سرير بالمستشفى - على تلك الممرضة الفظيعة المبتسمة. لكنها الآن تستطيع الشعور بالنوم يتسلل إليها، لن تتمكن من الصمود طويلًا.

يغذي هاسلر ألسنة اللهب فتعلو متوهجة هادرة، والعصارة تغلي وتبقيق داخل الحطب. مكتبة سر من قرأ كل الأضواء في غرفة المعيشة مظفأة. نور النار يُلَوِّن الجدران.

يمكنها أن تسمع صوت المطر الثابت وهو ينهمر على السطح الصفيح أعلى رأسها، متأهبًا لتخديرها. يتراجع هاسلر مهرولًا من مكانه قرب النار، ويجلس على طرف الأريكة.

يُطرق ناظرًا إليها بلطف في عينيه لم تره طوال أيام.

يسألها: هل يمكنني أن آتي لك بأي شيء؟ ماء؟ المزيد من الأغذية؟

- أنا بخير. حسنًا، لست بخير، لكن...

يبتسم: أعرف ما تقصدين.

تتطلع إليه محدقة: تلك كانت أغرب وأسوأ أيام حياتي.

- أعرف.

- ماذا يحدث لي؟

- لا يمكنني تفسير هذا لك.

- لا يمكنك أم لن تفعل؟
- اختفيت من سياتل ليلة حفل الاحتفاء بحياة إيثان.. أنتِ وبين.
- صحيح.
- تصورتُ أنك ذهبتِ إلى واوارد باينز للبحث عن إيثان، لذا ذهبتُ كي أبحث عنك.
- اللعنة! أنت هنا بسببي.
- قدتُ سيارتي إلى البلدة قبل الكريسماس بيومين. كل ما أذكره شاحنة ماك ظهرت من حيث لا أدري، وأطاحت بسيارتي من الجنب. أفقتُ في المستشفى، مثلك تمامًا. بلا هاتف ولا محفظة. هل حاولتِ الاتصال بسياتل هاتفيًا؟
- اتصلتُ بأختي دارلا.. لا أعرف كم مرة من ذلك الهاتف العمومي بجوار البنك، لكن دائمًا الرقم خطأ أو لا يوجد اتصال.
- حدث لي نفس الأمر.
- إذن كيف تملك منزلًا هنا الآن؟
- ولديّ وظيفة أيضًا.
- ماذا؟
- أنت تتطلعين إلى الطاهي المساعد المتدرب في أسبن هاوس؛ أطف مطعم في واوارد باينز.
- تبحث تيريزا في وجهه عن أمارات المزاح، لكنه يبدو صادقًا تمامًا.
- تقول: أنت العميل الخاص المسؤول عن مكتب جهاز الخدمة الخاصة الميداني في سياتل. أنت...

- لقد تغيرت الأمور.

- آدم...

- أنصتي إليّ فقط.

يضع يده على كتفها. يمكنها أن تحس بثقلها فوق البطانية.

- كل الأسئلة.. كل المخاوف التي لديك، كانت لديّ أيضًا، وما زالت لديّ؛ هذا لا يتغير. لكن لا يمكن الحصول على إجابات في هذا الوادي. لا توجد إلا طريقة صحيحة واحدة فقط للعيش، وكل الطرق الأخرى ستؤدي إلى مقتلك. باعتباري صديقك يا تيريزا أمل أن يمكنك أن تسمعي. إذا لم تكفي عن الهرب، ستقتلك هذه البلدة.

تشيح بناظريها عن هاسلر، إلى أسنة اللهب.

يغيم نور النار وسط غلالة من الدموع.

المرعب في الأمر، المرعب في الأمر حقًا، أنها تصدقه.

مائة في المائة. ثمة شيء خاطئ، شيء شرير في هذا المكان.

تقول: أشعر أنني ضائعة تمامًا..

يعتصر كتفها ويقول: أعرف.. لقد كنت مثلك، وسوف أساعدك بكل طريقة ممكنة لي.

إيثان

وجد كيت ذلك المساء، جالسة في غرفة معيشتها، تُحدِّق إلى المدفأة الباردة المظلمة.

جلس بجوارها، ووضع بندقيته على الأرضية المصنوعة من الخشب الصلب.

لقد اقتحم المنحرفون المكان في لحظة ما. تهشمت النوافذ الأمامية، وبدا البيت من الداخل مخربًا، وما زال يفوح برائحة هذه المخلوقات: نتن غريب قاسٍ.

سألها إيثان: ماذا تفعلين هنا؟

هزّت كيت كتفيها، وقالت: أظن أنني أشعر كما لو أنني إن انتظرت هنا ما يكفي من الوقت، سأجده يفتح هذا الباب ويدخل.

أحاطها إيثان بذراعه.

قالت: لكنه لن يدخل من هذا الباب مرة أخرى أبدًا، أليس كذلك؟

بدا كما لو أنها تحبس الدموع بقوة الإرادة الخالصة فقط.
هزَّ إيثنان رأسه.

- لأنك وجدته.

كان الضوء المتكسر عبر النوافذ المهشمة يزداد وهنًا مع الوقت.
سرعان ما سيحل الظلام في الوادي.

قال إيثنان: هوجمت مجموعته في أحد الأنفاق.

ما زالت الدموع محبوسة.

اكتفت بالشهيق والزفير.

قالت: أريد أن أراه..

- طبعًا. كنا نقوم بتجميع الموتى طوال اليوم، وبذلنا ما في استطاعتنا كي نجهزهم من أجل...

- لست خائفة من رؤيته ممزقًا يا إيثنان، أريد أن أراه فقط.

- حسنًا.

- كم فقدنا من الناس؟

- ما زلنا نستعيد الجثث، لذا نحن نحصي الناجين فقط حاليًا.
من بين أربعمائة وواحد وستين ساكنًا في البلدة، انخفض عددنا إلى مائة وثمانية. وما زال هناك خمسة وسبعون في عداد المفقودين.

قالت: أنا سعيدة لأنك من أتيت بهذا الخبر.

- هم يأخذون كل الناجين إلى داخل الجبل لقضاء الليالي القليلة التالية.

- أنا باقية هنا.

- ليس هذا آمنًا يا كيت. ما زال يوجد منحرفون في الوادي، لم نقض عليهم جميعًا. لا توجد كهرباء، ولا تدفئة. عندما تغيب الشمس، سيكون الظلام شديدًا والبرد قارصًا، سيعود المنحرفون الذين ما زالوا داخل السور إلى البلدة.

نظرت إليه وقالت: لا أبالي.

- أتريدين أن أجلس معك لبعض الوقت؟

- أريد أن أكون وحدي.

وقف إيثنان، وكل شبر في جسده موجوع أو مكدوم أو مرهق. قال: سأترك هذه البندقية معك، تحسبًا لأي شيء.

لم يكن واثقًا أنها سمعته.

كانت غائبة في مكان آخر تمامًا.

سألته كيت: هل أسرتك في أمان؟

- نعم.

أومات برأسها.

قال: "سأعود في الصباح لأصطحبك كي تري هارولد." وتحرك نحو الباب الأمامي.

قالت كيت: مهلاً.

التفت إليها.

- هذه ليست غلطتك.

تلك الليلة، رقد إيثان إلى جوار تيريزا في غرفة دافئة مظلمة، في عمق مجمع البنية الفوقية.

نام بن على سرير قابل للطي عند طرف فراشهما، وغطَّ الصبي في نومه بهدوء.

ألقى الضوء الليلي زرقعة ناعمة عبر الغرفة، وحدَّق إيثان إلى الوهج. أول ليلة منذ دهر يمكنه فيها فعلياً أن ينام في الدفء، في الأمان، من دون كاميرا تتجسس عليه.

تحركت يد تيريزا حول جنبه وعبر بطنه.

همست: هل أنت مستيقظ؟

تقلَّب كي يواجهها، وعلى نور الضوء الليلي، رأى اللمعة في عينيها، والبلل على وجهها.

قالت: يجب أن أخبرك بشيء..

- حسناً.

- لقد عدتَ إلى حياتنا لمدة شهر واحد تقريباً.

- صحيح.

- قضينا هنا خمس سنوات بالفعل، لم نكُ نعرف أين نحن، إن كنا..

- أعرف كل هذا بالفعل.

- ما أحاول قوله إن... كان هناك شخص ما قبل عودتك.

قال إيثان: "شخص ما.. " وثمة ضغط مفاجئ يتنامى في صدره، ثقلٌ يضغط على رئتيه، يمنعه من أخذ نفَس كامل.

- ظننتُ أنكِ مت، أو ربما متُّ أنا.

- مَنْ؟

- عندما جئت إلى البلدة في البداية، لم أكن أعرف أحدًا. استيقظتُ
هنا مثلما استيقظتَ أنت، ولم يكنِ بنِ معي، و...
- مَنْ؟

- لقد رأيتَ أن آدم هاسلر هنا.

- هاسلر؟

- لقد أنقذ حياتي يا إيثنان.. ساعدني كي أجد بن.

- هل أنت جادة؟

كانت تبكي الآن: عشتُ معه في ذلك المنزل في الشارع السادس
أكثر من عام، إلى اليوم الذي أرسل فيه خارج البلدة.

- كنتِ مع هاسلر؟

علقت غصّة في حلقها: ظننتك ميتًا. تعرف كيف يمكن أن تعبث
بك هذه البلدة.

- هل شاركتِه الفراش؟

- إيثنان...

- هل حدث ذلك؟

أومأت برأسها.

انقلب مبتعدًا عنها على ظهره، وحدّق إلى السقف. لا فكرة لديه
حول كيف يبدأ حتى في استيعاب هذا. كل ما في حوزته أسئلة،
وصور عن هاسلر وزوجته، وبركة متقدمة صافية من الحيرة والغضب
والخوف تتجمع داخله وتتسارع متحوّلة إلى مستعر أعظم.⁽¹⁾

(1) المُستعِرُّ الأعظمُ وسمّاهُ علماء الفلك العرب بعدة أسماء، فقد أطلقوا عليه لفظ النيزك العظيم والكوكب الكبير والكوكب الأثاري والنجم العظيم الشأن، هو نجم يتألق فجأةً بشكلٍ هائل، حيث يتضاعف إشعاعه مئات المرات. (المترجم)

قالت: تكلم معي، لا تغلق فمك.

- هل وقعتِ في حبه؟
- نعم.
- وما زلتِ؟
- أنا حائرة.
- هذه ليست إجابة بـ "لا".
- هل تريدني أن أحافظ على مشاعرك يا إيثان، أم تريدني أن أكون صادقة؟
- لماذا لم تخبريني؟
- لأنني لم أكن مستعدة لإجراء هذه المحادثة. كنتَ هنا لمدة شهر واحد فقط. بدأتَ للتوّ في التواصل من جديد.
- لم تكوني لتخبريني قط، ظهر حبيبك من حيث لا تدرين وأجبرك على ذلك.
- هذا ليس صحيحًا يا إيثان، أقسم إنني كنت سأخبرك. كنت واثقة أن آدم لن يعود أبدًا. وبالمناسبة، كنت مع هاسلر عندما اعتقدت أنك ميت. لكنك ضاجعتَ كيت هيوسون بينما كنتُ ما زلت حية تمامًا.. بينما كنت زوجتك. لذا دعنا ننظر إلى هذا الهراء من كافة الجوانب، تمام؟
- أتريدين أن تكوني معه؟
- لو لم يجدني، لظلت أهرب وأهرب إلى أن يقتلونني، لا شك لديّ في ذلك. لقد دعمني، واعتنى بي عندما لم يكن هناك غيره ليقوم بهذا، عندما لم تكن موجودًا.

استدار إيثان على جنبه وواجه زوجته. تلامس أنفاهما، أنفاسها في وجهه وبداخله كتلة عكرة من المشاعر إلى درجة أنه لم يكُ واثقًا تمامًا من قدرته على كبح جماحها.

سألها مرة أخرى: أتريدين أن تكوني معه؟

- لا أعرف.

- لا تعرفين؟ هل يعني هذا ربما؟

- لم يحبني أحد قط بالطريقة التي أحبني بها هذا الرجل.

توقف إيثان عن التنفس.

- إذا كان هذا صعبًا عليك أن تسمعه، فأنا آسفة؛ لكنني كنت دُنياه يا إيثان، وكان...

تركت الكلمات تنفلت، تركتها تتلاشى في العدم.

- ماذا؟

- لا ينبغي لي أن أقول أي...

- لا، أكملني فكرتك.

- لم يكن هذا مثل أي شيء مررت به من قبل. منذ التقينا أنا وأنت لأول مرة، أحببتك بكل ما لديّ. هل يمكنني فقط أن أكون صريحة معك؟ لطالما أحببتك أكثر مما أحببتني.

- هذا ليس صحيحًا.

- أنت تعرف أنه صحيح. كان وفائي وإخلاصي لك مطلقين. لو كان زواجنا حبلًا، وأنت تمسك بطرف، وأنا أمسك بالآخر؛ فقد كنت دائمًا أجذبه بقوة أكبر بعض الشيء، وأحيانًا أكبر كثيرًا.

- هذا عقاب، أليس كذلك؟ بسبب كيت.

- لا يدور كل شيء حولك. أتحدث هنا عني وعن هذا الرجل الذي وقعت في حبه بينما كنت أنت غائبة، والذي عاد الآن، ولا فكرة لدي عن الطريقة التي يمكنني أن أتعامل بها مع هذا الوضع اللعين. هل يمكنك أن تضع نفسك مكاني لمدة ثانيتين؟

نهض إيثان جالسًا، وألقى الأغطية من فوقه.
قالت: لا ترحل..

- أحتاج فقط إلى بعض الهواء.

- لم يك ينبغي لي أن أخبرك.

- لا، بل كان ينبغي لك أن تخبريني منذ اليوم الأول.

نزل من فوق الفراش، وسار خارجًا من غرفتهم مرتديًا جوربًا وبنطال بيجامة وفانلة بلا أكمام.

كانت الساعة الثانية أو الثالثة صباحًا. نهض المستوى الرابع خاليًا، وأضواء الفلورسنت تطنُّ بهدوء أعلى رأسه.

سار إيثان في الممر. خلف كل باب يمر به، رقد سكان وايوارد باينز آمنين ومطمئنين. ثمّة راحة في معرفة أنه جرى إنقاذ البعض.

كانت الكافيتريا مغلقة ومظلمة.

توقف عند أبواب صالة الألعاب الرياضية، واسترق النظر عبر الزجاج. في الضوء الخفيض، رأى حلقات كرة السلة المرفوعة، والملعب المغطى بالأسرة الخفيفة. كان سكان الجبل قد تطوعوا جماعةً، وتركوا غرفهم في المستوى الرابع للاجئين، وهي بادرة، أمل أن تكون بشيرًا طيبًا لفترة الانتقال الصعبة القادمة.

تابع السير في ممر المستوى الثاني، ودفع بطاقته في جهاز القارئ، وخطا إلى داخل وحدة المراقبة.

كان آلان جالساً أمام وحدة التحكم يراقب الشاشات.

التفت عندما دخل إيثنان، وقال: أنت سهران إلى وقت متأخر.

اتخذ إيثنان مجلسه بجواره.

سأله: هل يوجد أي شيء؟

- أوقفت مستشعرات الحركة التي تشغّل الكاميرات، لذا فهي تعمل طوال الوقت الآن. أنا واثق أن البطاريات لن تصمد كثيراً. لمحت بضع عشرات من المنحرفين يعودون إلى البلدة، سأهبط بفريق في الصباح قبل أي شيء لأقضي عليهم.

- والسور؟

- يعمل بكامل طاقته، كل المستويات باللون الأخضر. ينبغي لك فعلاً أن تنال قسطاً من النوم.

- لا أرى أنني سأحظى بهذا كثيراً في مستقبل أيامي.

ضحك آلان وقال: أتفق معك في ذلك.

قال إيثنان: بالمناسبة أشكرك؛ لو لم تدعمني بالأمس...

- أنت أكرمت صديقتي.

- الناس في البلدة..

- بيني وبينك نحن نسميهم أهل البلدة.

قال إيثنان: سيتطلعون إليّ، ولديّ إحساس بأن الناس في الجبل

سيتطلعون إليك.

- يبدو هذا، ستكون هناك بعض الخيارات الصعبة التي يجب اتخاذها في مستقبلنا، وطريقة صحيحة وطريقة خاطئة للتعامل معها.

- ماذا تقصد؟

- كان بيلتشر يدير الأمور بطريقة معينة.

- نعم، طريقته هو.

- لا أدافع عن الرجل، لكن أحياناً تنشأ مواقف محورية جداً، مواقف تتعلق بالحياة أو الموت، يجب على رجل قوي أو رجلين قويين أن يقررا كيف تسير الأمور.

تساءل إيثان: هل تعتقد أن بيلتشر لديه أي أتباع متشددين في الجبل؟

- ماذا تقصد؟ مؤمنين مخلصين؟

- بالضبط.

- كل من في الجبل مؤمن مخلص. ألا تفهم ما تخلينا عنه كي نكون هنا؟

- لا.

- كل شيء. صدقنا ذلك الرجل عندما قال إن العالم القديم يموت، وإن لدينا فرصة كي نكون جزءاً من العالم الجديد القادم. بعثت منزلي وسيارتي، وسحبت مدخراتي.. 401 ألفاً، وتركت أسرتي.. أعطيته كل ما كان لدي.

- هل يمكنني أن أسألك عن شيء؟

- بالتأكيد.

- لعل هذا قد فاتك وسط كل الإثارة الأخرى، لكن عاد إلينا واحد من الرخّالة اليوم.
- نعم، آدم هاسلر.
- إذن فأنت تعرفه.
- ليس جيداً. أنا مذهول لأنه تمكّن من العودة.
- أود أن أعرف المزيد عنه. هل كان من أهل البلدة قبل أن يرحل في مهمته؟
- لا يمكنني أن أخبرك، ينبغي لك أن تذهب للحديث مع فرانسيس ليفين.
- ومن يكون هذا؟
- وكيل أعمال المجمع.
- وهو ما يعني...
- أنه يتابع الإمدادات، وسلامة النظام، وحالة الناس في الإرجاء وخارجه. إنه يمثّل ثروة من الذاكرة المؤسسية. يرفع رؤساء كل مجموعة تقاريرهم إليه، وهو يرفع تقاريره.. حسناً.. كان يرفع تقاريره إلى بيلتشر.
- لم أقابله قط.
- هو شخص منعزل. يظل غالباً وحيداً مع نفسه.
- أين يمكن أن أجده؟
- مكتبه متوارٍ في آخر الفُلك.
- نهض إيثنان.
- كان أثر مسكنات الأم يتلاشى.

صار تعب وإرهاق الثماني والأربعين ساعة الماضية زاعقين فجأة.
عندما تحرك إيثنان نحو الباب، قال آلان: ثمة شيء أخير.

- نعم؟

- وجدنا تيد أخيراً. كان في غرفته، محشوراً في خزانته، مطعوناً حتى الموت. استأصل بيلتشر رفاقته ودمرها.

ظن إيثنان أن خبراً آخر سيئاً بعد يوم كهذا سيتحطم على جدار روحه، مثلما تتكسر موجة على سور بحري، لكنه اخترقه.. بعمقٍ.
ترك آلان، ومضى عائداً إلى الممر، وانطلق صاعداً الدرجات نحو مهاجع المستوى الرابع، لكنه توقف عندئذٍ.

دار على عقبه ونزل الدور الأخير من السلم إلى المستوى الأول.

كانت مارجریت، المنحرفة التي كان بيلتشر يختبر ذكاءها طوال الشهور القليلة الماضية، مستيقظة تسير في قفصها تحت وهج أضواء الفلورسنت.

وضع إيثنان وجهه على النافذة الصغيرة وحدق عبرها، وضببت أنفاسه الزجاج.

آخر مرة رأى فيها هذه المنحرفة، كانت جالسة في الركن بسلام.
ودیعة، شبيهة بالبشر.

أما الآن فبدت مهتاجة، ليست غاضبة، ولا وحشية؛ متوترة فقط.

تساءل إيثنان في عقله: لأن عدداً كبيراً من إخوانك وأخواتك أتوا إلى داخل وادينا؟ لأن عدداً كبيراً قُتل، حتى في هذا المجمع؟ لقد أخبره بيلتشر أن المنحرفين يتواصلون من خلال الفرمونات، قال إنهم يستخدمونها مثل الكلمات.

رأته مارجریت.

زحفت على أربع نحو الباب، ووقفت على ساقها الخلفيتين.

كانت عينا إيثان وعينا المنحرفة على مبعدة بوصات فقط، لا يفصل بينهما إلا الزجاج.

من قريب، كانت عيناها جميلتين تقريبًا.

توغل إيثان أكثر في عمق الممر.

بعد ستة أبواب، نظر عبر نافذة قفص آخر.

لم يكن هناك سرير، ولا مقعد.

مجرد بلاط وجدران وديفيد بيلتشر جالس في ركن، رأسه متدلاً كأنه سقط نائمًا وهو جالس. توهجت الأضواء عبر النافذة، وأضاءت الجانب الأيسر من وجه الرجل.

لم يُسمح له بالاحتفاظ بأي متعلقات شخصية، ومن ضمنها أي موسى حلاقة، وبدأت شعيرات بيضاء صغيرة تنتشر على فكه.

فكر إيثان: أنت فعلت هذا، دمرت حيوات كثيرة، دمرت حياتي، وزواجي.

لو كانت معه بطاقة مفاتيح لهذه الزنزانة، لاندفع إيثان إلى الداخل، وضرب هذا الرجل حتى الموت.

هبط الجميع -أهل البلدة وأهل الجبل- من أجل عمليات الدفن.

امتلأت المدافن إلى آخرها، ولم تعد تتسع لكل الجثث، لذا ألحق بها حقل مفتوح عند الحد الجنوبي من الجبّانة.

قدّم إيثان يد العون لكي يت في دفن هارولد.

كانت السماء رمادية.

لم يتحدث أحد.

دوّمت رقاقت ثلج ضئيلة وسط الحشد.

لم يكن هناك إلا صوت المعاول المستمر وهي تحفر الأرض الباردة الصلبة.

عندما انتهى الحفر، تداعى الناس على العشب الذي جمّده الصقيع بجوار أحبائهم، أو ما تبقى منهم، وقد التفّ الموتى بإحكام في أكفان كانت بيضاء يومًا ما. منحهم الحفر سلوى أن يفعلوا شيئًا ما، لكن عندما جلسوا بلا حراك بردانين بجوار من فقدوا من آباء وأمّهات وإخوة وأخوات وأزواج وزوجات وأصدقاء وأطفال؛ بدأت نهنات مكتومة تتصاعد من الحشد.

سار إيثان إلى منتصف الحقل.

من حيث وقف، تناهت إليه مجموعة صاعقة من المناظر والأصوات: كل تلك التلال الصغيرة من التراب، الموتى المنتظرون إنزالهم إلى مستقرهم الأخير، انتحاب هؤلاء الذين فقدوا كل شيء، أهل الجبل واقفون خلف أهل البلدة في حزن مهيب، عمود الدخان عند الطرف الشمالي من البلدة يُطلق دوامات من سواد ذكي الرائحة إلى السماء، بينما تحترق ستمائة جثة منحرف في الفراغ.

باستثناء ديفيد بيلتشر؛ الرجل المسؤول عن كل هذا الألم، ضم هذا الحقل كل إنسان باقٍ على وجه الأرض.

حتى آدم هاسلر، الذي وقف على الأطراف مع تيريزا وين.

اشتعلت في رأس إيثان فكرة واحدة مرعبة: أنا أفقد زوجتي.

دار ببصره في بطاء، متفحصًا كل الوجوه. كان الأسى مهيمًا.. شيئًا حيًا.

- لا أعرف ماذا أقول. لا تستطيع الكلمات أن تجعل أيًا من هذا يبدو أفضل. فقدنا ثلاثة أرباع أهلنا، وسيكون الأمر شاقًا لوقت طويل، طويل. فلنعمل ما في استطاعتنا كي يساعد بعضنا بعضًا، لأنه لا يوجد غيرنا هنا وحدنا في العالم.

عندما بدأ الجميع يرفعون الجثث برفق، ويُنزلونها في القبور، توجه إيثان عائداً عبر الحقل والثلج المتساقط نحو كيت.

ساعدتها في إنزال هارولد إلى قبره.

ثم رفعها معوليهما، ومع الجميع، بدأ في إهالة التراب.

تيريزا

سارت مع هاسلر عبر الغابة جنوبي البلدة، ورقاقات الثلج تنجرف هابطة بين أشجار الصنوبر. كان آدم قد حلق لحيته وقصَّ شعره، لكن الجلد الناعم لم يؤكد إلا على هيئة وجهه النحيل الممصوص. بدا هزياً؛ كأنه لاجئ من عالم يعاني المجاعة. لم تستطع تيريزا أن تتجاوز كم بدا سيرياً القرب منه جسدياً مرة أخرى. قبل أن تأس من عودته وتحسبه ميتاً، اعتادت أن تتخيل اجتماعهما من جديد، لكن أياً من هذه الخيالات لم يشبه في شيء الواقع.

تساءلت تيريزا: هل تنام بشكلٍ جيدٍ؟

- شيء مضحك. لا تعلمين كم ليلة هناك في البرية حلمت فيها بالنوم في فراش مرة أخرى. كل هذه الوسائد والأغطية والدفء والأمان. القدرة على أن أمد يدي في الظلام إلى طاولة فراش جانبية، وألف أصابعي حول كوب ماء بارد. لكن منذ عدت،

لم أنم تقريبًا. أظن أنني اعتدت النوم في كيس نوم ثقيل مربوط في شجرة على ارتفاع ثلاثين قدمًا من الأرض. ماذا عنك؟
قالت: الأمر صعب..

- كوايس؟
- أظلم أحلم بأن الأمور سارت بطريقة أخرى، أن هؤلاء المنحرفين دخلوا الزنزانة.
- كيف حال بن؟
- هو بخير. يمكنني أن أقول إنه يحاول أن يستوعب ما حدث، لم ينجُ كثير من زملائه في الفصل.
- لقد رأى أشياء لا ينبغي لطفل أن يراها أبدًا.
- هو في الثانية عشرة من عمره الآن، هل يمكنك أن تصدق هذا؟
- يشبهك كثيرًا يا تيريزا. أردت أن أراه أكثر، أن أتكلم معه فقط، لكن لم يبدُ هذا مناسبًا، ليس بعد.
- قالت: ربما هذا أفضل.

- أين إيثنان؟
- ذهب ليقضي بعض الوقت مع كيت بعد الدفن.
- بعض الأمور لا تتغير أبدًا، هه؟
- لقد فقدت زوجها، وهي لا تملك في الحقيقة أحدًا غيره.
- تهدت تيريزا، وتابعت حديثها: أخبرت إيثنان.
- أخبرته...
- عئًا.
- أوه!

- لم يكن لديّ خيار، لم أستطع الاستمرار في إخفاء الأمر عنه.
- كيف تقبل الأمر؟
- أنت تعرف إيثان. كيف تعتقد؟
- لكنه يفهم حقيقة الموقف، أليس كذلك؟ أننا كنا عالقين هنا في الفخ، أننا اعتقدنا أنه مات.
- شرحاً كل شيء.
- ألا يصدقك إذن؟
- لا أعلم إن كان الأمر هكذا، أم أنه يحاول فقط أن يستوعب فكرة أنه.. حسنًا، كما تعلم.
- أني كنت أضاجع زوجته.
- توقفت تيريزا.
- ران صمت هائل على الغابة.
- تساءل هاسلر: كان هذا جيدًا، أليس كذلك؟ عندما كنا أنا وأنت وبن فقط، جعلتك سعيدة، أليس كذلك؟
- جدًا.
- لا فكرة لديك عمّا يمكن أن أفعله من أجلك يا تيريزا.
- تطلعت إلى عينيه.
- حدّق إليها بكل هذا الحب.
- ثمّة طاقة في الهواء، استطاعت تيريزا أن تحس بأن هذه اللحظة تحمل ثقلًا أكبر مما تدركه. كان قلبها ذات مرة مفتوحًا على اتساعه أمام هذا الرجل، ولو تركته يستمر في النظر إليها بهذه الطريقة، كأنها الشيء الوحيد الموجود في عالمه...

تحرك نحوها.

قبَّلها.

تراجعت في البداية.

ثم تركته.

ثم قبَّلته بدورها.

قادها ببطء عائدة بظهرها نحو شجرة صنوبر، وعندما التصق بها مررت أصابعها في شعره.

عندما قبَّل عنقها، أمالت رأسها إلى الورا، وتطلعت إلى رقائق الثلج التي تسقط وتذوب على وجهها، وعندئذٍ كان يشد سحَّاب سترتها، وأصابعه تفك بسرعة أزرار قميصها، ووجدت نفسها تمد يديها نحو قميصه.

لكنها توقفت.

تساءل منقطع الأنفاس: ماذا؟ ما الخطب؟

- ما زلت متزوجة.

- لم يمنعه هذا.

كان هناك جزء منها يريد أن يستمر في الحديث، أن يستمر في دفعها، ألا يتوقف.

- تذكرني كيف جعلك تحسين؟ ماذا قلبت لي يا تيريزا؟ أن حبك

له كان يشتعل دائماً على درجة حرارة أشد.

- رأيتك يتغير في الشهر الأخير. رأيت ومضات من...

- ومضات؟ أهذا كل ما شعرت به مني؟ ومضات؟

هزَّت رأسها.

- أحبك بكل جوارحي. لا أدخر شيئاً، لا أخفي رهانات. كل شيء
من أجلك، كل ثانية من كل يوم.
من بعيد، شقت صرخة الغابة.
منحرف.

صرخة عالية، حادة، تجمد الدم في العروق.
تراجع هاسلر عنها متعثراً، وكان في مقدورها أن ترى توتراً متصلباً
في جبهته.

- هل هذا...

قال: لا أعتقد أنه داخل السور..

قالت: دعنا نخرج من هنا على أي حال..

أغلقت أزرار قميصها، ورفعت سحاب سترتها.

انطلقا عائدين نحو البلدة.

كان جسدها يطنُّ، ورأسها يدور.

وصلا إلى الطريق، وسارا على الخط الأصفر المزدوج في منتصفه.

ظهرت البنايات من بعيدٍ.

دخلا وايوارد باينز في صمتٍ.

شعرت أن هذا تهوُّر، لكنها أكملت طريقها معه.

عند تقاطع الشارعين السادس والرئيسي قال هاسلر: هل يمكننا أن

نذهب لنرى الأمر معاً؟

- بالطبع.

سارا على الرصيف في حيَّهما.

لا أحد في الخارج.

المنازل فارغة ومظلمة.

بدا كل شيء باردًا ورماديًا وخاليًا من الحياة.

قال عندما توقفا عند الدرجات، فيما كان يومًا ما منزلهما الفيككتوري الأصفر: لم يعد المكان يحمل رائحتنا..

دخل المطبخ، وتحرك عبر غرفة الطعام، وعاد خارجًا إلى الرواق.

- لا يمكنني أن أتخيل مقدار صعوبة الأمر عليكِ يا تيريزا.

- لا فكرة لديكِ.

خرج هاسلر من ظل الصالة، وعندما وصل إليها جثا على ركبة واحدة.

سألها: أعتقد أنها تجري بهذه الطريقة، أليس كذلك؟

- ماذا تفعل يا آدم؟

أمسك يدها.

كانت يده خشنة، ليست اليد التي تذكرها. صارت يدها مشدودتين وقاسيتين كالفولاذ، وكان هناك وسخ مما وراء السور راسخ في عمق كبير تحت أظافره، لم يكن في مقدورها أن تتخيل أنه سيزول أبدًا.

- كوني معي يا تيريزا، أيًا كان ما يعنيه ذلك في هذا العالم

الجديد الذي نعيش فيه.

تساقطت الدموع من ذقنها على البلاط.

ارتعش صوتها.

قالت: أنا بالفعل...

- أعلم أنك متزوجة، أعلم أن إثان هنا، لكنني لا أبالي قيد

أهملته، ولا ينبغي لكِ أن تبالي كذلك. الحياة أصعب وأقصر من

ألا تكوني مع من تحبين، لذا اختاريني.

القسم التاسع

إيثان

كان فرانسيس ليفين يعيش في حجرة منعزلة في ركن قصي من الفُلك، شُيِّدَت داخل بروز في الجدار الصخري. لم تعمل بطاقة إيثان المفتاحية عندما وضعها في جهاز القارئ، ففرع بقبضته الباب الفولاذي.

- مستر ليفين!

بعد لحظة، انسحب القفل.

انفتح الباب فتحة صغيرة.

وقف الرجل الذي فتحه بقامة تناهز الخمسة أقدام، يرتدي روب استحمام انحدر، بفعل القذارة والزمن، إلى شيء لا يمكن وصفه بالأبيض. خَمَّن إيثان أنه في الخامسة والأربعين أو الخمسين من عمره، رغم أن حالة الرجل الشعثاء البالغة جعلت هذا التخمين تقريبياً. انسدل شعره الرمادي حتى كتفيه، والتمتع من أثر دهنه بالزيت، وعبر عينين زرقاوين كبيرتين، نظر إلى إيثان بارتياحٍ مكشوفٍ قارب الغل.

تساءل ليفين: ماذا تريد؟

- أحتاج إلى الحديث معك.

- أنا مشغول، في وقت آخر.

حاول ليفين أن يغلق الباب، لكن إيثان دفعه بقوة ففتحه، وشقَّ طريقه إلى الداخل.

تناثرت على الأرضية أغلفة قوالب الحلوى، وحمل الهواء رائحة رطبة عطنة كأنه في محل إقامة فتى في السادسة عشرة من عمره، وتخللته رائحة لازعة لقهوة بائنة.

جاءت إضاءة المكان الوحيدة من مصباح مدفون في السقف ووهج شرائط الإضاءة العملاقة التي غطت تقريبًا كل قدم مربع من الحيز بين الجدران. حدق إيثان إلى الحائط الأقرب إليه، والذي عرض دائرة بيانية رقمية. من نظرة واحدة، بدا أن الدائرة البيانية تعكس تكوين العناصر الجوية التي يحتويها الهواء في مجمع البنية الفوقية. لم يعرف ما الهدف من كل الشاشات الموجودة.

كانت على ما يبدو تعرض مجموعة بيانات غير مفهومة.

- مجموعات من التدرجات الحرارية بمقياس كلفن.
- تمثيل رقمي لما حسبه إيثان وحدات الإرجاء الألف.
- إحصائيات حيوية للمائتين وخمسين شخصًا الأحياء على ظهر الكوكب.
- لقطات من طائرات من دون طيار.
- قراءات بيومترية كاملة عن المنحرفة الموجودة في الأسر.
- كأنه في مركز المراقبة على نحو مكثفٍ.

قال ليفين: أريد منك أن ترحل، لا أزعجني أحد هنا.

- لقد انتهى بيلتشر. إن لم تصلك مذكرة بهذا، فأنت تعمل تحت إمركي الآن.

- هذا الأمر محل جدال.

- ما هذا المكان؟

حدجه ليفين بنظرة مستنكرة من وراء نظارة سميكة.
عنيد، مقاوم.

قال إيثان: لن أرحل.

- أراقب الأنظمة التي تحافظ على استمرار مجمع البنية الفوقية ووايوارد باينز في العمل. نسميها "التحكم في المهمة".
- أي أنظمة؟

- كلها. الكهربائية، الهيكلية، التقطير، المراقبة، الإرجاء، التهوية، المفاعل الموجود تحتنا والذي يُشغّل كل شيء.

تحرك إيثان إلى عمق أكبر داخل هذا المركز العصبي.

- وأنت فقط المسؤول عن كل هذا؟

أفلتت ابتسامة صفراء من ليفين، وقال: لديّ أتباع.. كما تعلم، في حالة أن داهمتني حافلة عمياء.

ابتسم إيثان عندما لمح أول بادرة من جسّ مزاح شرير.

قال إيثان: سمعت أنك منغلق على نفسك..

- أنا مسؤول عن المحرك الذي يجعل وجودنا ممكناً. أعمل ثماني عشرة ساعة في اليوم، كل يوم. قبل عملية الدفن هذا الصباح، لم أكن قد رأيت السماء طوال ثلاث سنوات.

- لا تبدو هذه حياة كاملة.

- حسنًا، إنها الحياة التي لديّ، وصادف أني أحببتها.

اقترب إيثان من مجموعة شاشات في تجويف مظلم تعرض خطوطًا مشقّرة بسرعة شريط سوق الأوراق المالية.

تساءل إيثان: ما هذا؟

- جميل، أليس كذلك؟ أجري بعض الحسابات والتوقعات.

- توقعات حول...؟

أتى ليفين ووقف بجواره. راقب الخطوط المشقّرة وهي تنساب على الشاشات مثل مياه شلال.

أخيراً قال ليفين: قابلية الحياة والنمو لما تبقى من نوعنا. انظر، كانت الأمور سيئة قبل وقت طويل من نوبة الغضب التي انتابت ديفيد وجعلته يلقي بقومه إلى الذئاب.

- سيئة بمعنى؟

- اتبعني.

قاده ليفين إلى وحدة التحكم الرئيسية، حيث جلسا على مقعدين جلديين ضخمين في مواجهة مجموعة ممتدة من الشاشات.

قال ليفين: قبل المذبحة في الوادي، كان هناك مائة وستون نفسًا تعيش في الجبل، وأربعمائة وواحد وستون يعيشون في وايوارد باينز. ترجع بياناتنا إلى أربعة عشر عامًا فقط، لكن أول درجة تجمّد قاتلة تأتي عادةً في أواخر أغسطس. لم تقضِ أي شتاء هنا بعد، لكن الشتاءات طويلة وقاسية. يمكن أن يصل الجليد إلى عمق عشرة أقدام أو خمسة عشر قدمًا في الوادي. لا توجد حدائق نحصد منها. لا فاكهة ولا خضراوات. نعيش فقط على مخزوننا من الوجبات المجمدة-المجففة

والمؤن وحصص اللحوم. أتريد أن تسمع سرًا صغيرًا قدرًا؟ الآن بما أنك المسؤول عن كل شيء؟ لم ينو ديفيد بيلتشر لنا قط أن نبقي في هذا الوادي إلى أجل غير مسمى.

- عمّ تتحدث؟

- أخطأ في حساب مقدار ما سيصبح عليه هذا العالم من عدائية واستحالة عيش.

أحس إيثان بشيء يُعتم بداخله.

قال ليفين: أنا أجري حساباتي، لكن يبدو لي أن حصصنا الشتوية ستنفد خلال 4.2 سنوات. هناك أشياء يمكننا أن نفعلها الآن كي نؤجل المحتوم؛ مثل إلزام الناس بحصص مخفضة. لكن هذا لن يمنحنا على أقصى تقدير إلا عامًا آخر أو عامين.

- لا أريد أن أكون قاسي القلب، لكن أليس لدينا أفواه أقل كي نطعمها الآن؟

- نعم، لكن المنحرفين محوا مواشينا ومعمل ألباننا. لن يكون هناك لبن أو لحم. سيستغرق الأمر سنوات لإعادة بناء قطيع.

- إذن علينا أن نجد طريقة لتخزين ما نزرع من أجل الشتاء.

- نظامنا الحالي في البلدة لا ينتج ما يكفي من الطعام لتغذيتنا والادخار من أجل المستقبل.

- تقصد أننا نأكل ما نزرع؟

- بالضبط. وعلى الفور تقريبًا. نحن في أقصى الشمال. منذ ألفي عام، كان من المحتمل أن نتمكن من استثمار هذا الموسم الزراعي، لكنه يزداد قصرًا وقسوة. وهذه السنوات القليلة الماضية كانت الأبرد على الإطلاق. ها هو ما أردت أن أريك إياه.

أدخل ليفين شفرة جديدة عن طريق شاشة اللمس.
بدأت تظهر قائمة.

تفحص إيثان الشاشة أعلاه.

الأرز: 17%

الدقيق: 60%

السكر: 11%

القمح: 3%

الملح المدعوم باليود: 32%

الذرة: 0%

فيتامين سي: 55%

فول الصويا: 0%

اللبن المجفف: 0%

شراب الشعير: 4%

الشعير: 3%

الخميرة: 1%

واستمرت القائمة.

قال إيثان: أهذه هي المعدلات الأساسية للاحتياطي؟

- نعم، وكما ترى؛ هي معدلات خطيرة.

- وماذا كان يخطط بيلتشر كي يفعل؟

- بكامل سكاننا في البلدة، كان من المحتمل أن نملك القوة البشرية اللازمة لتوسيع حدائقنا بسرعة كافية لتلبية الطلب. كنا ندرس أيضًا بناء شبكة من الصوبات الزراعية، لكن المشكلة تكمن في كميات الجليد في الشتاء. لو تراكم ثقل كبير

على السقوف الزجاجية، ستنهار. مرةً أخرى، نحن في أقصى الشمال.

- هل يفهم الناس في الجبل ما هو آتٍ؟
- لا، لم يُرد ديفيد أن يُقلق أي شخص إلى أن نخرج بحلّ.
- ولم تخرجوا بحلّ..

قال ليفين: لا يوجد حل. تؤكّد نماذج السنوات الخمسية أن هذا الوادي سيصبح غير مأهول.. لو داهمنا شتاء سيئ حقًّا، وربما يحدث هذا أقرب مما نتوقع. نحن جميعًا من العصر الحديث. لو ساء الوضع، قد نتمكن من تبني نمط حياة زراعي في مناخ أكثر اعتدالًا. لكن مع طقس كهذا؟ نمط الحياة الوحيد الذي يمكن أن يتحملنا هو نمط الصيد وجمع الثمار والارتحال.

- غير أننا محبوسون في هذا الوادي.
- بالضبط.

تساءل إيثان: وماذا عن المنحرفين؟

- كمصدر للطعام؟
- نعم. بادئ ذي بدء، مصدر فظيع. ثانيًا، قمنا ببعض التجارب، وهناك خطر كامن كبير في المجازفة بالخروج وراء السور لقتلهم. لو فعلنا ذلك بشكل منتظم، سنفقد كثيرًا من قومنا. اسمع، أفهم أنك اكتشفت هذا الآن تَوًّا، لكن ثق بي؛ لقد كنت أتعامل مع هذه المشكلة طوال ثلاث سنوات. لم يكن هناك حل من قبل، وسيكون احتمال وجود حل أقل الآن.

- هل كنتَ تعلم ما يخطط له ديفيد؟
- تقصد قطع الكهرباء عن السور؟

- نعم.
- لا، كنت جالسًا هنا ليلة تعطيل السور. اتصلتُ به. لم يرد. فعلها من مكتبه، وحال بيني وبين دخول النظام.
- إذن هو لم يتشاور معك قبلها؟
- لم نكن أنا وديفيد على وفاق كبير تلك السنوات القليلة الماضية.
- ولماذا ذلك؟
- دفع ليفين مقعده إلى الورااء مبتعدًا عن وحدة التحكم، ودار به على أرضية الحجرة.
- ديفيد بيلتشر الذي تعرفه ليس هو الرجل ذاته الذي وظّفتني بعد أن جعلني أترك شركة لوكهيد مارتن⁽¹⁾. كانت نهاية وايوارد باينز تلوح منذ زمن طويل، لكن ديفيد لم يرغب في مواجهتها. أعتقد أنه الغرور؛ رفض الاعتراف بأنه غفل عن هذه الأزمة المحتملة، بأنه لم يتنبأ بها وبيتعد بنا جميعًا عن طريقها. مؤخرًا أصبح منسحبًا على نحو متزايد، شاردًا، منفعلًا. قتل ابنته. كان هذا هو الصدع الأول الكبير. ثم عندما سيطرت على البلدة وأخبرت السكان بالحقيقة، أعتقد أنه لم يعد باستطاعته التعامل مع الأمر. قال: "تبًا لهذا" وضغط زر التدمير الذاتي.
- إذن أنت تخبرني بأننا انتهينا، سنجوع جميعًا حتى الموت.
- ابتسم ليفين، وقال: هذا إن لم يُنه علينا المنحرفون أولًا.

(1) شركة أمريكية، هي أكبر شركة للصناعات العسكرية في العالم من حيث الدخل، توظف قرابة 140000 شخص. (المترجم)

نهض إيثان واقفًا، وشاهد الشاشة ترص قائمة الإمدادات الناضبة كأنها كتابات نبي يُنذر بيوم الدينونة، وقال: هل لديك قدرة على الدخول إلى كل قاعدة بيانات في هذا المجمع؟

- نعم.

- هل كنت تعرف بأمر رحّالة عاد للتوّ؟ آدم هاسلر؟

- سمعتُ نتفًا من ذلك.

- هل لديك إمكانية وصول إلى ملفه هنا؟

أمال ليفين رأسه وقال: لا أشعر حقًا بحماس كبير للمسار الذي تتخذه هذه المحادثة.

- أريدك أن تسحب ملفه.

- لماذا؟

- قبل وايبورد باينز، كنا نعمل أنا وهاسلر معًا. كان المشرف عليّ في جهاز الخدمة السرية، وهو من أرسلني إلى هنا. لم تكن لدي فكرة عن وجوده هنا إلى أن رأيته في الشارع منذ بضعة أيام. اكتشفتُ أن هاسلر كان يعيش هنا قبل أن يُخرجني بيلتشر من حالة الإرجاء، ولا أعتقد أن هذه كانت مصادفة، ثمّة شيء ما لا يبدو سليمًا.

عاد ليفين مسرعًا إلى وحدة التحكم، وأخذ يعمل على شاشات اللمس.

تساءل: ماذا تريد أن تعرف بالضبط؟

ظهر وجه هاسلر على الشاشة، بعينين مغلقتين وبشرة شاحبة؛ صورة ما بعد الإرجاء.

كفّ ليفين عن النقر، ودار في مقعده وقال: أوه، لا أعتقد أنني سأبلغ هذا المستوى من التفاصيل، سيكون عليك أن تسأل بيلتشر نفسه.

خطا إيثان داخل القفص، ووجد ديفيد بيلتشر يأكل عشاءه: خليط كريبه مجمّد-مجفف من مخزونات الشتاء. بدا الرجل العجوز أكبر سنًا مع بدايات لحية بيضاء تغزو وجهه، وعندما جلس إيثان أمامه في الزنزانة الضيقة، تساءل فقط كم من الغضب يعتمل أسفل السطح. كان لدى إيثان الكثير من الغضب بدوره. لم يستطع أن يطرد من عقله صورة تلك العائلات المنتحبة، وصوت تلك المعاول وهي تحفر في التراب. كل هذا الألم من صنّع هذا الرجل.

قال إيثان: لا يحمل هذا رائحة طهي تيم..

رفع بيلتشر عينيه إليه.

نظرة قاسية، ساخطة، متحدية.

- إنه أشبه بخراء شيطان في طبق. لا بد أن هذا يمنحك سعادة هائلة.

- ماذا؟

- رؤيتي على هذا النحو؛ منبؤًا في قفص صنّع كي يؤوي وحشًا.

- كنت لأقول إنه يؤدي غرضه تمامًا.

- ظننت أنك نسيتني هنا يا إيثان.

- لا، كنت فقط مشغولًا بترتيب الفوضى التي صنعتها.

ضحك بيلتشر وقال: الفوضى التي صنعتها؟

- آدم هاسلر.

- ماذا عنه؟
- سمعتُ أنه قبل إخراجي من حالة الإرجاء، كان آدم يعيش مع زوجتي وابني.
- بقدر ما أتذكر، كانوا سعداء إلى حدِّ كبير أيضًا.
- كيف أصبح آدم هاسلر من سكان وايوارد باينز؟
- ومضت لحظة من الحياة في زوايا عيني بيلتشر.
- تساءل: وماذا يهم الآن؟
- من الأفضل لك ألا تعبت معي.
- نحى بيلتشر طبقه جانبًا.
- قال إيثان: قيل لي إنه أتى هنا كي يبحث عني بعد اختفائي، وإنك اختطفته، إنه استيقظ هنا مثلي تمامًا، مثلما استيقظ كل من في البلدة.
- إمام.. شيء مثير للاهتمام. من باب الفضول، من نصحك بالمجيء لرؤيتي بشأن هذا؟ هل كان فرانسيس ليفين؟
- هذا صحيح.
- لعلَّ فرانسيس شاركك أيضًا بعض الأخبار الصادمة عن احتمالاتنا في المستقبل؟ وعندما أستخدم ضمير الجمع "نا" هنا فأنا أقصد بالطبع الجنس البشري.
- أخبرني عن هاسلر.
- سنجوع جميعًا حتى الموت في غضون سنوات. هل تعتقد حقًا أنك أهل لحل هذه المشكلة يا إيثان؟ جاهز لحمل هذا العبء على كتفيك؟ ماذا ستفعل؟ هل ستطرح الأمر

للاقتراع؟ اسمع، لقد أفسدتُ الأمر، أعي ذلك. لكنك في حاجة إليّ، كلكم في حاجة إليّ.

وقف إيثنان بصعوبة، وبدأ يتحرك نحو الباب.

قال بيلتشر: طيب، طيب. في البداية كانت مجرد رشوة عادية..

- وما هي الرشوة العادية؟

- المال. لشراء صمت آدم عنك وعن كيت هيوسون وبيل إيفانز، لإغلاق التحقيقات عن اختفائكم، لكن بعد ذلك تغيّر شيء ما.. قرر أنه يريد أن يأتي معي ومع طاقمي.. أن يكون جزءًا من رحلتنا.

سحب إيثنان ذراعه اليمنى إلى الورااء ولكم الباب.

لطخت الدماء المتفجرة من مفاصل أصابعه المكدومة سطح الفولاذ.

ضرب الباب مرة أخرى.

قال بيلتشر: بيني وبينك، اعتقدت دائمًا أن هاسلر وغد متعجرف. تركته يقضي عامًا طيبًا في واوارد باينز، وبعد ذلك أرسلته في مهمة انتحارية وراء السور. لم يعد قط.

صاح إيثنان مناديًا الحارس.

قال بيلتشر: أنت في حاجة إليّ، أنت تعرف أنك في حاجة إليّ، إذا لم يفعل شيء، سننقرض في غضون...

- لم يعد هذا شأنك بعد الآن.

- عذرًا؟

مكتبة

t.me/soramnqraa

فتح الحارس الباب.

تساءل إيثان: ما رأيك في العشاء؟

- ماذا؟

- عشاؤك، كيف كان؟

- فظيع.

- آسف بشأن هذا، خاصةً وأنه عشاؤك الأخير.

- ماذا يعني هذا؟

- هل تذكر عندما سألتني ماذا سيحدث لك، وقلت إن الأمر يرجع إلى الناس في اتخاذ القرار؟ حسنًا، لقد قرروا. قمنا باقتراع منذ بضع ساعات، بعد أن أنهينا دفن كل الناس الذين قتلتهم، وسيحدث الليلة.

خرج إيثان إلى الممر، بينما بيلتشر يصرخ باسمه.

وقت المغرب.

الشمس خلف المرتفعات الصخرية بالفعل.

السماء مغطاة بطبقة متكتلة من الغيوم بدا أنها تنذر بسقوط الثلج.

لم تعد الكهرباء إلى البلدة حتى الآن، لكن رغم ذلك عاد حفنة من الأشخاص إلى بيوتهم ليبدووا عملية التنظيف والترتيب، ومحاولة إعادة تجميع أشلاء حياة لعلها لن تلتئم من جديد.

من بعيد، كانت كومة المنحرفين ما زالت تحترق.

لم يكن إيثان واثقًا من ماهية الأمر -ربما نهاية النهار، أو السحب الداكنة، أو اللامبالاة الباردة الرمادية للمرتفعات الصخرية الشاهقة-

لكن وايوارد باينز بدت -ربما لأول مرة منذ جاء إلى هنا- كما هي على حقيقتها بالضبط: البلدة الأخيرة على الأرض.

أوقف سيارته عند حاجز الرصيف أمام منزله الفيكتوري في الشارع السادس.

خطر له أن اللون الأصفر الزاهي والإطار الأبيض نشاز في ضوء ما حدث في الأيام القليلة الماضية.

لم يعد أحد منهم يعيش في عالم يجب أن تكون الحياة فيه زاهية الألوان أو يمكن الاحتفاء بها. لقد أصبحت الحياة شيئًا تتشبث به، تعض عليه بأسنانك لتقاوم الألم، مثل قطعة المطاط في جلسة علاج بالصدمة الكهربائية.

دفع إيثنان باب السيارة الجيب بكتفه ليفتحه ونزل إلى الشارع.

ران الصمت على الحي.

والضجر.

والتوتر.

لم تكن هناك أي جثث ظاهرة، لكن بقعة كبيرة من الدماء ما زالت تلتخ الرصيف في الجوار. سيتطلب الأمر يومًا كاملًا من المطر الشديد لإزالتها.

خطا فوق حاجز الرصيف.

من الفناء الأمامي على الأقل، بدا منزله سليمًا.

لا نوافذ مكسورة.

ولا بابًا مهشمًا.

سار على الممر المبلط، وصعد إلى الشرفة الأمامية. صرّت الألواح الخشبية.

فتح الباب السلكي، ودفع الباب الخشبي الصلب ليفتحه.

كان البيت مظلمًا وباردًا في الداخل، وجلس آدم هاسلر على المقعد الهزاز إلى جوار موقد الحطب الخامد، يبدو أقرب إلى نسخة باهتة من الرجل الذي يتذكره إيثنان.

خرج صوت إيثنان مثل زمجرة منخفضة: ماذا تفعل في منزلي بحق الجحيم؟

تطلع إليه هاسلر، وقد برزت عظام وجنتيه ومحجرا عينيه من شدة الهزال.

أجابه: صدّقني، أنا مندهش لرؤيتك مثلك تمامًا.

وفجأة، كانا على الأرض؛ وإيثنان يصارع كي يحيط بيديه عنق هاسلر حتى يتمكن من اعتصار الحياة اللعينة من داخله. ظن أن حالة هاسلر الهزيلة قد تجعل التغلب عليه سهلًا، لكن قوة الرجل المشدودة كانت حاضرة ومرنة.

ضم هاسلر فخذيته، وقلب إيثنان على ظهره.

تأرجح إيثنان، وارتدّت قبضته من فوق كتف هاسلر.

عاجله هاسلر بلكمة قوية صاعقة.

استحالت الدنيا أمام إيثنان إلى سماء من الألعاب النارية.

تذوق طعم الدم، وأحسّ به يسيل على وجهه بينما تحترق أنفه.

قال هاسلر: لم تعرف قط ما لديك.

وجّه إليه لكمة أخرى، لكن إيثنان أمسك بذراعه عند الكوع وجذبه في الاتجاه العكسي.

صرخ هاسلر عندما انشدّت الأربطة.

دفعه إيثان نحو المقعد الهزاز المقلوب ونهض متعثراً، باحثاً عن أي سلاح، أي شيء صلب وثقيل.

نهض هاسلر من جديد، وتقدم في وضع ملاكم.

كانت غرفة المعيشة أكثر ظلاماً بالنسبة إلى إيثان من أن يرى اللكمات القادمة.

وجّه هاسلر إليه ضربة بالكوع، ثم لكمة خطافية قوية باليمين كان من الممكن أن تُفقد إيثان الوعي لو لم يكن هاسلر في هذه الحالة الضعيفة.

لكنها رغم ذلك لوت عنق إيثان وجعلته يدور حول نفسه تسعين درجة بينما هاسلر يعاجله بضربة مؤلمة في كُليته.

صرخ إيثان، وتعثّر متراجعاً إلى داخل البهو بينما استمر هاسلر في التقدم، هادئاً ورابط الجأش.

قال هاسلر: مباراة غير متكافئة.. أنا فقط أفضل منك.. وكنت هكذا دائماً.

التفت أصابع إيثان حول مشجب المعاطف الحديدي.

قال هاسلر: بل إني أحببت زوجتك أفضل مما يمكنك أن تحبها.

قذف إيثان القاعدة المعدنية الصلبة في قوس شق الهواء.

انحنى هاسلر بسرعة.

صنع الرف ثقباً في حائط الجبس.

اندفع هاسلر مهاجماً، لكن إيثان استقبله بضربة كوع في فكه جعلت ركبتي الرجل تلتويان. هبطت قبضة إيثان بأول ضربة مباشرة على وجه هاسلر، وانسحقت عظمة وجنته من قوة الضربة، وأحس إيثان بشعور طيب غامر حتى إنه ضربه مرة أخرى، ومرة أخرى،

ومرة أخرى. ازداد هاسلر ضعفاً، وازداد إيثان قوةً، ومع كل لكمة ازدادت الحاجة إلى إلحاق أذى أكبر أضعافاً مضاعفة. اندلع الخوف بداخله في دوامة من العنف.

الخوف مما يمكن أن يفعله هذا الرجل.

الخوف مما يمكن أن يستلبه هاسلر منه.

الخوف من فقد تيريزا.

أفلت إيثان عنق هاسلر، وأنَّ الرجل على البلاط.

انتزع مشجب المعاطف من الجدار، وقبض على المعدن بيديه ورفع القاعدة الثقيلة فوق رأس هاسلر.

سأقتله.

رفع هاسلر عينيه إليه، وقد استحال وجهه كتلة من الدماء، وانتفخت إحدى عينيه منغلقة، وامتلات الأخرى بإدراك لما هو آتٍ.

قال: افعلها.

قال إيثان: لقد أرسلتني إلى هنا لأموت، أكان هذا من أجل المال؟ أم حتى تتمكن من نيل زوجتي؟

- تستحق ما هو أفضل بكثير منك.

- هل عرفت تيريزا أنك رتبت كل هذا حتى تتمكن من أن تكون معها؟

- قلت لها إني آتيت إلى هنا كي أبحث عنك، وإني تعرضت لحادث تحطم سيارة، كانت سعيدة معي يا إيثان، سعيدة حقاً.

للحظة طويلة، وقف إيثان فوق هاسلر على وشك أن يشق جمجمة الرجل.

يريد أن يفعل ذلك.

ولا يريد أن يكون الرجل الذي سيفعلها.

ألقى بمشجب المعاطف عبر غرفة المعيشة، وانهار على الخشب الصلب إلى جوار هاسلر، وكُلّيته تنبض أماً.

قال إيثنان: نحن هنا بسببك؛ زوجتي، ابني...

- نحن هنا لأنك منذ ألفي عام ضاجعتَ كيت هيوسون ودمرتَ زوجتك.. لو لم تنتقل كيت إلى بويسي قط، لما أتت قط إلى واوارد باينز، لم يكن بيلتشر ليختطفها قط هي وبيل إيفانز. ولم تكن ستبيعي له قط.

- فقط كي أكون واضحًا، كنت ستغدو ميتًا الآن لو لم أقم...

- لا، كنا سنعيش حياتنا في سياتل.

- أتسمي ما كنت تعيشه أنت وتيريزا حياة؟ كانت بائسة. كنت تعشق امرأة أخرى. تريد أن تجلس هنا وتخبرني أن ما فعلته كان خطأ؟

- هل قلتَ ما قلتَ بجدية؟

- لم يعد هناك حق وباطل يا إيثنان. لم يبقَ إلا النجاة. عرفتُ هذا في سنواتي الثلاث والنصف التي قضيتها متجولًا في ذلك الجحيم وراء السور. لذا لا تنظر إليَّ أملًا في أن ترى لمحة من الندم.

- هل صار الأمر الآن اقتل أو سَتُقتَل؟ أهذا ما وصلنا إليه؟

- هذا ما كنا فيه دائمًا.

- إذن لماذا لم تقتلني؟

ابتسم هاسلر، ولاحت الدماء بين أسنانه.

- عندما عدتَ سائرًا إلى مجمع البنية الفوقية من منزل كيت ليلة أمس؟ كنتُ هناك. في الغابة. وكان الظلام محيطًا، وليس هناك إلاك وإلاي. كان معي سكينني القتالي، نفس السكين الذي قتلت به المنحرفين في صراع يدٍ لمخلب.. لا يمكن حتى أن تتخيله. لا تعرف كم كنتُ قريبًا.

أحس إيثان بشيء بارد يهبط على عموده الفقري.

تساءل: وما الذي منعك؟

مسح هاسلر الدماء من عينيه.

- فكرت كثيرًا في هذا. أعتقد أن هذا لأني لست صلبًا كما أودُّ أن أكون. كما ترى، في عقلي، أعلم أنه لا يوجد حق ولا باطل، لكن قلبي لم يعقد هذه الصلة. وَصَلَاتِي الداخلية الصلبة ابنة القرن الواحد والعشرين عميقة أكثر من اللازم. مؤسسية أكثر من اللازم. ضميري يعوقني.

حدَّق إيثان إلى رئيسه القديم عبر الظلمة المتزايدة في غرفة المعيشة.

تساءل إيثان: وإلى أين يقودنا هذا؟

- أفضل لحظات حياتي عشتها هنا، مع تيريزا.. مع ابنك.

تأوّه هاسلر وهو يرفع جسده ليجلس مستندًا إلى الجدار.

حتى في الضوء الواهي، أمكن لإيثان أن يرى فك الرجل بادئًا في التورم، وخرجت كلمات هاسلر الآن مشوهة غير متوازنة.

قال هاسلر: سأرحل بعيدًا، إلى الأبد، بشرطٍ وحيدٍ.

- هل تعتقد أن لديك الحق في الاشتراط؟

- ألا تعرف تيريزا أبدًا بما حدث بالفعل.

- ستفعل هذا فقط كي تستمر في حبك.

- لقد اختارتك يا إيثان.

- ماذا؟

- اختارتك.

اجتاحه شعور بالارتياح.

آلمه حلقة من فورة العاطفة.

قال هاسلر: والآن بما أن الموضوع انتهى، لا أريدها أن تعرف. احترم هذه الأمنية، وسأجعل موقفًا مستحيلًا يغدو ممكنًا.

قال إيثان: يوجد خيار آخر..

- وما هو؟

- يمكنني أن أقتلك.

- هل تملك هذا فيك يا صديقي القديم؟ لأنه لو كان الأمر هكذا، خذ راحتك.

نظر إيثان إلى موقد الحطب البارد، إلى ضوء المساء الداخِل عبر النوافذ. تساءل كيف يمكن لهذا المنزل أن يمنح شعورًا بأنه بيته مرة أخرى.

قال إيثان: لستُ قاتلاً..

- هل ترى؟ كلانا أرقُّ من أن يكون كفوًّا لهذا العالم الجديد.

نهض إيثان وسأله: هل كنت في الخارج طوال ثلاث سنوات ونصف؟

- هذا صحيح.

- إذن فأنت تعرف عن هذا العالم الجديد أكثر مما يعرف أي شخص فينا.
- ربما ذلك.
- ماذا لو كان عليّ أن أخبرك أننا لا نستطيع البقاء في وايوارد باينز أكثر من ذلك؟ أننا في حاجة إلى مغادرة هذا الوادي والذهاب إلى مكان أدياً، حيث يمكن أن تنمو المحاصيل؟ هل تعتقد أنه ستكون لدينا فرصة؟
- في النجاة جماعةً على الجانب الآخر من السور؟
- نعم.
- يبدو هذا أقرب إلى انتحار جماعي. لكن لو لم يكن لدينا خيار فعلاً؟ إذا كان ليس أمامنا إلا البقاء في هذا الوادي والموت أو تجربة التحرك جنوباً؟ أظن أنه سيكون علينا أن نجد طريقة.

في طريقه إلى الكافيتريا، توقف إيثنان مرة أخرى عند قفص المنحرفة. كانت نائمة، متكومة في ركن قرب الحائط، وقد ازدادت نحولاً وهشاشة حتى عن المرة الأخيرة التي رآها فيها.

مرّ بإيثنان واحدٌ من فنيي المعمل الذين يعملون في وحدة احتجاز المنحرفين متوجّهاً نحو الدَرَج.

ناداه إيثنان: "مهلاً.." فتوقف العالم ذو المعطف الأبيض في منتصف الممر، والتفت ليواجهه. سأله إيثنان: "هل هي مريضة أم ماذا؟"

ابتسم العالم الشاب ابتسامة قبيحة، وقال: إنها في حالة جوع حتى الموت.

- أنتم من تجوعونها؟

- لا، بل هي ترفض أن تأكل أو تشرب.

- لماذا؟

هزَّ الرجل كتفيه، وقال: لا فكرة لدينا، ربما لأننا أقمنا محرقة لكل أبناء عمومته.

ضحك العالم ضحكة مكتومة مع نفسه، واستمر في سيره في الممر.

وجد إيثنان زوجته وابنه جالسين حول طاولة جانبية في الكافيتريا المزدحمة. عندما رأت الكدمات في وجهه، اتسعت عيناها المتورمتان الحمراوان من الدموع.

سألته: ماذا حدث؟

- هل كنتِ تبكين؟

- سنتحدث فيما بعد.

تكوّن العشاء من عبوات أشياء مريعة مجمّدة-مجففة.

لازانيا من أجل إيثنان.

طبق لحم بقري ستروجانوف⁽¹⁾ من أجل بن.

عجّة الباذنجان من أجل تيريزا.

كل ما استطاع إيثنان أن يفكر فيه هو كم تكلفهم هذه الوجبة الواحدة.

(1) طبق روسي من قطع لحم البقر المقلية في صلصة الخردل والسميتانا. منذ نشأته في روسيا في منتصف القرن التاسع عشر، أصبح ذا شعبية كبيرة في جميع أنحاء العالم، مع اختلاف كبير عن الوصفة الأصلية. (المترجم)

وجبة أقرب إلى اللا شيء.

ولا يملك أحد أي فكرة عن مقدار السرعة الذي تتقلص به المون. هم فقط يرون من البديهي أن يدخلوا هذه الكافيتريا، أو يذهبوا إلى الحدائق المجتمعية، أو بقالة البلدة، ويجدوا الطعام.

إلى أين سيذهب التحضر عندما ينفد كل شيء؟

تساءل إيثان: أتريد أن نتكلم عما سيحدث في وقتٍ لاحقٍ الليلة يا بن؟

- ليس حقًا.

قالت تيريزا: ليس عليك أن تذهب إذا لم تكن راغبًا في رؤيته يا حبيبي.

- أريد أن أرى ما سيحدث. هذا هو عقابه على ما فعله، أليس كذلك؟

قال إيثان: نعم، ويجب أن نفعل ذلك كما تفهم لأنه لم تعد لدينا محاكم. لا قضاة ولا هيئات مُحلِّفين. علينا أن نعالج المسألة بأنفسنا، وهذا الرجل أذى كثيرًا من الناس؛ يجب أن يتم الأمر بشكل صحيح. بعد العشاء، أعاد إيثان ابنه إلى مقراتهم، وطلب من تيريزا أن تتمشى معه.

قال وهما يصعدان السلم في ثقائل: إذن فقد تشاجرنا أنا وهاسلر..

- إيثان! يا إلهي! ماذا تكونان؟ مراهقان في المدرسة الثانوية؟

بعد ثلاثة أبواب على الناحية اليمنى من ممر المستوى الرابع، دفع إيثان بطاقته في جهاز القارئ، وجذب بابًا فولاذيًا ثقيلًا ليفتحه. صعدا إلى منصة صغيرة.

قال إيثان: "تمسكي بالدرابزين..". وضغط زرَّ السهم الصاعد.

ارتفعت المنصة عبر الأنبوبة الصخرية كأنها مصعد فائق السرعة.

أربعمائة قدم إلى أعلى مباشرةً.

عندما ارتجَّت أخيراً متوقفة، نزلا منها إلى ممشى امتد عشرين قدماً إلى أن انتهى عند باب فولاذي ثانٍ. دفع إيثان بطاقته مرة أخرى، أزرَّ القفل. جذب الباب ليفتحه وخرجاً إلى جدار من البرد الصادم.

تساءلت تيريزا: ما هذا المكان؟

- اكتشفته منذ بضعة ليال عندما سهرت ولم أستطع النوم.

كانت الغيوم التي احتشدت في وقتٍ سابقٍ قد انقشعت.

وكانت النجوم تخطف الأنظار.

لامعة وحادة.

وقفنا في دربٍ محفورٍ بعرض ثلاثة أقدام في الصخر. على الجانبين، سقط الجبل في غياهب النسيان.

قال: أعتقد أن الناس يصعدون إلى هنا كي يدخنوا، أو كي ينالوا القليل من الهواء النقي. إنها أسرع طريقة لرؤية نور النهار الحقيقي دون الاضطرار إلى عبور النفق إلى البلدة، يسمون هذا الشريط فتحة السقف.

- إلى أي مسافة يمتد؟

- بين كل هذه القمم العالية. لو ظللت عليه، قيل لي إنه يلتف هابطاً إلى داخل الغابة غرب الكور.⁽¹⁾

تمشياً فوق الحافة الحادة كالسكين.

قال إيثان: بعد أن أبرح أحدنا الآخ ضرباً، تحدثنا أنا وآدم.

- يبدو هذا أقرب إلى الحد الأدنى من سلوك الكبار.

(1) أرض واسعة محفورة في شكل دائرة غير مكتملة، تظهر على هيئة منخفض، كالجفنة أو القصة، ذات جوانب شديدة الانحدار، تكونت نتيجة للحث الجليدي أو الثلجي في المناطق الجبلية. (المترجم)

- قال إنك اخترتني.

توقفت تيريزا وواجهته.

كان في مقدوره الشعور بالبرد يُنمّل أطراف وجنتيه.

- وصلتُ إلى اختيار بسيط جدًّا بالنسبة إليّ يا إيثان: هل أفضل أن أحب أم أحب؟

- عمّ تتحدثين؟

- كان آدم ليفعل أي شيء من أجل...

- وأنا أيضًا...

- هلاً أنصت؟ قلت لك إن أحدًا لن يحبني كما أحبني آدم، وكنْتُ أعني ما قلت. لكنني لم أحب قط أحدًا كما أحبك. أحيانًا كنت أكره نفسي بسبب ذلك، لأني كنت أشعر بالضعف. عندما تمنيت أن أتمكّن من تقوية نفسي أمامك والرحيل، لم أتمكّن من فعل ذلك قط، حتى بعد كيت. كأنك تملك سطوة من نوع ما عليّ، إنه شيء ثمين يا إيثان، وكان من الأفضل لك أن تحرص عليه.. لقد آذيتني من قبل.. وبطريقة سيئة.

- أعرف أنني أفسدت الأمور في الماضي.. أعرف أنني لم أعاملك بالطريقة التي تستحقين أن تعاملي بها.

- إيثان...

- لا، حان دوري الآن.. اللعنة! لقد دمرت كل شيء.. في عملي، ومع كيت، وبعدم التعامل مع أزمتي لللعينة منذ الحرب. لكنني أحاول يا تيريزا.. منذ استيقظتُ في هذه البلدة، وأنا أحاول، أحاول أن أحميكِ أنت وبن، أحاول أن أحبكِ بأفضل ما يمكنني من طرقٍ.. أحاول أن أقوم بالاختيارات الصحيحة.

- أعرِف أنك فعلتَ.. أرى ذلك.. أرى ما يمكننا أن نكون.. هذا كل ما أريده.. كل ما أردته أصلاً، [وقبّلتَه] عليك أن تعديني بشيء يا إيثان.

- ماذا؟

- أنك ستترفق بآدم.. علينا جميعاً أن نعيش معاً في هذا الوادي الآن.

حدق إيثان إلى وجه تيريزا، مقاوِماً الرغبة في إخبارها بكل ما فعله ذلك الرجل. وأخيراً قال: سأحاول.. من أجلك.

- أشكرك.

وأكملا سيرهما.

سألته: ما الخطب يا حبيبي؟

- إمم، كل شيء.

- لا، هناك شيء آخر. شيء جديد. كنت غريب الأطوار على العشاء.

نظر إيثان إلى الوادي الضيق أسفلهما بثلاثة آلاف قدم. لقد مرَّ شهر واحد فقط على لقائه الأول بالمنحرفين هناك، وبقدر ما كانت تجربته مروعة، كان على الأقل يعرف الأمل وقتها. كان ما زال يؤمن بوجود العالم في الخارج. أنه لو تمكَّن فقط من الهروب من هذه البلدة، من هذه الجبال؛ سيجد أسرته وحياته في انتظاره هناك في سياتل.

- إيثان؟

- نحن في أزمة.

- أدرك هذا.

- لا، أقصد أننا لن ننجو منها.. كنوعٍ.

- إيثان، لقد قضيت هنا وقتًا أطول منك. أحيانًا يبدو الأمر ميؤوسًا منه، وهو كذلك الآن أكثر من أي وقتٍ مضى، لكن لدينا كل ما نحتاج إليه في واوارد باينز.

قال: الطعام ينفد.. تلك الأشياء التي أكلناها الليلة؟ تلك الوجبات المجمدة-المجففة؟ لا يوجد تموين لا نهائي، وبمجرد أن ينتهي، لن نتمكّن من زراعة ما يكفي من الطعام في هذا الوادي ليكفينا عبر الشتاءات الطويلة القاسية. لو كنا في مكان ما أبعد إلى الجنوب، ربما كان يمكننا أن نُفْلِح، لكننا محبوسون في هذا الوادي. آسف لإبلاغك بهذا، لكنني لا أريد أن أكتُم شيئًا عنك.. لا مزيد من الأسرار.. أحتاجك إلى جانبي، لأنني لا أعرف ماذا أفعل.

تساءلت تيريزا: كم لدينا من الوقت؟

- خمس سنوات.

- وماذا سيحدث بعد ذلك؟

- وبعد ذلك نموت.

هاسلر

عبر النهر في الناحية الشرقية من البلدة، وقد سرى الخدر في ساقيه
قبل أن يخرج متعثراً من الماء على الشط البعيد.

صعد على أربع عبر أشجار الصنوبر المتشعبة بجانب التل المنحدر.

إلى أعلى.

إلى أعلى.

إلى أعلى.

مائة قدم أعلى البلدة، صارت التضاريس عمودية، لكنه لم يتوقف،
ظل يجاهد صاعداً في طريقه إلى أعلى الجرف، أعلى وأعلى.

يتسلق دون خوفٍ.

دون حرصٍ.

لم يستطع أن يصدق أنه يتسلق فعلياً ذلك الجرف الانتحاري. خلال العام الذي عاشه في البلدة مع تيريزا، سعد شخصان هذا الامتداد الصخري وقفزا إلى حتفهما. كانت هناك وفرة من الخيارات القاتلة الأخرى على المرتفعات الصخرية التي تحيط بوايوارد باينز، لكن هذا الجرف على وجه الخصوص كانت له ميزة أنه الأكثر عمودية وانحداراً. لا توجد أي احتمالات لإفشال القفزة بالصدفة والارتداد من نتوء ما بعد اصطدام غير ضروري به. لو أفلح المرء في الوصول إلى القمة دون أن يسقط، فيمكنه أن يضمن سقوطاً دون مقاطعة إلى هوة النسيان.

توقف هاسلر عن الصعود عند ارتفاع خمسمائة قدم أعلى الوادي على نتوء صخري طويل.

تداعى على الجرائيت البارد، وفكه ينبض. لعله كان مكسوراً.

هبط الليل، ورقدت البلدة مظلمة أسفله، وتوهجت الشوارع المرصوفة بوهجٍ ناعمٍ تحت ضوء النجوم. تجمدت ساقا بنطاله حدَّ التيبس.

وعندما بدأ الشعور بالقشعريرة، فكر في حياته، والسلام الذي وصل إليه بينما كان يترنح ناهضاً من جديدٍ كان هو الآتي: من بين ثماني وثلاثين سنة، كانت واحدة فقط هي السحرية. عاش في منزل أصفر كناري مع حب حياته، ولم يكن هناك يوم استيقظ فيه بجوار تيريزا ولم يعرف أنه يوم طيب.

تاق إلى مزيدٍ من الوقت معها، لكن حقيقة أنه عاش أي قدر من الوقت معها أصلاً...

كانت كافية.

كافية كي يتشبث بها.

استغرق الأمر منه لحظة، لكنه وجد بيتهما هناك في الظلام.

عندما ثبتت نظرتة عليه، رآه ليس كما هو عليه؛ خاويًا ومظلمًا، بل كما كان في الضوء الناعم اللطيف لتلك الأمسيات الصيفية وهو يسير نحو الشرفة الأمامية، نحو كل ما يحب.

خطا إلى الحافة.

لم يكن خائفًا.

لا من الموت، ولا من الألم. لقد مرَّ في مهمته الاستكشافية بألم يكفي أعمارًا عديدة، والموت شيء تأهَّب له منذ وقت طويل. وعلى أي حال كان الموت يحمل، بالنسبة إليه على الأقل، وعدًا بالسلام. ثنى ركبتيه كي يقفز.

انترعته ضجة من لحظته تلك كأنها جبل مظلة تفتتح.

التفت، ولم يستطع أن يرى شيئًا تقريبًا في الظلام، لكنه أدرك أنه صوت شخص يبكي.

قال: أهلاً؟

توقف البكاء.

تساءل صوت امرأة: مَنْ هناك؟

- هل أنتِ بخيرٍ؟

- لو كنتِ بخيرٍ، أعتقد أنني كنت لأصعد إلى هنا؟

- نعم، أظن أن هذه نقطة وجيهة. هل تريدني أن آتي إليك؟

- لا.

تراجع هاسلر عن الحافة، وجلس بهدوء على الصخر، وقال: لا ينبغي لك أن تفعلني هذا..

- عذرًا؟ وماذا تفعل أنت هنا بحق الجحيم؟ يمكنني أن أخبرك بنفس الكلام اللعين.
- نعم، غير أنني ينبغي لي فعليًا أن أكون هنا.
- لماذا؟ لأن حياتك شديدة البؤس أيضًا؟
- أتريد أن تسمعي قصتي الباكية؟
- لا، أردت أن أقفز قبل الآن. استجمعت أخيرًا شجاعتي قبل أن يقاطعني هذا الأحمق. هذه هي المرة الثانية التي أصعد فيها إلى هنا.
- تساءل هاسلر: وماذا حدث في المرة الأولى؟
- كانت في النهار، وأنا أكره المرتفعات. جَبَنْت.
- سأله: لماذا أنت هنا؟
- سأخبرك إذا لم تحاول أن تنقذني.
- اتفقنا.
- تنهدت المرأة وقالت: فقدت زوجي عندما اجتاح المنحرفون البلدة.
- آسف لسماع ذلك.. هل تزوجتما في وايوارد باينز؟
- نعم، وأعلم ما تفكر فيه، لكنني أحببته. أحببت أيضًا هذا الرجل الآخر الموجود هنا. العجيب أن أحدنا كان يعرف الآخر في حياتنا السابقة. هو موجود هنا مع زوجته وابنه، وعندما جاء ليخبرني أن زوجي قُتل، سألته إن كانت أسرته قد نجت.
- وهل نجت؟

- نعم، لكن هل تعلم؟ ثمة جزء مني، جزء أكبر مما أريد أن أعترف به، كان حزينًا بالفعل لأنها عاشت. لا تفهمني خطأ، أفتقد زوجي بشدة، لكنني ظللت أفكر...

- لو قُتلت زوجته، فيمكنكما أنتما الاثنان...

- صحيح، إذن بالإضافة إلى فقد زوجي، وبالإضافة إلى حقيقة أنني لا أستطيع أن أكون مع هذا الرجل الذي أحبه، يتبين أيضًا أنني إنسانة حقيرة.

ضحك هاسلر.

- هل تضحك عليّ؟

- لا، أعتقد فقط أنه من الظريف أن تعتقدي أن هذا شيء رهيب. هل تريدين أن تسمعي شيئًا رهيبًا؟

- فاجئني.

- في حياتي من قبل، أحببت امرأة، لكنها كانت متزوجة من هذا الرجل الذي يعمل تحت إمرتي. وأنا... رتبْتُ سلسلة من الأحداث حتى يخرج زوجها من الصورة. أتعلمين؟ كنت أعرف ماهية هذه البلدة عندما أنشئت منذ ألفي عام. تأكدت من قيام ديفيد بيلتشر باختطاف هذه المرأة، وبعد ذلك تطوعت كي أدخل حالة الإرجاء حتى أتمكن من أن أكون معها عندما تستيقظ. عشنا معًا في وايلورد باينز، ولم تعرف قط أنها جاءت إلى هنا بسببي. بعد عام، أرسلتُ إلى مهمة خارج السور، لم يكن مفترضًا بي أن أعود قط. كل يوم كنت فيه هناك، كان التفكير فيها هو ما يبقيني مستمرًا، ما يبقيني أتففس، وأضع قدمًا أمام الأخرى. ورغم كل الاحتمالات المستحيلة، نجحت في

العودة. ظننت أني سأعود إليها، إلى استقبال يليق ببطلٍ، لكنني بدلاً من ذلك، وجدت زوجها هنا والبلدة دُمرت.

في ظلمة الوادي بالأسفل، بدأت نقاط ضئيلة من نور النار تتجمع في الشارع الرئيسي.

قال هاسلر وهو يراقبها: لذا تسلقت إلى هنا لأنهي حياتي. أنتِ فكرتِ في أشياء شريرة، لكنني فعلتها. هل يغير هذا من منظور الأمور؟

تساءلت: لماذا صعدتَ إلى هنا؟

- أخبرتك للتو.

- لا، أقصد.. هل هذا لأنك لا تستطيع العيش مع ما فعلته؟ أم لأنك لا تستطيع أن تكون معها؟

- لأنني لا أستطيع أن أكون معها. اسمعي، لن أكف عن حبها فقط لأن زوجها موجود. ليست هذه هي الطريقة التي يعمل بها قلب الإنسان، لا يمكنني أن أبتز إحساسي. لم نعد نعيش في عالم كبير واسع يمكنني فيه أن أنتقل إلى مدينة أخرى، في ولاية أخرى. لا توجد حياة بديلة في انتظاري هناك كي أكملها. هذا هو كل شيء. إلى أي رقم تقلّصنا؟ مائتان وخمسون شخص؟ لا أستطيع أن أتجنّبها، وما أشعره تجاهها هو ما شكّلني لوقت طويل الآن. لا أعرف الشخص الذي سأكونه لو حاولت أن أبتعد عنها.

- أتفهم ذلك.

- والمضحك أني بقدر ما أنا شرير، فإنني لا أجد فيّ القدرة على قتل زوجها. هل يوجد مصير أسوأ من أن يكون المرء نصف شرير؟

للحظة، لم يكن هناك صوت إلا الهمس الموحش للرياح وهي تهب على الصخر.

أخيراً قالت المرأة: أعرفك.. يا آدم هاسلر.

- كيف؟

- كنت أعمل تحت إمرتك.

- كيت؟

- أليست الحياة عجيبة؟

- يمكنني أن أتركك وحدك الآن لو...

- أنا لا أحكم عليك يا آدم.

سمع صوت نهوضها، وتحركها نحوه.

في غضون دقيقة، خرجت من الظلام، وهي ما زالت مجرد ظل، وجلست إلى جواره، وقد تدلّت أقدامهما من الحافة معًا.

سألها: هل بنطالك متجمد أيضًا؟

- نعم، أنا متجمدة حتى النخاع. هل تعتقد أن هناك معنى ما

وراء تسلقنا نحن الاثنين إلى هنا كي نقفز في نفس الليلة؟

- ماذا تقصدين؟ مثلًا.. أن الكون يقول "لا تفعلوا"؟ ألا يمكننا أن

نتفق أن الكون لم يعد يبالي، وربما لم يبالي قط؟

رنت كيت نحوه، وقالت: لا أبالي إن قفزنا معًا أو هبطنا معًا. لكن

أيًا كان الأمر، دعنا لا نفعله وحيدين.

بيلتشر

قبض أحدهم على ذراعه، وجذبه ليهبط من الشاحنة. كانت أول مرة يخرج فيها منذ أيام، لكنه لم يستطع أن يرى أي شيء عبر الغمائم السوداء فوق رأسه.

تساءل بيلتشر: ماذا يجري؟

انتزع الغمائم.

رأى الأضواء... خمسون أو ستون، أو ربما مائة. كشافات يدوية ومشاعل يحملها سكان وايوارد باينز، وأتباعه من الجبل، كلهم أحاطوا به في دائرة محكمة من الأجساد. عندما تأقلمت عيناه، رأى أبنية الشارع الرئيسي تطل عليه، وواجهاتها ونوافذ محلاتها مغمورة بنور النار.

وقف رجلان معه في الدائرة؛ إيثان بيرك ورئيس جهازه الأمني: آلان سير.

تساءل بيلتشر: ما هذا؟ هل ستقيمون مهرجاناً من أجلي؟
نظر حوله إلى كل الوجوه، المختفية في الظل، والمشوهة بنور النار.
الغاضبة والمحتدة.

قال إيثنان: أجرينا اقتراحاً..

- ومن اقترع؟

- الجميع إلاًك. كان المهرجان موضع اقتراح، لكن في النهاية لم
يبدُ صحيحاً الحكم عليك بالموت مستخدمين نفس المنهج في
الرقابة الذاتية الذي فرضته على مواطني وايوارد باينز.

اقرب إيثنان خطوة منه، وأنفاسه تتكاثف في البرد.

- انظر إلى هؤلاء الناس يا ديفيد. كل واحد هنا فَقَدَ أسرة، فَقَدَ
أصدقاء، بسببك.

ابتسم بيلتشر في مواجهة الغضب.

الغضب القاتل الذي يصهر الأرواح.

تساءل: "بسببي؟ هذا جنوني؟" وخطا مبتعداً عن إيثنان، وتحرك إلى
منتصف الدائرة.

- ما الذي كان يمكنني أن أفعله لكم أيها الناس أكثر مما فعلت؟
أعطيتكم الطعام، أعطيتكم المأوى، أعطيتكم الغاية. حميتكم
من المعرفة التي لا يمكنكم التعامل معها، من الحقيقة
القاسية للعالم الموجود وراء السور، وكان على كل واحد منكم
أن يفعل شيئاً واحداً، شيئاً واحداً! لعيناً!

وصرخ بهذه الكلمات: أن تطيعوني.

لمح نظرة ثابتة من امرأة تقف على مبعدة عدة أقدام، ودموعها
تلتمع وهي تسيل على وجنتيها.

دموع كثيرة جدًا في هذا الحشد.

ألم كبير جدًا.

وفي يوم من الأيام، كان من الممكن أن يهتم، لكنه الليلة لا يرى إلا الجحود، والاستحقاق، والتمرد.

صرخ: ماذا كان يمكنني أن أفعله من أجلكم أكثر من هذا بحق اللعنة؟

قال إيثنان: لن يجيبوك..

- إذن ما هذا؟

- هم هنا ليسيروا معك.

- يسيروا إلى أين؟

التفت إيثنان إلى أقرب قسم من الحشد، وقال: "هل يمكن أن تفسحوا الطريق جميعًا من فضلكم؟" وعندما انشق الحشد، قال إيثنان: أنت أولاً يا ديفيد.

حدق ديفيد إلى الشارع المظلم.

نظر إلى إيثنان.

- لا أفهم.

- ابدأ السير.

- إيثنان...

دفعه أحدهم من الورا، وعندما استعاد بيلتشر توازنه، التفت ليري آلان يحدجه بحدة قاتلة.

قال آلان: قال المأمور لك تحرك، والآن أنا أقول لك: إذا لم تستطع أن تُحرك ساقيك، سنكون سعداء بجرك من ذراعيك.

بدأ بيلتشر السير في اتجاه الجنوب من الشارع الرئيسي، بين المباني المظلمة، وإيثان يسير على جانب، وآلان على الآخر.

تبع الحشد الرجال الثلاثة كأنهم في مسيرة احتجاجية، واران صمت متوتر على الجميع. لم يتكلم أحد. لم يكن هناك صوت إلا وقع الأقدام وهي تحتك بالأسفلت ونشيج مكتوم من وقت لآخر.

حاول أن يستجمع أطراف الصورة، لكن ذهنه كان محموماً.

إلى أين سيأخذوني؟

هل سنعود إلى مجمع البنية الفوقية؟

إلى مكان للإعدام؟

مرؤوا بمطعم آسبن هاوس ثم بالمستشفى.

عندما تحرك الجميع على الطريق المؤدي إلى الغابة جنوب البلدة، أدرك بيلتشر ما سيحدث.

نظر إلى إيثان.

اجتاحه الخوف مثل دفقة من النتروجين السائل.

بطريقة ما ظل يسير.

عند المنحنى في الطريق، خرج الجميع من الأسفلت وتوجهوا إلى داخل الغابة، وبيلتشر يفكر: لم ألقِ حتى نظرة إلى الورا، لم أحصل قط على لمحة أخيرة من واوارد باينز.

خيّمت طبقة ضحلة من الضباب على الغابة، وبدت المشاعل كأنها أضواء سحرية تشقها.

كأنها نقاط نار شفافة.

ازداد شعور بيلتشر بالبرد لحظة بعد لحظة.

سمع طنين السور.

كانوا يسرون بجواره.

ثم صاروا واقفين عند البوابة. حدث كل هذا بسرعة شديدة، كأنه لم يمر أي وقت منذ أزالوا الغماء عن رأسه في منتصف الشارع الرئيسي.

قدم إيثان حقيبة ظهر صغيرة ليلتشر.

- يوجد بعض الطعام والماء بالداخل. ما يكفي لعدة أيام إذا صمدتَ لهذه الفترة.

اكتفى بيلتشر بالتحديق إلى الحقيبة.

تساءل: كلكم لم تملكوا الشجاعة لقتلي فعلياً بأنفسكم؟

قال إيثان: لا، العكس تمامًا في الحقيقة، كلنا أردنا ذلك بشدة، أردنا أن نعذبك، أن نترك كل شخص نجاً ينتزع رطل لحم منك. ألا تريد الحقيبة؟

قبض بيلتشر عليها، وألقى الحزام على كتفه.

مضى إيثان إلى لوحة التحكم، وضغط الرقم السري لإيقاف الكهرباء يدويًا.

توقف الطنين.

صارت الغابة هادئة.

نظر بيلتشر إلى كل ناسه.. أهل البلدة، وأهل الجبل. آخر الوجوه البشرية التي ستقع عيناه عليها إلى الأبد.

- أيها الملاحين الجاحدون! كنتم ستموتون جميعًا منذ ألفي عام لولاي. خلقت فردوسًا من أجلكم. جنة على الأرض. أنا ربكم! وتملكون الجرأة لطرده الرب من الجنة!

قال إيثان: أعتقد أنك فهمت كتابك المقدس خطأ؛ لم يُطرد الرب، بل كان الشخص الآخر هو من طُرد.

فتح إيثان البوابة.

نظر بيلتشر إلى إيثان، نظرة طويلة وقاسية، ثم حدج الحشد بنظرة نارية.

عبر خارجًا من الأمان إلى الجانب الآخر من السور.

أغلق إيثان البوابة.

وسرعان ما استعادت الخطوط طينها الحامي.

شاهد بيلتشر الحشد وهو يلتفت مبتعدًا عنه، وأضواء الكشافات والمشاعل تتراجع في الضباب.

ثم صار واقفًا وحده في الغابة الباردة المظلمة.

توجه جنوبًا إلى أن أصبح طنين السور غير مسموع.

لم يكن ضوء النجوم القادم عبر قمم أشجار الصنوبر كافيًا كي ينير طريقه.

عندما تعبت ساقاه، جلس مستندًا إلى جذع شجرة صنوبر.

من بعيدٍ، على مسافة ميل أو نحو ذلك، صرخ منحرف.

جاوبه آخر، أقرب بكثيرٍ.

ثم آخر.

سمع بيلتشر صوت الخطوات.

هناك في الظلام، كان شيء ما يجري.

يجري في اتجاهه.

إيثان

عند أول ضوء، خرج إيثان من المجمع يقود واحدة من سيارات فريق الأمن المدرعة، وابنه جالس بجواره في مقعد الراكب الأمامي.

عبر الأشجار.

والجلاميد.

ثم صعد إيثان إلى الطريق الرئيسي، متوجهاً إلى الجنوب من البلدة. عند المنعطف الحاد، خرج من الطريق إلى داخل الغابة وهبط من فوق الحاجز، وهو يتحرك بحرص بين الأشجار.

عندما وصلا السور، سار إيثان في موازاته، وقاد السيارة إلى أن عادا إلى البوابة.

أطفأ المحرك.

كان من الممكن سماع طنين التيار الساري عبر خطوط الفولاذ الشائكة حتى من داخل الشاحنة.

تساءل بن: هل تعتقد أن مستر بيلتشر قد مات الآن؟

- لا فكرة لدي.

- لكن المنحرفين سينالون منه في النهاية، أليس كذلك؟

- هذا أكيد.

ألقى بن نظرة عبر النافذة الخلفية إلى مقطورة الشاحنة، وقال: لا أفهم لماذا نفعل هذا يا أبي؟

- لأنني لم أستطع التوقف عن التفكير في ذلك الشيء هناك.

والآن نظر إيثنان إلى داخل مقطورة الشاحنة.

جلست المنحرفة حبيسة المجمع بلا حراكٍ في قفص من الزجاج الشبكي، تحديق إلى الغابة.

قال إيثنان: هذا غريب، العالم ملكهم الآن، لكن ما زلنا نملك شيئاً لا يملكونه.

- ماذا؟

- الطيبة، اللياقة. هذا ما يعنيه أن تكون إنساناً، على الأقل في أفضل حالاتنا.

بدا بن متحيراً.

قال إيثنان: أعتقد أن هذه المنحرفة مختلفة.

- ماذا تقصد؟

- لديها ذكاء، ورقة لم أرها في أي من الآخرين، ربما لديها أسرة تريد أن تراها مرة أخرى.

- ينبغي لنا أن نطلق عليها الرصاص، ونحرقها مع كل الباقين.
- وماذا سيحقق هذا؟ يغذي غضبنا لبضع دقائق؟ ماذا لو فعلنا العكس؟ ماذا لو أرسلناها إلى عالمها برسالة عن النوع الذي كان يعيش ذات يوم في هذا الوادي؟ أعرف أن هذا جنون، لكنني متمسك بفكرة أن تصرفاً صغيراً طيباً يمكن أن يكون له صدى حقيقي.

فتح إيثان بابه، وخطا إلى الغابة.

تساءل بن: ماذا تقصد؟ كأنها قد تغير المنحرفين، ربما يصبح المزيد مثلها؟

سار إيثان إلى مؤخرة الشاحنة، وأنزل الباب الخلفي.

قال: الأنواع تتطور. في البداية، كان الإنسان صياداً وجامعاً للثمار، كان يتواصل عبر الهمهمات والإيماءات، ثم اخترعنا الزراعة واللغة، أصبحنا قادرين على الطيبة.

- لكن هذا استغرق آلافًا من السنين، سنموت جميعاً قبل أن يحدث هذا أصلاً.

ابتسم إيثان وقال: أنت محقُّ يا بني؛ سيستغرق هذا وقتاً طويلاً، طويلاً، طويلاً.

التفت ليواجه المنحرفة. كانت تجلس في هدوء داخل قفصها، وما زالت عيناها ثقيلتين بفعل المهدي الذي أمر إيثان العلماء بإعطائها إيَّاه.

جذب المسدس الديزيرت إيجل من الجراب، وصعد إلى مقطورة الشاحنة، وأزال أقفال القفص، وفتح الباب عدة بوصات.

دمدم شيء ما بين الهرير والزمجرة في حلق المنحرفة.

قال إيثان: لن أؤذيكِ.

تراجع ببطء مبتعدًا، ونزل من فوق مقطورة الشاحنة.

راقبته المنحرفة.

بعد لحظة، دفعت باب القفص لتفتحه بذراعها اليسرى الطويلة
وزحفت خارجة.

تساءل بن: ماذا لو فعلت شيئًا؟ ماذا لو هاجمت...

قال إيثان: "لن تؤذينا. هي تعرف مقصدي"، ونظر إيثان في عينيها
قبل أن يقول: أليس كذلك؟

انطلق نحو السور، وتبعته المنحرفة ببطء، على مبعدة خطوات
خلفه.

عند البوابة، نقر إيثان شفرة إيقاف الكهرباء يدويًا، وانتظر بينما
تنفتح المزاليج.

ران الصمت على السور.

دفع البوابة بحذائه العالي ليفتحها.

قال إيثان: هيا، أنتِ حرة الآن.

راقبته المنحرفة في حذرٍ وهي تمر به منسلّةً، وتضغط جسدها عبر
الفتحة، منفلتة إلى عالمها.

- بابا، هل تعتقد أن في إمكاننا أن نعيش معهم جنبًا إلى جنب؟

بعد عشرة أقدام في الخارج، ألقت المنحرفة نظرة وراها نحو
إيثان.

أمالت رأسها.

راقبته للحظة، وكان في إمكانه أن يقسم إن لديها شيئاً ما تقوله،
بعينها الطافحتين بالذكاء والفهم.

لم تكن هناك كلمات.

لكن إيثنان فهم.

وفجأة، أدرك ما تريد أن تقوله.

قال: نعم، هذا صحيح.

وغمز بعينه...

ورحلت.

جلس إيثنان مع تيريزا على إحدى دكك المتنزه، يراقبان بن؛ الذي
وقف في منتصف الحقل، يحدق إلى السماء في الأعلى. على ارتفاع
مائتي قدم تقريباً، سبحت طائرة ورقية مع النسيم. تطلّب الأمر
من الصبي عدة محاولات كي يجعل الطائرة ترتفع وتبتعد عن الهواء
الساكن قرب السطح، لكن البقعة الحمراء صارت الآن قطعة على
خلفية من الزرقة الكاملة، تدور في دوامات مع تيارات الهواء.

شيء لطيف أن تجلس وتشاهد طفلاً يلهو بطائرة ورقية، وكان هذا
أول صباح منذ أيام، وربما أسابيع، لا يحس المرء أنه شتوي.

- إيثنان، هذا جنون.

قال: لو بقينا في هذا الوادي، سنموت جميعاً في غضون سنوات، لا
شك في هذا حتى، إذن لماذا نُجري اقتراعاً على هذا؟

- دع الناس يقررون.

- ماذا لو...

- دع الناس يقررون.
- يفهم الناس الأمور على نحو خاطئ.
- هذا صحيح، لكن عليك أن تتصور أي نوع من القادة سوف تكون.
- أعرف ما هو القرار الصحيح يا تيريزا.
- إذن أقنعهم بفكرتك.
- إنها مهمة صعبة، مجازفة. وماذا سيحدث لو اتخذوا الخيار الخاطئ؟ حتى أنتِ على الأعراف.
- لو كان خيارًا خاطئًا فهو قرارنا يا حبيبي.. إذا كنت راغبًا في فرض هذا على الناس، فما المغزى من إخبارك لهم بالحقيقة عن وايبورد باينز؟
- قال إيثان: لقد تسببتُ في كل هذا، كل هذا الموت والمعاناة والخسارة، قلبتُ حياتنا رأسًا على عقب، والآن أريد فقط أن أصلح الأمور.
- هل أنت بخير؟
- قال: "أنا مرعوب"، احتضنت يده بين يديها. "أنت لا تطلبين مني فقط أن أثق باختيار الناس لمصيرهم. أنت تطلبين مني أن أثق باختيارهم لمصيرك.. لمصير بن ركض ابنيهما في الحقل، وهو يجرُّ الطائرة الورقية خلفه، ضاحكًا. "يومَ اقتحمتُ مجمع البنية الفوقية، أخبرني بيلتشر أني سأصل إلى فهم الأشياء التي فعلها، والخيارات التي اتخذها".
- وهل تفهمها الآن؟
- بدأت أحس بالعبء الذي كان يحمله على كتفيه.

قالت تيريزا: لم يثق بناسه كي يتخذوا الخيارات الصحيحة لأنه كان خائفًا، لكنك لستَ مضطراً إلى أن تكون كذلك يا إيثان، لو فعلت ما تعلم بقلبك أنه صحيح، لو أعطيت الناس حرية اختيار مصيرهم وغيبتهم...

- قد نموت جوعاً في هذا الوادي.

- هذا صحيح، لكنك ساعتها لن تكون قد قوّضت نزاهتك، هذا هو الشيء الوحيد الذي يجب أن تخافه.

تلك الليلة، وقف إيثان حيث بدأ كل شيء؛ على خشبة المسرح العارية في دار الأوبرا، تحت وهج الأضواء الحارق، مع آخر مائتين وخمسين شخص على الكوكب ينظرون إليه.

قال للجمع: ها نحن ذا، الإنسانية في نهاية العالم. نحن هنا الآن بسبب الخيار الذي اتخذته بإبلاغ الجميع حقيقة واوارد باينز. لا تعتقدوا أنني قد فاتني ذلك. خسر كثير منكم أحبابهم، لقد عانينا جميعاً. سأعيش مع اختياري، وما تكلفه لبقية حياتي، لكن الآن، حان الوقت للتفكير في المستقبل. في الحقيقة، هذا هو كل ما كنت أفكر فيه طوال الأسبوع الماضي.

جلس أفراد المجموعة الأساسية في دائرة بيلتشر الداخلية معاً في الكواليس يسار خشبة المسرح؛ فرانسيس ليفين، آلان، ماركوس، موستين، يراقبونه جميعاً.

كان الصمت في المسرح تاماً.

صمتٌ مخيمٌ.

قال: أعرف أننا جميعًا نحاول أن نتصور إلى أين نمضي من هنا، ماذا سيحدث بعد ذلك، كيف ستكون حياتنا، لدينا بعض الحقائق الصعبة التي يجب أن نواجهها، وعلينا أن نواجهها معًا.. وحالًا. إليكم الحقيقة الأولى: طعامنا ينفد.

سرت عبر الجمع شهقات وهمسات.

صاح أحدهم: كم لدينا من وقت؟

قال إيثنان: نحو أربع سنوات، وهو ما يؤدي بنا إلى الحقيقة الثانية: لا يمكننا البقاء في هذا الوادي. أقصد، يمكننا.. حتى التعطل التالي للسور، حتى يأتي شتاء لم نتخيله من قبل، حتى تنفذ إمداداتنا من الغذاء. معنا هنا فرانسيس ليفين من مجمع البنية الفوقية، ويمكنه أن يشرح لكم كافة التفاصيل، ويوضح بدقة لماذا لم تعد حياتنا مستدامة في وايوارد باينز. لكنني لم آت بكم إلى هنا فقط كي أكون حامل الأخبار السيئة، لدي أيضًا عرض لمسار حركة جديد، شيء جذري وخطير وجريء، قفزة في الظلام.

دار إيثنان بعينه حتى وجد تيريزا وسط الحشد.

- كي أكون صادقًا، فكرت كثيرًا حتى في طرح هذا كخيار. قال لي صديق مؤخرًا إننا أحيانًا نجد أنفسنا في مواقف تتعلق بالحياة أو الموت، يجب على رجل قوي أو رجلين قويين أن يقررا كيف تسير الأمور. لكنني أعتقد أننا انتهينا جميعًا من مسألة إخضاع حياتنا للسيطرة. لا أعرف كيف، لكننا سنجد طريقنا لاجتياز هذا. ما يعنيه هذا في النهاية بالنسبة إليّ أنني أفضل لنا أن نتخذ خيارات خاطئة كجماعة عن العيش في غياب الحرية. كانت تلك هي الطريقة القديمة، كانت تلك هي طريقة بيلتشر. لذا فإن كل ما أطلبه أن تسمعوني، وبعد ذلك سنقرر ما يجب أن نفعله.. معًا.. كبشر أحرار.

القسم العاشر

بعد شهر

إيثان

ما زالت هناك لحظات مثل هذه، حيث تعود الكهرباء لتعمل من جديدٍ وتنبعث رائحة طهي تيريزا من المطبخ، وحيث يبدو كل شيء طبيعيًّا؛ كما كان يمكن لأي ليلة في منتصف الأسبوع خلال حياة إيثان السابقة.

بن في غرفة نومه بالطابق العلوي.

إيثان يجلس في حجرة المكتب، يدوّن ملاحظات من أجل الغد.

من النافذة، في ضوء المساء، يمكنه أن يرى منزل جنيفر روشستر المظلم. لقد قتلت جنيفر في الاجتياح، وتكفّل البرد مؤخرًا بقتل حديقته كذلك.

لكن أعمدة الإنارة عادت لتعمل.

الصرابير تُصرُّ عبر المكبرات في شجيرة بعيدة.

افتقد بيانو هيكتر جاير، افتقد عزفه وهو ينساب من أجهزة الراديو في كل منازل وايوارد باينز.

كان يودُّ لو نسي نفسه مع الموسيقى مرة أخيرة.

للحظة واحدة فقط، وهو جالس في المقعد الضخم، أغلق إيثان عينيه، وترك الشعور بعادية الأمور يغمره.

حاول أن يُبعد عن ذهنه هشاشتهم وضعفهم.

لكن هذا لم يكن ممكناً.

لم يكن هناك مجال للتصالح مع حقيقة أنه فرد في نوع على حافة الانقراض.

كانت هذه الحقيقة تملأ كل لحظة بمعناها.

كانت هذه الحقيقة تملأ كل لحظة بالرب.

دخل المطبخ ليشم رائحة سلق المكرونة وتسبيك صلصة الاسباغيتي.

قال: رائحة رائحة..

اقترب من ظهر تيريزا الواقفة عند الموقد، وأحاط بذراعيه خصرها، وقبّل مؤخرة عنقها.

قالت: آخر وجبة في وايوارد باينز، سنتناول وليمة الليلة، سأنظف الثلاجة من كل ما فيها.

- كلفيني بأي مهمة.. يمكنني أن أغسل هذه الأطباق.

قالت وهي تُقلّب الصلصة: أعتقد ربما أنه لا بأس من تركها.

ضحك إيثان.

صحيح.

بالطبع لا بأس.

مسحت تيريزا عينيها.

قال: أنتِ تبكين..

- أنا بخيرٍ.

أمسك بذراعها، وأدارها برفق، وسألها: ما الأمر؟

- أنا فقط خائفة، هذا كل شيء.

كانت هذه آخر مرة يجلسون فيها معًا حول طاولة العشاء تلك.

نظر إيثان إلى تيريزا.

إلى ابنه.

وقف.

رفع كوب الماء.

قال: "أود أن أقول بضع كلمات لأهم شخصين في حياتي" وارتعش صوته بالفعل. "لستُ مثاليًا.. في الحقيقة، أنا أبعد ما يكون عن ذلك. لكن لا يوجد شيء لن أفعله لأحميكِ يا تيريزا.. وأنتِ يا بن. لا شيء. لا أعرف ما يحمله الغد، أو بعد غد، أو اليوم التالي" وعبس في مواجهة الدموع التي تجمعت في عينيه. "أنا فقط ممتنٌ جدًا لوجودنا معًا في هذه اللحظة".

التمعت عينا تيريزا.

عندما جلس، مهزوزًا، مدَّت يدها وأمسكت بيده.

كانت هذه آخر ليلة ينام فيها على حشية طرية.

اشتبك جسده بجسد تيريزا، مدفونين تحت جبل من الأغصان.

تأخر الوقت، لكنهما كانا ما زالا مستيقظين. كان في مقدوره أن يشعر برموشها ترفُّ على صدره.

همست: هل يمكنك أن تصدِّق أن هذه حياتنا؟

- لم ينتهِ الأمر بعد، ولا تعتقدي أنه سينتهي أبدًا.

- ماذا لو لم يفلح هذا؟ ماذا لو متنا جميعًا؟

- هذا احتمال حقيقي.

قالت: ثمة جزء فيَّ يريد أن يلعب في الأمان، ربما لم يبق لدينا إلا أربعة أعوام، إذن ماذا لو جعلناها أعوامًا سعيدة؟ نتذوق كل لحظة، كل قزمة من طعام، كل نفس من هواء، كل قبلة، كل يوم لا نجوع فيه ولا نظماً ولا نهرب بأعمارنا.

- لكننا عندئذٍ سنموت حتمًا؛ سينتهي نوعنا.

- ربما هذا ليس شيئًا سيئًا إلى هذا الحد، لننا فرصتنا، وفشلنا.

- علينا أن نستمر في المحاولة، نستمر في المقاومة.

- لماذا؟

- لأن هذا ما نفعله.

- لا أعرف إن كنت مهياة لهذا.

انفتح باب غرفة نومهما محدثًا صريرًا.

تناهى إليهما صوت بن: ماما؟ بابا؟

تساءلت تيريزا: ما الأمر يا صاحبي؟

- لا أستطيع النوم.

- اصعد إلى الفراش معنا.

زحف بن بين الأغطية، ودس نفسه بينهما.

تساءل إيثنان: أهذا أفضل؟

قال بن: نعم، أفضل بكثير.

رقدوا جميعًا في الظلام، ولم يتحدث أحد.

نعس بن أولًا.

ثم تيريزا.

وما زال إيثنان غير قادر على النوم.

جلس مستندًا إلى كوع واحد وراقب أسرته، راقبهما طوال الليل، إلى أن التمعت السماء خارج النوافذ، وانبلج الفجر في يومهم الأخير في وايوارد باينز.

في كل منزل عبر الوادي، بدأت الهواتف ترنُّ.

خرج إيثنان من المطبخ حاملًا فنجانًا من القهوة السادة، ورفع سماعة هاتفهم ذي القرص الدوّار في الرنّة الثالثة.

رغم أنه كان يعرف الرسالة القادمة، إلا أن معدته انقبضت عندما وضع السماعة على أذنه، وأنصت إلى صوته شخصيًا يقول: يا أهل وايوارد باينز، حان الوقت.

أمسك إيثنان بالباب الأمامي مفتوحًا من أجل تيريزا، وهي تخطو خارجة إلى الشرفة الأمامية حاملةً صندوقًا كرتونيًا مليئًا بصور مؤطرة

أسرتهم؛ الممتلكات المادية الوحيدة التي قرروا أنها تستحق أن يأخذوها معهم.

كان صباحًا جميلًا للرحيل.

بطول وعرض مربعهم السكني، كانت عائلات أخرى تخرج من منازلها، البعض يحملون صناديق صغيرة مليئة بأغلى ممتلكاتهم، وآخرون بلا شيء إلا الملابس على أجسادهم.

نزل آل بيرك من الشرفة الأمامية، وعبروا الفناء الأمامي، وخرجوا إلى الشارع.

التقى كل السكان في الشارع الرئيسي، وتحركوا في كتلة واحدة نحو الغابة على أطراف البلدة الجنوبية.

لمح إيثنان أمامهم كيت، وقد علقت حقيبة ظهر على كتفها، تسير مع آدم هاسلر.

أحس بوخزة من شيء لم يستطع أن يفهمه تمامًا، وفكر أن بعض المشاعر ربما تكون أعقد مما يجب، لكن حيثما كان هذا الشعور في طيف ألوان المشاعر، فهو بالتأكيد في منطقة الحنين.

أفلت يد تيريزا وقال: سأعود.

لحق إيثنان بشريكته السابقة، عندما كانت المجموعة تمر بمطعم آسبن هاوس.

قال: صباح الخير..

نظرت إليه وابتسمت: هل أنت مستعد للقيام بهذا؟

- إنه جنون، أليس كذلك؟

- بعض الشيء.

مكتبة
t.me/soramnqraa

قال هاسلر: "أهلا إيثنان" لقد فعل شهر وسط الحضارة الأعاجيب بالرجل؛ اكتسب هاسلر ما يكفي من الوزن لأن يبدو أشبه تقريبا بذاته القديمة مرة أخرى.

- آدم، كيف تسير أموركما يا شباب؟

- بخير، على ما أظن.

قالت كيت: أتعلم؟ أشعر كأني على وشك الانطلاق في هذه الرحلة المرعبة، ولا فكرة لديّ إلى أين ستتجه.

مرُّوا بالمستشفى، وعاد إيثنان بتفكيره إلى تلك المرة الأولى التي استيقظ فيها على وجه الممرضة بام الباسم. إلى تلك الأيام الأولى التي تجول فيها مذهولاً في أرجاء هذه البلدة، حائرًا، يحاول، رغم ذلك، الاتصال بالبيت ولا يستطيع الوصول إلى أسرته. تذكّر المرة الأولى التي رأى فيها كيت، وقد صارت أكبر بتسع سنوات مما ينبغي لها أن تكون.

يا لها من رحلة!

نظر إيثنان إلى كيت، وقال: سيصبح الوضع جنونيًا بعد قليل. كنت أفكر أننا ربما يجب أن نتبادل الوداع هنا.

توقفت كيت في منتصف الطريق، وآخر سكان وايوارد باينز يتقدمون بجوارهم. الطريقة التي ابتسمت بها، وضوء شمس الصباح الباكر في وجهها، وعيناها نصف المغمضتين.. بدت أشبه بكيت القديمة، ابنة سياتل. أشبه بأسوأ وأفضل خطأ ارتكبه في حياته.

تعانقا.

بقوة.

قالت كيت: أشكرك على قدومك للبحث عني منذ كل تلك السنين، وآسفة لأن الأمر انتهى على هذا النحو.

- لم أكن لأغير أيًا من هذا.

همست: فعلت الشيء الصحيح، لا تشك في هذا أبدًا.

وصلت إليهما تيريزا.

ابتسمت لكيت.

ثم ذهبت إلى هاسلر، واحتضنته.

وعندما افترقا، تساءلت: هل تريدون يا شباب المشي معنا قليلًا؟

قال آدم: "سنحب ذلك.." وتساءل إيثان في عقله، بينما يقف هناك مع زوجته وابنه وعشيقتة السابقة والرجل الذي خانه ذات مرة، أهكذا تبدو الأسرة في هذا العالم الجديد؟ لأنه مهما حدث في الماضي، في هذا الحاضر المرعب؛ يحتاج الجميع إلى الجميع.

بينما آخر الحشد يغدُّ الخطى متجاوزًا إيّاهم، تهادوا في سيرهم حيث يدخل الطريق الرئيسي الخارج من وايلارد باينز إلى ظلام الغابة. خلفهم، ربضت البلدة مهجورة.

شمس الصباح متوهجة على الشوارع.

زجاج واجهات المتاجر يلمع في الجانب الغربي من الشارع الرئيسي.

تأملوا كل هذه المنازل الفيكتورية الطراز ذات السياجات الخشبية.

كل المرتفعات الصخرية المحيطة.

أشجار الحور المتحولة والرياح تعرّي أغصانها من آخر أوراقها الذهبية.

في هذه اللحظة، كان كل هذا شاعريًا... للغاية.

إبداع بيلتشر البارع والمجنون.

أخيراً، أشاحوا بوجوههم وتابعوا السير على الطريق معاً، إلى داخل الغابة، بعيداً عن واوارد باينز.

جلس إيثان إلى وحدة التحكم الرئيسية في مركز المراقبة، على جانبه آلان، وعلى جانبه الآخر فرانسيس ليفين.

تساءل ليفين: ما هي بالضبط الغاية من هذه الرسالة؟

قال إيثان: في حالة عثر أحدهم على هذا المكان..

- أجد هذا شيئاً مستبعداً تماماً.

تساءل آلان: هل تعلم ما تريد أن تقوله؟

- كتبتُ شيئاً ليلة أمس.

تراقصت أصابع آلان على شاشة اللمس.

قال: مستعد عندما تستعد..

- فلنفعلها.

- نحن نسجل.

أخرج إيثان قصاصة الورق من جيبه الخلفي، وفتحها، ومال مقترباً من الميكروفون.

قرأ قطعته المكتوبة.

عندما انتهى، أوقف آلان التسجيل.

- أحسنت القول أيها المأمور.

أعلاهم، كان صف الشاشات الخمس والعشرين ما زال يبتُّ سلسلة دورية من لقطات المراقبة من الوادي.

الممرات الخاوية في قبو المستشفى.

الرواق الخاوي في المدرسة.

المتنزه الفارغ.

البيوت الخاوية.

الشوارع المهجورة.

نظر إيثان إلى فرانسيس ليفين وسأله: هل نحن مستعدون؟

- لقد أوقف تشغيل كل الأنظمة غير الحيوية.

- الجميع مستعدون؟

- الأمر قيد التنفيذ بالفعل.

بينما كان إيثان يسير وحيداً في ممر المستوى الأول، انطفأت المصابيح المعلقة في السقف واحداً بعد الآخر. عندما وصل إلى الأبواب الزجاجية المنزلة التي تفتح على الفلك، ألقى نظرة وراءه عبر الطرقة بينما آخر ضوء في الطرف البعيد من الممر ينطفئ.

كان الجو قد صار أكثر برودة بالفعل؛ بعد أن عطلت أنظمة التدفئة والتهوية.

وكانت الأرضية الحجرية للمغارة الهائلة متجمدة تحت قدميه الحافيتين.

كان الجو ثلجياً داخل وحدة الإرجاء، أعلى من درجة التجمد ببضع درجات فقط. ثمة حركة في كل مكان، مغلفة بضباب مشرب بالزرقة.

أزّت الماكينات، وتصاعدت منها دفعات من غاز أبيض.

شق إيثنان الضباب، وانعطف عند زاوية، وشق طريقه بين صفين من الماكينات.

كان هناك رجال يرتدون معطف معمل بيضاء يساعدون سكان وايوارد باينز على الصعود داخل وحدات الإرجاء. توقف عند الماكينة القائمة في نهاية الصف. قرأ على لوحة الاسم الرقمية:

كيت هيوسون

تاريخ الإرجاء: 19/9/2012

بوسي، أيدهو

مواطنة: 8 سنوات، 9 شهور، 22 يوم

كانت بالفعل في الداخل.

أطلَّ إيثنان عبر لوح الزجاج الذي يبلغ اتساعه بوصتين والممتد على واجهة الماكينة.

حدقت كيت بدورها إليه، محبوسة داخل وحدة إرجائها. كانت ترتعد.

وضع إيثنان يده على الزجاج.

حرك شفثيه بعبارة: سيكون كل شيء على ما يرام.

أومأت برأسها.

أسرع عبر ثلاثة صفوف أخرى، شاقاً طريقه عبر مزيد من الأشخاص في منامات بيضاء.

كانت تيريذا جاثية أمام بن، تحتضنه، وتهمس في أذنه.

أحاطهما إيثنان بذراعيه، واحتضن أسرته بقوة.

تدفقت الدموع.

قال بن باكيًا: لا أريد أن أفعل هذا يا بابا، أنا خائف!

قال إيثان: وأنا خائف أيضًا، كلنا خائفون وهذا مفهوم.

تساءلت تيريزا: ماذا لو كانت هذه هي النهاية؟

حدق إيثان إلى عيني زوجته الخضراوين.

قال إيثان: إذن اعلمي أنني أحبك.. حان الوقت.

ساعد بن على الوقوف، وأمسك بذراع الصبي وهو يخطو داخل

الماكينة.

كان ابنه يرتعد.. من البرد ومن الخوف.

أراحه إيثان على المقعد المعدني.

انطلقت القيود من الجدران، لتتغلق حول كاحلي ومعصمي بن.

- أنا بردان جدًّا يا بابا.

- أحبك يا بن.. وأنا فخور بك جدًّا.. يجب أن أغلق الباب الآن.

- ليس بعد، من فضلك.

مال إيثان وقبّل جبهته، وهو يفكر: قد تكون هذه آخر مرة

ألمس فيها ابني. حدق إلى عيني بن.

- انظر إليّ يا بني، كن شجاعًا.

أوماً بن برأسه.

مسح إيثان الدموع من فوق خده، وخرج من ماكينة الإرجاء.

قالت تيريزا: أحبك يا بن..

- أحبك يا ماما.

وكز إيثنان باب ماكينة بن فانغلق، واندفع القفل في موضعه بآلية إغلاق داخلية.

حدق إيثنان وتيريزا عبر الزجاج، بينما بدأت كابينة بن تمتلئ بالغاز في الداخل.

ابتسما من بين دموعهما عندما انغلقت عينا بن.

التفتت تيريزا إلى إيثنان وسألته: هل ستودعني مهجعي؟

أمسك يدها وقادها إلى ماكينتها. كان الباب مفتوحًا بالفعل، وحدقت تيريزا إلى الداخل إلى المقعد الأسود المدمج، ومسندي الذراعين، والأنبوبة السوداء المتدلّية من الجدار الداخلي، والتي ينتهي طرفها بإبرة كبيرة الحجم ستمتص كل نقطة دم من عروقهها.

قالت: آه يا إلهي!

صعدت داخل الكابينة، وجلست.

قيدتها الماكينة.

قال إيثنان: سأراك على الجانب الآخر.

- أتعتقد أننا سنصل فعلاً إلى هناك؟

- بالتأكيد.

ثم قبّل زوجته كأنها آخر مرة سيلمسها فيها في حياته.

عندما صعد إيثنان إلى كابينة إرجائه، فكر فيما كتبه في حجرة مكتبه ليلة أمس، في الكلمات التي سجلها في مركز المراقبة.

لعلها آخر بيان مسجل في التاريخ البشري:

العالم قاسٍ. العالم صعب. وفي هذا الوادي، عشنا تحت رحمة المنحرفين. عشنا كالمساجين، وتخلل ذلك كل نسيج من كينونتنا. هيئت البشرية للاستكشاف، نحن مهيوون للغزو، للتجوال؛ هذا جزء من حمضنا النووي، وهذا ما سنفعله بالضبط.

جلس في مقعده.

ستكون رحلة طويلة، وعندما نصل إلى وجهتنا، لا يعرف أحد ماذا سنجد .

انغلقت القيود حول كاحليه.

أنا خائف. كلنا خائفون.

ومعصميه.

أي نوع من العالم ينتظرنا على الجانب الآخر من هذا النوم الطويل؟ إلى حد ما، هذا لا يهم، لأن سكان وايوارد باينز سيواجهونه معًا. بلا أسرار، بلا أكاذيب، بلا ملوك.

انغلق باب كابينته، وأوصد قفله.

تبادلنا الوداع جميعًا. كلنا نعلم أن هذه قد تكون النهاية، وقد تصالحنا مع هذه الحقيقة قدر الإمكان.

صوحب الفحيح المضغوط لإطلاق الغاز بصوت امرأة، آلي ومريح بشكل غريب.

قالت: من فضلك ابدأ التنفُّس بعمقٍ.. شم الزهور قدر ما يمكنك.

يقولون إن الزمن يشفي كل الجروح... حسنًا، لدينا الكثير منه... لدينا من الوقت ما يكفي لقيام إمبراطوريات وسقوطها، لتغيُّر الأنواع، لأن يصبح العالم مكانًا أطف.

فاح الغاز برائحة تشبه الليلك والخزامى، وما إن استنشقه، حتى أحس بوعيه يتأرجح والأرض تميد من تحت قدميه.

هكذا ننطلق جميعًا في رحلتنا متسائلين عما يكمن وراء الأفق، ماذا يوجد بعد المنعطف التالي. وفي النهاية، أليس هذا ما يدفعنا ويوجهنا جميعًا؟

بدأ جفناه يرتخيان، واستحضر في ذهنه وجهي زوجته وابنه.

لدينا أمل من جديد.

اصطحب تيريزا وبن معه، إلى ذلك النوم الطويل، الطويل.

حاليًا، العالم ملك للمنحرفين، لكن المستقبل...

المستقبل قد يكون لنا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

خاتمة

بعد سبعين ألف عام، انفتحت عينا إيثان بيرك على اتساعهما.

وايوارد باينز

شكر وتقدير

أقدم أعمق آيات الامتنان إلى ديفيد هيل سميث، ريتشارد باين، أليكسيس هيرلي، وكل فرد في وكالة إنكويل مانيدجمينت، وإلى مقاتليّ في ويست كوست: أنجيلا تشينج كابلان وجويل فاندركلووت. أنتم فريق استثنائيّ، وأنا سعيد الحظ لوجودكم خلف كتبي.

الرفاق في توماس أند ميرسر وأمازون للنشر: آلان توركوس، دافني دورهام، جيف بيل، كريستي كولتر، دانييل مارشال، جرايسي دويل، آندي بارتليت، سارة توماشيك، ريمّا الزابن، فيليب باتريك، تيفاني بوكورني، نك لوفلر، جودي وارشو.. مجموعة جريئة لا تخشى شيئاً، واستمتعت بالعمل معها. أنا في غاية النشوة لكوني في هذه الرحلة معكم.

شكراً لجاك بن زكري التي حرّرت هذا الكتاب بأعجوبة، ومنعته من التفرع إلى ألف طريق مختلف.

والشكر لميشيل هوب أندرسون على التحرير الرائع للمسودة.
آن فوس بيترسون، جو كونراث، ماركوس ساي، جوردان كراوتش..
قدموا ردود فعل رائعة، وساعدوني على التقدم بهذا الكتاب إلى
مستوى آخر.

وأخيراً - لكنه الأهم - الشكر لأسرتي الجميلة الرائعة.

قبلائي

نبذة عن المؤلف

بليك كراوتش Blake Crouch - كاتب وسيناريست أمريكي من مواليد 1978. يُعد كراوتش من الأسماء المعروفة في قائمة أفضل الكُتّاب مبيعًا؛ تضم رواياته تحسين، استدعاء ذاتي، المادة السوداء، وثلاثيته *The Wayward Pines* التي صدرت ما بين 2012 و2014، وتحوّلت إلى مسلسل تليفزيوني من إنتاج شركة فوكس عام 2015. كما شارك كراوتش أيضًا في كتابة مسلسل تليفزيوني لقناة تي إن تي بعنوان سلوك حسن Good Behavior اعتمد على روايته القصيرة ليتي دوبيش، يعيش في كولورادو مع زوجته جاكلين بن زكري وأطفالهما الثلاثة.

نبذة عن المترجم

عبد الرحيم يوسف - شاعر ومترجم مصري من مواليد 1975. صدر له ثمانية دواوين بالعامية المصرية، وواحد وثلاثون كتابًا مترجمًا، نشر عددًا من الترجمات الأدبية في عدد من الدوريات المصرية والعربية وشارك كمحرر مساعد في مجلة (ميناء) الثقافية، التي صدر منها ثلاثة أعداد في الفترة من 2005 إلى 2009.. ترجم عددًا من التقارير لمنظمة هيومان رايتس ووتش، ومكتب اليونسكو بألمانيا وصندوق الأمم المتحدة للسكان وموقع مدى مصر. وحصل على جائزة الدولة التشجيعية في الآداب فرع ترجمة الأعمال الفكرية عام 2017، عن ترجمته لكتاب (ثلاث دراسات حول الأخلاق والفضيلة) لبرنارد ماندفيل.

مكتبة

t.me/soramnqraa

البلدة الأخيرة

"تكمل حديثها: لقد خرجت للتو من حالة حياة مرآة. أجهزتك الحيوية كلها تتلمس طريقها متعثرة. كنت نائمًا لمدة ألف وثمانمئة عام في واحدة من ألف وحدة إرجاء، قمت أنت بإنشائها. كلنا في غاية الحماس.. لقد نجحت تجربتك. اجتازها فريق العمل بمعدل نجاة قدره سبعة وتسعون في المئة، أفضل بعدة نقاط مما تصورته أنت، وبلا أي خسائر حرجة.. مبروك".

يكشف كراوتش في البلدة الأخيرة سر البلدة، حيث يعيش الناس داخل لغز كبير، غير مسموح لأحدٍ بالمغادرة، وحتى طرح الأسئلة يمكن أن يؤدي إلى مقتل من يطرحها، فمن يحرك كل ذلك ولأجل ماذا؟!

telegram @soramnqraa

ISBN 978-977-313-994-0

